

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار «٢١٣»

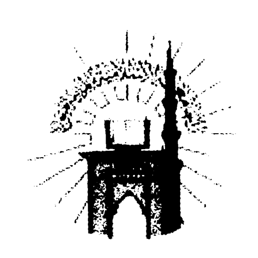
«سلسلة الكتب والبحوث المحكمة (٤٢)»

الصحبة والمجالسة
في التربية الإسلامية

تأليف
الدكتور / عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية

الطبعة الأولى : ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣٢
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٢١٣)



سلسلة الكتب والبحوث المحكّمة (٤٢)

الصحبة والمجالسة
في التربية الإسلامية

تأليف

الدكتور/ عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلاميَّة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

الأحمدي، عبد الرحمن بن رجاء الله

الصحبة والمجالسة في التربية الإسلامية/ عبد الرحمن بن رجاء الله الأحمدي

المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ

ص، سم

ردمك: ٤ - ٩٦٥ - ٠٢ - ٩٩٦٠

١- التربية الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٣٧٧,١ ١٤٣٨/١٧٢٥

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٧٢٥

ردمك: ٤ - ٩٦٥ - ٠٢ - ٩٩٦٠

بحث علميّ محكّم

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجامعة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

الحمد لله وليّ كل نعمة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. وبعد:

فتأصيلًا للدور العلميّ الذي تقوم به الجامعة الإسلاميّة، وتحقيقًا لرؤيتها بأن تكون منارة إسلاميّة عالميّة رائدة في المعرفة والتنمية؛ تتوالى هذه الإصدارات العلميّة من رسائل وبحوث، لتكون مبادرات معرفيّة متميِّزة، تُثري التميّز البحثيّ، وتُسهم في بناء مجتمع المعرفة المتجدد في كافّة الميادين.

ويبقى الدعاء لهذه الجهود بالتوفيق في الارتقاء بمستوى مخرجات البحث العلميّ بالجامعة كمًّا ونوعًا، وتوفير بيئة بحثيّة محفّزة؛ تكون رافدًا ومنهلًا لنشر العلم النافع، بما يتوافق مع شرف المكان والمكانة لهذه الجامعة الرائدة.

مدير الجامعة الإسلاميَّة

د/ حاتم بن حسن المرزوقي

آية

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

سورة الزخرف آية (٦٧).

وحديث

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

رواه أبو داود.

وأثر: قال محمد بن واسع:

"ليس لملول صديق، ولا لحسود غنى، والنظر في العواقب تلقيح للعقول".

آداب الصحبة، للسلمي.

المحتويات

المقدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. [آل عمران: ١٢٠].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[2].

الحمد لله الذي جعل دين الإسلام خاتم الديانات وبعث نبيه ﷺ بآخر

---

(١) هذه الخطبة أخرجها ابن ماجه في كتاب النكاح، باب: خطبة النكاح (٦٠٩/١) رقم (١٨٩٢). وقال الألباني: "صحيح".

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) رقم (٨٦٧).

الرسالات، فجاء هذا الدين كل متكاملاً لم يترك أمراً من أمور الحياة إلا بيّنه ووضع له المعايير التي تكفل للمجتمع الإسلامي الخير والسعادة في الدارين.

فقد عني هذا الدين بإرساء جوانب العقيدة والعبادات والمعاملات، ليعيش الإنسان كما أراد له سبحانه عابدًا له لا يشرك به شيئًا، يؤدي أمانة الاستخلاف وإعمار الأرض بالحق والعدل.

وقد خص الدين الإسلامي كل جانب من حياة الإنسان بتشريع يلزم المسلم التمسك به يوصله إلى الخير والسعادة وينظم علاقاته بجميع من حوله.

ومما اهتم به الإسلام تنظيم الجانب الاجتماعي والعلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع، فوضع لها القوانين التي تنظمها وتكفل حقوق الفرد داخل الجماعة وحقوق الجماعة على الفرد.

والإنسان مخلوق اجتماعي لديه ميل فطري إلى الانتماء فهو يحتاج إلى عطف أبويه ورعايتهما عندما يكون طفلاً وهو بحاجة إلى مجتمعه من إخوان وأقارب وأرحام وجلساء عندما يكون شابًا، وعندما يصبح رجلاً ثم شيخًا ثم كهلاً فإنه لا بدّ أن يجتمع خلال هذه المراحل من عمره بالكثير من بني جنسه.

والفرد لا تتحدد أخلاقه وسلوكه إلا مع الجماعة؛ لأن الفرد لا يتصف بأنه ذو سلوك وأخلاق أو مجرد منها إلا إذا جلس في جماعة واتبع منهجها ولابد له أن يتأثر بذلك صلاحًا أو فسادًا.

فالمجتمع الخيّر بمؤسساته ومجالسه يقوم بصقل الفرد وحفظ فطرته وتربيته وتعليمه وإبراز جوانب الإيمان في نفسه فتمتزج أفعال الخير في سلوكه وتصبح

جزءا لا يتجزأ من شخصيته، وبالمقابل إن انحرفت هذه المؤسسات والمجالس أو بعضها تضعف الفطرة ويحرفّها القائمون عليه والمجالسون له، فتظهر شخصيته نتاجًا لذلك الانحراف، فيميل إلى مجالس الشر والفساد بعد أن تربى في أوكاره وارتاد كنفه.

وقد دعا الإسلام إلى صحبة الأخيار ومجالس الصلاح، فبهما تحصل الغنيمة وتستقيم الأحوال، ومن هنا جعلت هذا الكتاب مشروعاً في رسم أسس الإسلام في الصحبة والمجالسة، فكان الفصل الأول في هذا الكتاب عن الإطار العام للدراسة.

ثم تطرقت في الفصل الثاني إلى العلاقات الإنسانية، وبينت جُبلة الإنسان وميله إلى الاجتماع وعلاقات الإنسان ومجالسته في الصغر والكبر، وعلاقات المجتمع الإسلامي في العصر الأول، وعوامل اكتساب الجليس وأنواع الناس وآداب المجالسة وغيرها.

وفي الفصل الثالث قدمت نماذج لمجالس الصلاح، بدأتها بأهمية مجالسة أصحاب العقيدة الصحيحة، ومجالس قراءة القرآن الكريم ومجالس الذكر ثم العلم، فالصدق، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم القراءة ثم النفس ومحاسبتها ثم العبادة.

وفي الفصل الرابع أوردت العديد من الأمثلة عن مجالس السوء فذكرت أهل البدع، والنفاق، والغيبة، والنميمة، والمخدرات، ومجالس الاختلاط والغناء.

وفي الفصل الخامس بينت إمكانية التغيير من الفساد إلى الصلاح؛ فذكرت تغيير الإسلام للمجتمع الجاهلي، وعِبَر التغيير في القرآن الكريم،

وطرق التغيير ونحوها.

وقد احتكمت في تقرير الحقائق إلى آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية وسير السلف الصالح لهذه الأمة، فإن حصل بعض الكمال فذلك بفضل الله وحده.

اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني إنك أنت علام الغيوب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

- أهمية الدراسة وأهدافها.
- قضايا الدراسة وتساؤلاتها.
- منهج الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- حدود الدراسة.

الإطار العام للدراسة

• أهمية الدراسة وأهدافها:

يولد الإنسان بين أفراد أسرته، يتربّى في كنفهم، ويحتك بهم، فيتشرّب العقيدة والقيم، واللغة، والعادات والتقاليد، ويلازمه الميل إلى حب الاجتماع والمجالسة وألفة الناس طوال حياته، فتصبح المجالسة سمة لا يستطيع الانفكاك منها، مما أعطى لهذا الموضوع أهمية خاصة في نفسي لدراسته؛ وبيان علاقات الإنسان وارتباطاته، والكيفية التي تتم بها تلك العلاقات.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان:

- العلاقات الإنسانية، وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.
- وأنواع الناس ومجالسهم، وآداب المجالسة، وعوامل اكتساب الجليس الصالح.
- والفرق بين مجالس الصلاح ومجالس الفساد وأثر كل منهما على حياة الأفراد وسلوكهم. وغير ذلك من الأمور.

• قضايا الدراسة وتساؤلاتها:

إن أهم القضايا التي تدور حولها هذه الدراسة تتركز حول الصحبة والمجالسة فالإنسان يبدأ في المجالسة منذ طفولته وتستمر صداقاته واجتماعاته ومجالساته إلى آخر مراحل عمره.

وقد اهتم الدين الإسلامي بهذه القضية أيما اهتمام؛ لأن المجالس التي يرتادها الفرد ويجتمع بأهلها تؤثر تأثيرًا بالغًا في سلوكه ومنهجه وتصرفاته،

ومن هنا جاء اهتمام الإسلام بالقضايا الاجتماعية ووضع لها الأطر المناسبة ليبقى المجتمع حصينًا من مجالس الشر التي تعصف بالفرد والمجتمع إلى مهاوي الضلال في الدنيا وعواقبه في الآخرة.

وقد أعطى الدين الإسلامي تفصيلاً شاملاً لكل العلاقات الإنسانية وجعل معيارًا محددًا لكل قضية منفردة بأتباعه يسمو الفرد والمجتمع إلى مراتب السعادة.

وسوف تركز الدراسة على الإجابة على التساؤلات الآتية:

- كيف تبدأ العلاقات الإنسانية؟
- ما أهمية الحياة الاجتماعية للفرد؟
- كيف يؤثر المجتمع في سلوك الفرد؟
- ما الفرق بين العلاقات الإنسانية في الصغر والكبر؟
- كيف كانت علاقات المجتمع الإسلامي في عصر الرسول ﷺ؟
- ما أوجه الاختلاف بين الناس في المنهج والسلوك؟
- ما أمثلة مجالس الصلاح؟
- ما أمثلة مجالس السوء؟
- هل التغيير ممكن من الفساد إلى الصلاح؟

- **منهج الدراسة:**

المنهج الوصفي التحليلي:

وقد استخدمت هذا المنهج من أجل التطرق بالوصف والتحليل لعلاقات الفرد بالمجتمع وتأثره بتلك العلاقة صلاحًا وفسادًا ومحاولة وصف

ما هو كائن وتفسيره مع الاهتمام بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الأفراد من خلال واقع المجالس مع الاستعانة بالمنهج التاريخي الوصفي؛ لاستحضار وقائع سابقة كانت ذات عبرة أو قدوة يمكن الاستشهاد بها في هذه الدراسة، واحتكمت في كلا المنهجين إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالح لهذه الأمة.

- **مصطلحات الدراسة:**

أكثر التعريفات التي وردت في هذه الدراسة عن مجالس الصلاح ومجالس السوء وقد أوردت تعريفًا لهما في أثناء المؤلَّف حيث إن كلاً منهما يشغل فصلاً مستقلاً من الدراسة.

- **حدود الدراسة:**

ولما كان مجال الدراسة هو الصحبة والمجالسة، فإنّ محاور الدراسة ترتكز على بداية علاقات الإنسان ومجالساته في مراحل حياته المختلفة؛ لما لها من تأثير في تحديد توجّه الفرد صلاحًا وفسادًا.

الفصل الثاني: العلاقات الإنسانيّة

أول العلاقات الإنسانية.

الإنسان مخلوق اجتماعي.

التأثير الاجتماعي.

الإسلام ونظام المجتمع.

المجالسة في الصغر.

تدرج العلاقات الأولية.

المجالسة في الكبر.

أهمية الحياة الاجتماعية للفرد.

علاقات المجتمع الإسلامي في العصر الأول.

عوامل اكتساب الجليس.

أنواع الناس ومجالسهم.

آداب المجالسة.

أوّل العلاقات الإنسانيّة

لقد بين القرآن الكريم أن أوّل العلاقات بين بني البشر كانت بين آدم وحواء عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١].

إن النفس الواحدة في الآية الكريمة المقصود بها آدم عليه السلام ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، المقصود حواء عليها السلام، وينتمي إليهما جميع البشر الموجودين على وجه الأرض باختلاف أصنافهم وألوانهم ولغاتهم[٢].

ومن خلال الآية الكريمة تتجلى وحدة الأصل الإنساني ففيها:

١- توجيه النداء إلى جميع الناس في كل مكان وزمان.

٢- دعوة الناس إلى خالقهم عبادة وتقوى.

٣- الناس كلهم من نفس واحدة جميعًا، فأبوهم هو آدم عليه السلام.

٤- خلق الله سبحانه وتعالى حواء عليها السلام من ضلع آدم عليه السلام[٣].

٥- من هذين الزوجين كان الأبناء والأحفاد رجالاً ونساءً فلا فروق في الأصل سموًا إنما في العبادة والقرب من الله طاعة.

---

(١) سورة النساء، آية (١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٥٨/١.

(٣) المرجع السابق ٢١٥/٢.

٦- تقرير وحدة الأصل الإنساني وإبعاد مبدأ الأصول المتفرقة وما ينتج عنه من الفروق بين الناس.

٧- وجود عامل القربى وصلة الرحم والتي يسأل الله عنها رعاية وإحسانًا(١).

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٢).

اختلف في الجنة التي سكنها آدم أهيَ في السماء أم في الأرض؟ فالأكثرون على القول الأول. وقد حذرهما المولى عز وجل من الاقتراب من شجرة معينة، وقد اختلف في تفسيرها، فقيل: الكرمة، وقيل: السنبلة، وقيل: التين(٣).

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾(٤).

لقد حسد الشيطان آدم وزوجته وكاد لهما؛ ليسلبهما ما هما فيه من نعيم الجنة وحسن اللباس، وكذب عليهما بأنهما بالأكل من الشجرة سوف

---

(١) عبد الحميد الهاشمي، لمحات نفسية في القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق، ١٤٠٢هـ، العدد١١، ص ٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان (٣٥-٣٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٨٣/١.

(٤) سورة الأعراف، آية (٢٠).

يكونا ملكين أو خالدين[١].

قال تعالى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٢].

عندما وقع آدم وحواء عليهما السلام فيما وقعا فيه من الخطيئة بدت لهما عورتهما وبدءا يصنعان على أنفسهما ورق التين بعضه فوق بعض، وقد انطلق آدم في الجنة بعد هذه الحادثة فناداه الله سبحانه يا آدم أمنّي تفر؟ قال: لا، ولكني استحيتك يا رب، وإن ما أقدمت عليه هو بسبب قسم الشيطان ولم يكن يظن أن أحدًا يقسم بالله وهو كاذب[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[٤].

وقد اقتضى وجودهما معًا مشاركة وعلاقة نشأت بينهما في السراء والضراء.

فأشار القرآن الكريم إلى مشاركة آدم وحواء في المسرة في قوله تعالى على لسانهما: ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٥].

وإلى مشاركتهما فيما عرض لهما: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٤.

(٢) سورة الأعراف، آية (٢٢).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٤-٢١٥.

(٤) سورة الأعراف، آية (٢١).

(٥) سورة الأعراف، آية (١٨٩).

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[١].

وقد اتضح من الآيات الكريمة السابقة أن وجودهما مع بعضهما لم يكن مجرد وجود فرد مع آخر، بل كانت تربطهما مودة ورحمة وإن كل واحد منهما يحتاج أن يكون الآخر حذوه ليوفر له السكون، وهذه الصلة بينهما لم تكن ثابتة جامدة بل هي صلة نامية نشأت، وترعرعت وبلغت إلى حد أن صوّرها القرآن الكريم تصويرًا جعلهما ينطقان بلسان واحد ويعبران تعبيرًا واحدًا، ويرغبان في تحقيق غاية واحدة؛ فابتهلا إلى الله معًا أن يهبهما الله ولدًا صالحًا، وتعهدا معًا أن يكون من الشاكرين، وندما معًا على ما صدر منهما من ظلم لنفسيهما، وتضرعا معًا أن يمنحهما الله المغفرة والرحمة والتوبة[٢].

ثم كان الأمر الإلهي بهبوطهما من الجنة قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[٣].

وقد كان هذا الأمر إيذانًا بالهبوط من الجنة مع وجود العداوة بين آدم وإبليس ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ "أي: قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة قد جرى بها القلم، وأحصاها القدر، وسطرت

---

(١) سورة الأعراف، آية (٢٣).

(٢) محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ص ٢٦٥.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان (٢٤/٢٥).

في الكتاب الأول"(١).

ثم "يخبر تعالى أنه جعل الأرض درًا لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم وفيها نشورهم ليوم القيامة"(٢).

وفي الحياة الدنيا أصبح الناس شعوبًا وقبائل؛ ليتعارفوا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(٣).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا الناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبًا، وهي أعمّ من القبائل، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ"(٤)، ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ونسبه.

ولما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتفريق بين الخير والشر، والصلاح والفساد، وكانت هناك بعض الأمور الغيبية العظيمة التي لا يمكن للإنسان معرفتها، إلا عن طريق الوحي الإلهي كالإيمان بالله وبالملائكة والبعث والنشور والجزاء والحساب إلى غير ذلك من الأمور الغيبية(٥).

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٢١٥.

(٢) المرجع السابق ٢/٢١٥.

(٣) سورة الحجرات، آية (١٣).

(٤) ابن كثير، مرجع سابق ٤/٢٣٢.

(٥) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ط٤ دار القلم، دمشق ص ٣٥.

إن الله جلّ شأنه لم يترك الناس هملاً فقد اقتضت حكمته أن يبعث إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين حتى لا يبقى للناس حجة عند الله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وقد بعث الله عزّ وجلّ الرسل والأنبياء لحكم كثيرة، ووكل إليهم وظائف عديدة، ومن أهمّ وظائفهم[2]:

١- دعوة الخلق إلى عبادة الواحد القهار.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ... ﴾[3].

٢- تبليغ أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه إلى البشر، قال تعالى مخاطبًا خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ... ﴾[4].

٣- هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى مخاطبًا رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، آية (١٦٥).

(٢) محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٩.

(٣) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥-٤٦).

٤- ليكون الرسل أسوة حسنة وقدوة صالحة لجميع البشر.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١].

٥- تحويل اهتمام الناس من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية.

قال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

يقول الإمام ابن القيم: "فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرّمه وفضّله، وشرّفه، وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له، وخصه من معرفته ومحبته وقُربه وإكرامه بما لم يعطه غيره، وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينهما، حتى ملائكته -الذين هم أهل قربة- استخدمهم له، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته، وظعنه وإقامته. وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه، وخاطبه وكلمه منه إليه، واتخذ منهم الخليل والكليم، والأولياء والخواص والأحبار، وجعلهم معدن أسراره، ومحل حكمته، وموضع حبه، وخلق لهم الجنة والنار، فالخلق والأمر، والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني، فإنه خلاصة الخلق، وهو المقصود بالأمر والنهي، وعليه الثواب والعقاب. فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات"[٣].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٦٤).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٢١٠.

لذلك وجب عليه تحقيق العبودية لله وحمل الأمانة وإعمار الأرض بالحق والعدل والصبر وإعداد النفس لحياة الخلود.

ثم بيّن الحق جل شأنه أوجه الاختلاف بين الناس في أعمال الحياة الدنيا وبالتالي في الآخرة، فأهل السيئات ليسوا كالذين آمنوا قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

قال ابن القيم: "أنكر سبحانه وتعالى هذا الحسبان إنكار منبه للعقل على قبحه، وأنه حكم سيئ، والحاكم به مسيء ظالم. ولو كان قبحه لكونه خلاف ما أخبر به لم يكن الإنكار، لما اشتمل عليه من القبح اللازم من التسوية بين المحسن والمسيء، المستقر قبحه في خطر العالمين كلهم، ولو كان هنا حكم سيئ في نفسه ينكر على من حكم به"[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[3].

"وهذا استفهام إنكار، فدل على أن هذا قبيح في نفسه، منكر تنكره العقول والفطر، أفتظنون أن ذلك يليق بنا أو يحسن منا فعله؟ فأنكره الله سبحانه إنكار منبه للعقل والفطرة على قبحه، وأنه لا يليق بالله نسبته إليه"[4].

---

(١) سورة الجاثية، آية (٢١).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢٣٨/١.

(٣) سورة ص، آية (٢٨).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين ٢٣٨/١.

الإنسان مخلوق اجتماعيّ

يوجد لدى الإنسان ميل فطرى إلى الانتماء belongingness وحب الاجتماع وبناء علاقات اجتماعية مع الآخرين، والإنسان لا يمكن أن يعيش فترة زمنية طويلة في فراغ دون مجالسة أحد من بني جنسه؛ لأنه مخلوق اجتماعي، يحتاج إلى عطف أبويه ورعايتهما عندما يكون طفلاً، وهو بحاجة إلى مجتمعة من إخوان، وأقارب، وأرحام، وأخلاء عندما يكون شابًا، وعندما يصبح رجلاً، ثم شيخًا، ثم كهلاً، فإن عليه في هذه المراحل من عمره أن يجتمع بالكثيرين من بني جنسه ويخالطهم ويطلب مساعدتهم برغم ما بين الناس من اختلاف العادات والسلوك والطباع والأذواق، فمنهم من يتلاءم مع عادات الإنسان وذوقه وتقاليده وسبل حياته وطريقة عيشه، ومنهم من يختلف معه كثيرًا أو قليلاً.

فالله سبحانه وتعالى خلق الناس وجعل بينهم لحكمة يعلمها فروقًا تميز كل فرد عن الآخر، فيتعلمون من بعضهم البعض، ويستفيدون من الفروقات الفردية التي تميز كل فرد بعينه عن الآخرين، فهذه الذاتية تميز الشقيق من شقيقه الذي ولد بعده أو قبله، وجالسه، وتربّى معه مدة طويلة وتعرّض خلالها لنفس التأثيرات النفسية والاجتماعية التي تصدر من الأسرة والمجتمع من حوله، ثم ما يلبث أن ينمو كل واحد منهم وتنمو معه ذاتيته التي تعطي شخصيته وسلوكه وكلامه ومعاملته وحركته طابعًا خاصًا به يميزه عن غيره، ويظهر هذا التمييز أكثر فأكثر كلّما امتدت به الأيام، وطالت

به السنون، وخالط الناس وجالسهم، ونهل من مصادر المعرفة، فيعدّل سلوكه، وتتغير نظرته إلى الأشياء، ويتعجب من بعض أفعاله في الفترة الأولى من حياته[١].

إلا أن أهم عامل مشترك يجمع الناس ويوحد تصرفاتهم في جميع المواقف بعيدًا عن الميول والأهواء هو جانب العقيدة، فمن انضوى تحت لوائها تأتي تصرفاته بحسب أمر الشريعة وعلى تطبيقها يتصرف الناس تصرف الرجل الواحد حيث المنهل الواحد والطريق الصحيح.

وقد يهتم الإسلام بالذات الإنسانية الفردية individualism، ويوجه بالغ الاهتمام بالجانب الخُلقي وتوجيه السلوك.

والواقع أن الإسلام بوصفه بناءً متكاملاً للحياة لا يفصل بين الفردية والجماعية (التجمع في جماعة) assembling فهو يهتم بالإنسان الفرد، وينظر إلى قيمته الاجتماعية وسلوكه من داخل الجماعة التي يعيش فيها، فذات الإنسان لا تعمل بنظام فردي، واستقامة أمر الجماعة لا يتم إلا بصلاح الأفراد واستقامة سلوك كل فرد، مع توثيق الرباط بين الفردية والجماعية.

وعلى الرغم أنّ الإنسان يولد على الفطرة إلا أنه في حاجة إلى منهج من خارج ذاته وكيانه؛ ليكشف له طريق الحق، وليس من مصدر أصدق من كتاب الله الذي يهدي البشرية إلى النور والضياء، ومن سنة المصطفى عليه

---

(١) يوسف القاضي، مقداد يلجن، علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ، ص ١٦٢-١٦٣.

أفضل الصلاة والتسليم، واتباع سلف هذه الأمة.

والإسلام يأمر الإنسان أن يتسم سلوكه بالعدل، والإحسان، والبر، وصلة الرحم وأداء الأمانات إلى أهلها، والوفاء بالعهد، والصدق، والتواضع، وينهاه عن العقوق، والجور، والبغي، والفجور، وقطع الأرحام، وعن الأذى والفساد. ومثل هذه الأوامر والنواهي لا تتعلق بتعامل الإنسان مع نفسه، وإنما تتعلق بالتعامل والعلاقات الاجتماعية مع الناس، وليس الإنسان بحيث يبر ويعف ويفي ويصدق ويصلح، أو يخون ويفسق ويطغى، في نطاق فرديته الخاصة(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾(٢).

والإسلام في أصوله العقدية، والعبادات التي فُرضت على الناس، وأحكام المعاملات، وكل التوجيهات لسلوك الإنسان جاءت لصلاح الفرد والتزامه بالسلوك الجماعي، ولا تكتمل بعض العبادات إلا من خلال الجماعة كأداء الصلاة جماعة مثلاً.

---

(١) عبد المجيد سيد أحمد منصور، الإسلام وتكامل وتوازن أبعاد الشخصية، بحث غير منشور مقدم للقاء السنوي الخامس للجمعية السعودية للعلوم النفسية للعام ١٤١٣هـ، ص٢٨-٣١.

(٢) سورة النحل، الآيتان (٩٠-٩١).

والقرآن يُغذي الجماعة بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق فلا نفرة ولا تباعد، بل سلوك قائم على الاحترام والتعاون على البر والتقوى، وليس على الإثم والفجور.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

كما يقوي القرآن الكريم الجماعة بالخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعية، التي تلقي المسؤولية على الجماعة كلها؛ لأنها في الواقع مسؤولية كل فرد، ومسؤولية الجميع.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ....﴾[3].

وفي الوقت الذي يشعر فيه الإنسان الفرد بحاجته إلى الانتماء إلى جماعة وإلى مجتمع، فإنه يظل حريصًا على الحفاظ على شخصيته المستقلة وكيانه المستقل، ومن ثم يمكن القول: بأن النزعة الفردية عند الإنسان

---

(١) سورة المائدة، آية (٢).

(٢) سورة التوبة، آية (٧١).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٠).

موجودة جنبًا إلى جنب مع الرغبة الملحة في الإنسان للانتماء إلى المجتمع.

وقد اعترف الإسلام بهذه النزعة الفردية في الإنسان فمنحه باعتباره فردًا حقوقًا مستقلة، وجعله في الوقت نفسه لبنة في بناء المجتمع.

وباعتبار فرديته أثبت له حق الملكية لماله، وحق الهيمنة على نفسه وولده، وحق التصرف بما يكون له من مصلحة ضمن حدود الشريعة.

وباعتبار انتمائه للجماعة أوجب عليه أن يُرشد الضال، ويعين الضعيف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويخرج للغزو والجهاد، ويساهم في بناء بلده، ويخلص في عمله. وفي مقابل هذه الواجبات أثبت له حقوقًا على المجتمع تتمثل في حفظ الدم والمال والعرض والعون وغيرها[١].

والإنسان لابد له من الاختلاط والمجالسة لأفراد مجتمعه، وإذا كان المجتمع تسوده أفكار خاطئة وتصورات فاسدة فإن الفرد يقف أحد موقفين:

إما أن يخالفهم في هذه الأفكار والتصورات، وإما أن يوافقهم عليها، فإن خالفهم آذوه وعذبوه وإن وافقهم أوقع نفسه في سخط الله.

فالمخالطة أمر لازم الحدوث بين أفراد المجتمع فإن كان الناس على خير حصلت الموافقة المبتغاة، وإن كانوا على شر وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنْ لحق بالفرد الأذى من جراء ذلك.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "إن الإنسان مدني بالطبع لابد له أن يعيش مع الناس"[٢].

---

(١) عبد المجيد سيد أحمد منصور، مرجع سابق، ص ٢٥-٣٢.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١٩٣/٢.

والناس لهم إرادات، وتصورات، واعتقادات فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر.

"فلا بدّ له من الناس ومخالطتهم، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم. وفي الموافقة ألم وعذاب إذا كانت على باطل، وفي المخالفة ألم وعذاب إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم، وإراداتهم ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل وأيسر من الألم المترتب على موافقتهم"[(١)].

ففي الحديث: "**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على آذاهم**"[(٢)].

التأثير الاجتماعي:

إن تأثر الفرد بالمجتمع من حوله أمر بيّن ولا بدّ للفرد أن يتأثر بمن حوله صلاحًا أو فسادًا، والواقع يؤكد أن ما من جماعة ائتلفت إلا ائتلفت صِلات بين أفرادها، وما من جماعة أو قبيلة وجدت إلا كان بين المنتمين إليها وشائج قربى قريبة كانت أو بعيدة، وما من مدينة أو قرية أقيمت على الأرض إلا قامت بين سكانها علاقات واجتماعات ومجالس، سواء كانت علاقات عقائدية أو مصلحية دنيوية أو أخروية، وما من أمة نشأت في مكان ما إلا نشأت بين المنتمين إليها روابط لازمتهم فأثروا فيها، وتأثرت

---

(١) ابن القيم، المرجع السابق، ٢/١٩٣-١٩٤.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢/٤٣، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٣٩.

بهم، وتطبعت بطباعهم وعقائدهم، ويعتريها ما يعتريهم فتقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم، والصِلات بين المجتمع تظهر بصورة مباشرة أو غير مباشرة، منظمة أو غير منظمة تتميز بالتعاون، أو العداء بالحب، أو البغض بالمعاونة، أو الاختلاف بالإرشاد والتوجيه نحو الصلاح، أو نحو السوء وقد وضحها الإسلام كمًّا وكيفًا، وبين تعددها حتى يصعب إدراجها تحت حصر فهي صلات الآباء بالأبناء، والأبناء بالآباء، والأقرباء بالأقرباء، وصلات الجيران بالجيران، وصلات الصغار بالكبار، وصلات المؤمنين بالمؤمنين، وصلات الحاكم بالرعية، والقائمة لا تنتهي[١].

والمجتمع له أثر بالغ في حياة الفرد، والفرد لا تظهر قيمته ولا تتحدد أخلاقه وسلوكه إلا مع الجماعة؛ لأن الفرد لا يتصف بأنه ذو سلوك وأخلاق أو مجرد منهما إلا إذا جلس إلى جماعة وانغمس في حياتهما، وإن المواهب الفردية، طبيعية كانت أو مكتسبة، لا تظهر آثارها إلا في الجماعة، بل أن تميز الفرد يكتسبه من خلال الجماعة والاحتكاك بها، وهو محصلة قيمها العقائدية والأخلاقية، والفكرية، والاجتماعية[٢].

واختيار الشريك والجليس ينبغي أن يكون مع صاحب التقوى والورع فلا يجوز الجلوس مع غيره إلا لمصلحة شرعية كدعوته إلى الخير إذا لم يخش على نفسه من التأثر بأخلاقه.

---

(١) محمد التومي الشيباني، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، مرجع سابق ص ٢٨٤.

(٢) عبد الرشيد عبد العزيز سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية، مرجع سابق ص ٦٣.

يقول شيخ الإسلام: "بأن المصاحبة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع أهل الطاعة لله"(١).

حيث إن الالتصاق بالفرد واصطفاءه خليلاً وجليسًا يمتد تأثيره الظاهر إلى الأمور الباطنة.

يقول شيخ الإسلام: "فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي"(٢).

وقد ضرب -رحمه الله- مثالاً بمباشرة بعض اليهود والنصارى للمسلمين فمن خلال هذه المعاشرة يظهر عليهم التأثر فيصبحوا أقل كفرًا من غيرهم(٣).

والعكس صحيح في أحيان كثيرة.

والناس يقلدون بعضهم بعضًا في السلوك وهم مجبولون على ذلك.

يقول شيخ الإسلام: "فإن الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، ولهذا كان المبتدئ بالخير والشر له مثل من تبعه من الأجر والوزر"(٤).

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: **"من سنّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتبت عليه مثل وزر من**

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ٣٢٧/١٥.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٠.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام ص ٩٥.

عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"[١].

والتأثير والتأثر يتمّان بصورة سريعة بين الأشخاص المتشابهين في الصفات والأخلاق فأهل الصلاح يستهويهم أهل الصلاح، ويحبونهم ويميلون إليهم، وأهل الانحراف يميلون إلى بعضهم بعضًا ويتشبهون ببعضهم بعضًا وكل منهما لديه حذاق في فنه.

يقول ابن تيمية: "إن الله تعالى جبل بني آدم، بل سائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر؛ كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتمّ... ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتسب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة"[٢].

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٥٩/٤ من حديث جرير بن عبدالله، كتاب العلم، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة حديث ١٠١٧.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٠، ٢١٩.

الإسلام ونظام المجتمع

يعدّ المجتمع أحد متطلبات حياة الإنسان الضرورية التي لا يتحقق العيش إلا به، فالإنسان يولد في المجتمع ويعيش فيه ويموت.

فهذا الترابط والاحتكاك بين الناس يحتاج إلى ضوابط تنظم العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع، أما إذ انعدمت هذه الضوابط فإن ذلك يؤدي إلى هلاك المجتمع واضطرابه وانقلابه إلى مجتمع من الوحوش الضارية كالذي نشاهده في الغابات، وفي بعض المجتمعات المعاصرة اليوم.

ولهذا كان لابد من نظام يتضمن الحدود التي يقف عندها كل فرد ويلتزم بها الجميع في سلوكهم حتى يستطيعوا العيش للدنيا والآخرة دون عوائق أو مثبطات.

والنظام يكون صالحًا أو فاسدًا بحسب أصله الذي استقي منه وأساسه الذي يقوم عليه؛ لأن الفرع يتبع الأصل في الصلاح والفساد، وينعكس ذلك بالتالي على أفراد المجتمع فهم يتأثرون به ويتحملون تبعاته وييسعدون به أو يشقون.

فالإنسان تمرض روحه أو تهزل أو تصح وتقوى تبعًا لصلاح المجتمع أو فساده.

والواقع أن التشريع الإسلامي أعطى إلينا الأساس الصالح الذي ينبغي أن يقوم عليه المجتمع وحدد لنا العلاقة المثلى التي ينبغي أن تربط أفراده إلى جانب توضيحه لكل المصاعب والعقبات التي تؤدي بهذه العلاقة إلى الخلل

فبينها بيانًا واضحاً، حتى لا تختلط الصورة ويتميز الخبيث من الطيب[١].

ولو قدر لبعضنا أن يطل من نافذة تشرف على عالم البشر في كل الأزمنة والأمكنة، فإنه سيرى أخلاطًا متباينة، واتجاهات مختلفة، وأنماطًا متفاوتة، وسيرى الناس يسيرون في دروب كثيرة متعرجة حينًا، ومتشابكة حينًا آخر.

إلا أن الناظر من تلك النافذة سيرى في وسط تلك الطرق المتعرجة المتشابكة طريقًا واحدًا مستقيمًا، لا ينحرف يمينًا ولا شمالاً، طريقًا واحدًا، تهب عليه الأعاصير وكلما قاربت معالمه على الاندثار، ورسومه على البلى، شاهدنا أقوامًا مصلحين يقومون بكشف الرمال عنه من جديد، ويوضحون معالمه، ويجددون رسومه، فيعود لا يخلو من السائرين.

ذلك هو طريق الهداية وطريق الله، وذلك هو الطريق القويم الذي ارتضته الأمة المحمدية سلفًا وخلفًا، وهم عليه سائرون إن شاء الله إلى يوم الدين[٢].

وهذا الطريق هو الصراط المستقيم الذي دلنا عليه نبينا محمد ﷺ، وهو طريق النجاة، والطريق الموصل إلى الجنة التي أعدّها الله للمتقين، جعلني الله وإياكم منهم.

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٠هـ، ص١٠٣ -١٠٤.

(٢) عمر سليمان الأشقر، معالم الشخصية الإسلامية، ط٥، ١٤١١هـ، دار النفائس، عمان الأردن، ص ٧.

المجالسة في الصغر

يتمثل الفرد طريقة الحياة التي يعيشها ممن يحيطون به، ويتربى في كنفهم فيتأثر بسلوكهم وتفكيرهم وعقيدتهم التي يدينون بها.

وإنه لمن المستحيل على الشخص أن يعيش طوال حياته بمفرده بعيدًا عن المجتمع، ولو صادف أن إنسانًا عاش في صحراء بمفرده دون أن تقدم له أسباب الحياة، فإنه سوف ينتهي سريعًا؛ لأنه لن يحيى عاريًا، أو جائعًا، أو أعزل، بل إنه سيفتقر إلى كل الصفات الذهنية، وكل أنواع المعرفة والمهارة، والبشرية التي يكتسبها الإنسان من وجوده في المجتمع، مفتقرًا إلى القدرة على استخدام أبسط وأعم الأدوات، وأكثرها ضرورة في الحياة[١].

وأهم من ذلك كله كيف له أن يقيم واجب العبادة التي خُلق من أجلها على منهجها الصحيح؟

ويعد أفراد الأسرة أول جلساء الفرد ومن خلال ارتباطه بهم تنمو شخصيته الدينية، والجسمية، والصحية، والعقلية، والأخلاقية، ومن خلالها يتلقى التربية، ويكتسب العقيدة فينبغي المحافظة على فطرته وصيانتها بالتربية والتوجيه والحفاظ على سلامتها؛ لأنها قابلة للانحراف والمرض.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..."**[٢].

---

(١) صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف ٣٠٦/٢-٣٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥/٣-٢٤٦، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث ١٣٨٥.

ولذلك لا نعجب أن يكون الأبناء بعيدين عن الطريق السوي إذا كان الآباء يعملون على انحراف فطرة أبنائهم.

يقول ابن تيمية في ذلك: "قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولدت عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة"[١].

والمرحلة الأسرية من أهم مراحل التلقي في حياة الناشئ فهي مرحلة الليونة والمرونة وتشرب الناشئ لكل ما يحيط به[٢].

وما يزيد تأثير الأسرة في الناشئ ويؤكده مدة الطفولة التي يجلسها في كنفها، فطفولة الإنسان هي أطول طفولة بين المخلوقات، ثم يلازمه الارتباط بها طوال حياته.

والطفولة البشرية تزداد طولاً بازدياد التقدم البشري؛ حيث إن الطفولة قديمًا كانت قصيرة بالنسبة إلى الطفولة في العصر الحديث، ففي الزمن السابق كان الطفل ينتزع من طفولته انتزاعًا ليساعد أهله، ويقوم ببعض الأعمال التي تجلب عليه له ولأفراد أسرته وقبيلته المنفعة، حيث كان الأبناء يستخدمون في الأعمال اليدوية الشاقة وفي الغزو والحروب وغيرها.

ومع تقدم المدنية وظهور المخترعات الحديثة واستخدام الإنسان للتقنية، طالت تدريجًا طفولة أجياله الناشئة حتى كادت تصل إلى الثلاثين

---

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٣٨٤/٨.

(٢) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر ص ٢٩٩.

عامًا، بسبب اعتماد الفرد على غيره حتى يصل إلى هذا السن، حتى قيل: إن رقي شعب ما يقاس بطول مدة طفولة أبنائه، وربما استمر هذا الأمر بسبب تزايد الخبرات البشرية واتساع آفاق المعرفة وتشعب مجالات الاختصاص[١]. حتى طفولة جيل اليوم تكاد تبلغ ثلث حياته كلها[٢].

ومن خلال نشأة الفرد داخل الأسرة تتطور علاقاته ومجالساته إلى خارج محيطها.

فإذا كان الالتزام الشرعي هو الذي يغشى الوسط الأسري فإن نمو الفرد عقائديًا، وخلقيًا، واجتماعيًا يكون نمُوًا صالحاً سليمًا، فيتطلع الفرد دائماً إلى الجماعات الصالحة والتكوينات الملتزمة والجلوس إليها، والاستفادة منها، والتعامل مع أفرادها.

ومن خلال ذلك يتعلم الحلال من الحرام، والفضيلة من الرذيلة، والصواب من الخطأ، والخير من الشر، والمعروف من المنكر، ويتوافق صلاحاً وفسادًا بحسب قوة المؤثر في حياته، ليهيب به لسلوك هذا المنحى أو ذاك.

وإذا كان السوء هو الذي يغشى الأسرة فإن نمو الفرد يصبح نمُوًا عليلاً سقيمًا يدله على الارتباط مع الجماعات الشريرة والجلوس إلى رفقاء السوء، فتكون تلك التجمعات مانعًا قويًا يحجب الفرد عن الجلوس إلى أهل

---

(١) إلياس ديب، عالم الولد، دار الفكر اللبناني، ط١٩٨٦م، ص٩٢-٩٣.

(٢) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، مرجع سابق ص٦٤.

الصلاح والخير، وبالتالي تعرقل تكوينه لعلاقات اجتماعية سليمة، وتحد من تفاعله المثمر، بل إنها تأخذ بيده إلى طرق الانحراف فتصبح شخصيته عدوانية على خالقها وبارئها، ثم على بني البشر فتنشر الخراب والفساد أينما تحل، لا أمل في أن يرجى منها أدنى نفع فتخسر بذلك طريقها في الدنيا والآخرة إلا من رحم الله[1].

لذلك كانت المسؤولية على الأسرة كبيرة فهذا البقاء الزمني للفرد بين أعضائها يحمِّلهم أمانة عظيمة يجب الوفاء بها، وأخذ الحيطة والحذر من عواقب إهمالها.

فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: "**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها، وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**"[2].

فعلى المرء أن يهتم برعيته اهتمامًا بالغًا، ويشتغل بإصلاحهم وتأديبهم وتعليمهم، وترغيبهم في مجالسة أهل الصلاح والتقوى، وترهيبم من مصاحبة أهل الفساد والخراب.

---

(١) عبد الحميد العبد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية، ص ٧٦٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ١١١/١٣، رقم الحديث ٧١٣٨.

تدرج العلاقات الأوّليّة

يميل الإنسان منذ أن كان طفلاً في لعبه وتعاونه وصداقته، وزعامته ومكانته الاجتماعية إلى مجالسة الأفراد والجماعات من حوله، ويسفر في عناده ومنافسته ومشاجرته عن نفوره من بعض الأفراد أو الجماعات.

ومن مظاهر الألفة والاجتماع في الصغر ما يأتي[١]:

١- اللعب:

بينت بعض الدراسات أن سلوك الفرد الأولي في ممارسة اللعب يتطور خلال السنوات الست الأول من عمره في خطوات متعاقبة، ويتدرج خلال المراحل التالية:

أ- مرحلة الملاحظة العابرة: حيث ينتقل الفرد عندما يكون صغيرًا بملاحظاته، وانتباهه من موضوع إلى موضوع بسرعة، ويطلق على هذه المرحلة مرحلة الأخذ والنبذ؛ حيث يأخذ الشيء الذي تتوق إليه نفسه، ثم سرعان ما ينبذه لينتقل إلى سلوك آخر.

ب- مرحلة الملاحظات: وتبدأ عندما يستمتع الصغير بملاحظة الأطفال الآخرين، ومراقبتهم دون أن يشترك في ألعابهم.

ج- مرحلة اللعب المستقل: وتبدأ عندما يلعب الطفل بمفرده مستقلاً بنشاطه ولعبه عن الآخرين.

---

(١) فؤاد البيهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، مرجع سابق، ص ٢٢٤-٢٥٣.

د- مرحلة اللعب المتناظر: وتبدأ حينما يعتمد على ذاته مع تقليد أترابه في ألعابهم وهو منعزل بعيدًا عنهم.

هـ- مرحلة اللعب الانفرادي المتناظر: وتبدأ حينما يلعب الطفل مع الجماعة مع اختصاصه بفرديته، وفي هذه المرحلة يجتمع الأطفال في مكان واحد، ويقوم كل واحد منهم بنشاطه منفردًا عن الآخرين.

و- مرحلة اللعب التعاوني الجماعي: وتبدأ هذه الجماعة قبيل المدرسة مع جيرانه في الحي أو مع من تتيح له الأسرة الاختلاط معهم، ويخضع الطفل في لعبه لروح الفريق، ويؤدي عملاً أساسيًا معينًا يخضع فيه لرائد أو زعيم في المجموعة يوجه نشاط الجماعة في ألعابها.

ز- مرحلة العصبة: وتمتد من السنة السادسة إلى قبيل المراهقة ثم تتطور لتتخذ لنفسها صورًا أعمق خلال المراهقة، والعصبة تسيطر سيطرة كبيرة على أغلب نشاط الفرد، وتجذبه إلى الجلوس معها؛ لأنه يرى فيها مجتمعًا صغيرًا يحقق له رغباته وأحلامه، وهي في صورتها السوية تتطور إلى المنظمات التي يرعاها المجتمع كالدعاة والعمل في مجال المنظمات الخيرية، أو الانخراط في الكشافة، والجوالة، وبعض منظمات الشباب الأخرى، وهي في صورتها السيئة تبدو في رفقة السوء الذين يجتمعون على قارعة الطريق للسخرية من المارة، وارتكاب المحرمات من تدخين وسرقة وغيرها، ثم تتطور إلى الاجتماع في مكان خاص يتخلله كثيرًا من الأشياء المحرمة وعلى رأسها اللهو والغناء.

٢- التعاون:

يولد الطفل على الفطرة إلا أنه يتأثر بمن حوله ويتطور في سلوكه شيئًا فشيئًا، فيتعاون مع الراشدين ويصادقهم ويجلس إليهم، وهو بهذا السلوك يقترب اقترابًا واضحًا من الجماعة التي يحيا في إطارها ويجالسها.

وعندما يصل إلى مرحلة النضوج يدرك أن التعاون دعامة قوية من دعامات حياة الناس، والفرد الناضج يدرك أن أغلب مواقف الحياة تصطبغ بالتعاون كما تصطبغ بالتنافس الشريف.

٣- الصداقة:

تعتبر من أقوى مظاهر الألفة بين الأفراد، وهي تبدأ بين اثنين ثم تستطرد في نموها تبعًا لزيادة الصلة والمجالسة بين الفرد وغيره من الناس الآخرين، ومن أهم عوامل قيامها التماثل وتشابه العمر الزمني، والنمو الجسمي، والمستوى العقلي، والتحصيل المدرسي، والقدرة اليدوية، والموافقة الفكرية، والنظرة المتطابقة لتقييم الأمور.

٤- الزعامة:

يتجلى ظهور الزعامة في عين الفرد مع بداية صداقاته وعند مجالسته لمجموعة من أقرانه، وهي ما تكاد تظهر عند أحدهم حتى تختفي، وتظهر عند فرد آخر، ويؤدي ذلك الانتقال إلى عراك ومشاجرة، ومن ميزاتها ضخامة التكوين الجسماني إلى حد ما، وزيادة الطاقة الحيوية، والنشاط اللغوي والعضلي وتتطور الزعامة في مرحلة المراهقة وتتخذ لنفسها سمات

جديدة فالذي يتزعم المجموعة فيما بين ١٢-١٤ سنة يتميز بشخصية قوية، والذي يتزعمهم فيما بين ١٤-١٦ سنة يتميز بذكاء حاد يشرح من خلاله الأمور المبهمة لأفراد مجموعته، والذي يتزعمهم فيما بين ١٦-١٨ يتصف بدرجة عالية من الذكاء إلى جانب اكتسابه لبعض الخبرات والممارسات العملية، وفي خلال هذه المرحلة تنشأ مجموعات المجالسة والتوجيهات والميول، والتي ربما استمرت إلى آخر مراحل العمر.

٥- مظاهر النفور:

تمر بالناشئة حالة من النفور من تعليمات المنزل وطلب التغيير لمجرد التغيير وتتمثل فيما يلي:

أ- العناد:

وتتلخص مظاهره في الغضب من النظام داخل الأسرة وعلى تعليمات الآباء وعصيان أوامرهم.

وتهدف التنشئة السوية إلى مساعدة الطفل المرور بهذه المرحلة، ومحاولة نقل السلطة من الأب إلى الفرد ذاته، فلا يكثر عليه اللوم حتى يمسي وهو ينهى نفسه عما كان يُنهى عنه.

ب- المنافسة:

تبلغ المنافسة ذروتها في السنة الخامسة والسادسة ثمّ تتطور بعد ذلك من منافسة فردية إلى منافسة جماعية وتظهر جلية عند ممارسة الألعاب وكذلك خلال التحصيل الدراسي وهي مظهر من مظاهر حث الفرد على

الطموح والنجاح وتحقيق المثل العليا.

ج- المشاجرة:

يتشاجر الأطفال لأتفه الأسباب، وسرعان ما يعود الود والوفاق بينهم من جديد، وتظهر المشاجرة في تحطيم الطفل الأشياء، وأخذها من غيره، والصراخ والبكاء، والضرب، وكل ما يدل على السلوك العدواني، وتكثر المشاجرة بين الذكور، وتَعْمَدُ الإناث على المشاجرة اللفظية من ذم وهجاء ونحوه، على قدر حصيلتهن من المفردات اللغوية، والمراحل العمرية التي يعشن فيها والتوجيه الذي تلقينه.

ومنها المكايدة، وتكمن في مناصبة الطفل العداء لخصم من الأقران، وتبدأ بالسخرية من مظاهر نموه الجسمي، وتنتهي بالاستفزاز الفعلي والإيذاء البدني.

المجالسة في الكبر

يعيش الإنسان عمومًا داخل جماعات تعددت أسماؤها وأهدافها ومثلها وعقائدها، وضمن هذه الجماعات يتفاعل الإنسان أخذًا وعطاء، ويطلق على هذا التفاعل الاجتماعي مصطلح العمليات الاجتماعية، وتتعدد أشكال التفاعل بتعدد أهدافه، وبالتالي تتعدد أشكال ونوعيات العمليات الاجتماعية، وهناك من هذه العمليات ما يجمع ويطلق عليها العمليات المجمعة "Associative Processes" كالتعاون والإخاء والزواج... الخ، ومنها ما يؤدي إلى التشتت والتنافر وهي العمليات المفككة Dissociative.

وتعدّ المجالسة والمخالطة من أهم العمليات الاجتماعية وأخطرها شأنا في حياة الفرد؛ لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته في الكبر، وتقوم الأسرة بدور هام ورئيس (كما ذكرنا) في إكسابه خصائص معينة حيث تعلمه لغة الجماعة، وعقيدتها، وعاداتها، وأعرافها، وتقاليدها، وآدابها، ويستمر هذا التأثير في المؤسسات الاجتماعية الأخرى، كالحي، والمدرسة، والأصدقاء، ووسائل الإعلام وغيرها، ففي جلوس الفرد واحتكاكه بهذه المؤسسات كمجموعات وكأفراد تأثير سلبي أو إيجابي على سلوك الفرد وتصرفاته طوال حياته.

فالفرد عندما يولد يتولى المجتمع بمؤسساته تربيته وتعليمه وحفظ فطرته وإبراز جوانب الإيمان في نفسه، ويعيش على بصيرة يسعد في دنياه وآخرته فتمتزج أفعال الخير في سلوكه، وتصبح جزءا لا يتجزأ من شخصيته، وإذا

كانت البيئة التي تربّى فيها منحرفة، فسوف تضعف فطرته وتشوه، ويحرفّها القائمون عليه والمجالسون له، فتظهر شخصيته نتاجًا لذلك الانحراف، فيميل إلى الفساد والضلال بعد أن تربى في كنفه وبين أوكاره، فيصبح بدوره مصدر إشاعي للشر يرسله على سجيته عفوًا بلا تكلف(١).

وهكذا تجد الفرد ينمو من طفل ضعيف لا قوة له إلى عضد مسئول في جماعة وفي جماعات يحتويها المجتمع الكبير الذي يعيش فيه، فيعبد الله تعالى ويقوم بتربية أولاده وغيرها من الممارسات سواء كانت دينيّة أو دنيويّة، كل ذلك يتحقّق سواء على مستوى الفرد أو الجماعة.

والفرد في علاقاته مع الجماعة يجد نفسه أمام مسؤوليات عدة، منها: علاقاته مع الأفراد الآخرين على ضوء ما يقدمه لها، فقد يكون الفرد شخصًا عاديًا أو مصلحًا أو طبيبًا أو قائدًا(٢).

والإسلام يحمل الفرد مسؤولية كبيرة في تغيير الحال إلى الأصلح من خلال موقعه، وخصوصًا إذا رأى أمرًا منكرًا، فعنه ﷺ أنه قال: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"(٣).

---

(١) نبيل السمالوطي، التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، دار الشروق، جده، ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٩٦-٩٧.

(٢) حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط٤، ١٩٧٧م، ص ١٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٦٩/١ حديث ٧٨.

أهمية الحياة الاجتماعية للفرد:

إن الفرد عندما يكبر يميل إلى الجماعة وهذا الميل ليس عبثًا، أو ترفًا، بل ذو أهمية بالغة لحياة الإنسان وانسجامها، ويتجلى ذلك فيما يلي[1]:

١- تحقيق الكثير من حاجات الإنسان الأولية التي لا تتم إلا بتعاون اجتماعي؛ لتوفير الغذاء، والمأوى، والأمن، منذ كونه طفلاً عن طريق والديه، ثم بتكافل الأفراد، وقيام كل منهما بعمل يخدم المجموع؛ حيث إن كلاًّ ميسّر لما خلق له.

٢- يتعلم الفرد تعاليم الدين والعقيدة الصحيحة التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

٣- أداء بعض الأعمال العبادية لا يتم إلا من خلال الجماعة؛ كالمحافظة على صلاة الجماعة، والحج وغيرها.

٤- الجلوس مع الجماعة يمنح الفرد ترجمة الدين الإسلامي إلى واقع عملي يطبق في الحياة من خلال التواصي، والتذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- كلما كانت الجماعة تعمل على تطبيق الكتاب والسنة في حياتها، قربت بين الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية.

٦- معاونة الآخرين له عن طريق حل مشكلاته بالمشورة والمعونة،

---

(١) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ط٢، ١٤٠٥هـ، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض ص ٣٠٧-٣٠٨.

فالتفكير الجماعي والمشورة يهدي بعون الله إلى رأي سديد.

٧- الشعور بالقوة والعزة عند إحساس الفرد أنه جزء من جماعة.

٨- طمأنينة الفرد بالأمن الاجتماعي الذي يحميه فهو عضو في هذا الجسم الاجتماعي يتألم لضرره ويسعد لسعادته.

٩- تعلم خبرات وتجارب سلوكية عن طريق الاحتكاك بالآخرين، اقتداء، وتقليدًا وإيحاء ومناقشة، فالجماعة من أجود الأمكنة لإمكانيات التعليم.

١٠- إظهار آراء الفرد ذاته وأفكاره عن طريق الاستماع إلى الآخرين، والتحدث إليهم.

١١- سعادة تكوين الأصدقاء الصالحين واللقاء بهم ومجالستهم والاستفادة من خبرتهم ومشورتهم.

١٢- إشباع رغبات الفرد في الفرح والسعادة؛ حيث إنها لا تكتمل إلا بوجود الفرد في جماعة فالاحتفال في الأفراح والأعياد والمناسبات لا يكتمل إلا من خلال وجود الجماعة.

ولقد نهى الدين الإسلامي عن التفرق والاختلاف وأوصى بالتآلف والانسجام والتعاون، ولكي يصل الإنسان إلى هذه المنزلة من التآلف مع من حوله من الناس لابد أن يحد من حبه لذاته وأنانيته، وأن يُغلّب مصلحة الجماعة المسلمة على مصلحته الشخصية.

وقد أشاد القرآن الكريم بالتآلف والتعاون والتماسك والتآخي، قال

تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ ... هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[(٢)].

والإنسان يحتاج إلى أخلاء وأصدقاء يأنس بقربهم ويحبون قربه، ومن طبيعة الأصدقاء أن تكثر بينهم المعاشرة والمخالطة، ويؤثر أحدهما في الآخر، وتنتقل إليه أخلاقه وسلوكه في الحياة، حتى ليصبح الصديق عنوانًا لصديقه وصورة قريبة منه[(٣)].

وقد زودنا الإسلام بأعظم النصائح والتوجيهات ورسم لنا الطريق إلى اختيار الأصدقاء الذين ينتظر أن تدوم مودتهم وتصدق عشرتهم، وأرشدنا أن نؤثر أولئك النفر الذين يربطون أعظم الصلات بالله سبحانه وتعالى دون غيره، وتحكيمهم وقياسهم للأمور يأتي على ضوء ذلك، يجعلون الله سبحانه وتعالى نصب أعينهم في سرهم وجهرهم، ويرعون حقّه وأوامره في صلاتهم بالناس في غيبتهم وحضورهم غير ناظرين إلى أموال الناس

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان (٦٢-٦٣).

(٣) محمد جمال الدين محفوظ، التربية الإسلامية للطفل والمراهق، دار الاعتصام، بدون تاريخ، ص٢٠٦.

ومراكزهم أو جاههم، أو اتقاء شرهم أو رجاء نفعهم؛ لأن صلة الحب والمعاشرة في الله هي الدائمة حيث يباركها الله وينميها في الدنيا ويظل أصحابها بظله في الآخرة[١].

وقد وجه القرآن الكريم المسلمين إلى الأخوة، والمحبة، والتعاون، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي"**[٤].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **"ثلاث من كن فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان..."**. وذكر منهن: **"أن تحب المرء لا تحبه إلا لله"**[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وذكر منهم: رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه**

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧.

(٢) سورة التوبة، آية (٧١).

(٣) سورة الحجرات، آية (١٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، ٤/١٩٨٨، حديث ٢٥٦٦.

(٥) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر ١/٧٢، حديث ٢١.

وتفرقا عليه"[١].

أما مخالطة الظلمة المفرطين في حق الله فإن ذلك يؤدي بالمرء إلى الهاوية في الدنيا والآخرة، وقد حذر القرآن الكريم من الركون إليهم

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[٢].

وأرواح الخلق تنجذب إلى أشباهها صلاحًا وفسادًا، كما في الأثر: "عن جعفر بن عدم، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبدالله ابن مسعود ﷺ قال: إن الأرواح جنود مجندة تتلاقى فتشامُّ كما تشامُّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"[٣].

إن الإنسان الذي ينشأ تنشأة سوية يشعر بمحبة الناس فيتقرب منهم ويلتمس حاجاتهم، يأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحسن معاملتهم، ويمد يد العون إلى من يحتاج منهم إلى مساعدة حسب ما أمره بذلك الإسلام، بل إن الإسلام أوصى بالصبر على أذى الناس وتحمل ذلك؛ من أجل أن تتماسك الجماعة، وتقوى أواصر التحاب والتآلف بين المسلمين، وتزداد الأخوة والمحبة والترابط[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، ١٤٣/٢، باب من جلس في المسجد، حديث ٦٢٠.

(٢) سورة هود، آية (١٣)، أو (١١٣).

(٣) ابن القيم، الروح، ص ٣١.

(٤) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ، ص ٨٤-٨٥.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾[(١)].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"**[(٢)].

فمن صفات المؤمن أنه لين الجانب سمح المعشر يألف ويؤلف.

فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **"المؤمن يألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"**[(٣)].

وحب المؤمن للناس وجلوسه إليهم يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى: لا لغرض منفعة عاجلة أو آجلة، أو سعيًا وراء منصب أو مال أو جاه، بل رغبة في مرضاة الله وفضله، واتباعًا لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

ولقد مدح الإسلام المجالس التي فيها قرب من الله سبحانه وتعالى.

فعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ لما قضى صلاته أقبل إلى الناس، وألوى أعرابي بيده إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا =يعني صفهم لنا=، فسُرَّ وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: **"هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل**

---

(١) سورة التوبة، آية (٧١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من خصال الإيمان ٢/٣٥ بشرح النووي.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٤٠٠، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم٤٢٥.

بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(١).

فالاجتماع بالناس والجلوس إليهم ابتغاء مرضاة الله يعد فضيلة من أعظم الفضائل.

حيث إن تزاور الناس بعضهم لبعض واجتماعهم في جلسات ابتغاء مرضاة الله ومن أجل التناصح والتشاور في أمور الدنيا والآخرة التي تهم كل فرد من المسلمين، يقوي الروابط بين أفراد المجتمع ويعمل على وحدة المجتمع واستقراره.

فالأفراد يشكلون اللبنات الأساسية في بناء المجتمع، فإذا تفككت بينهم الروابط، وانقطعت بينهم الصلة انهار المجتمع كما ينهار البناء إذا تفككت أجزاؤه.

ولقد جاءت تعاليم الإسلام لتؤكد على هذا الجانب، وتحث المسلمين على التآخي والتزاور والتشاور وإسداء النصح، حتى يظل بناء المجتمع الإسلامي مستقرًا ثابتًا لا تؤثر فيه عوامل الهدم ومعاول التخريب التي يوجهها إليه أعداء الإسلام(٢).

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٤٣، صحيح ابن حبان ٢/٣٣٢، ٥٧٣.

(٢) محمد عثمان نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٨٨-٨٩.

فعن النعمان بن بشير أن الرسول ﷺ قال: "**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**"(١).

ولم يكتف الرسول بدعوة المسلمين إلى التحاب والتواد، والإخاء، والتعاطف، والتعاون، والتماسك، بل طبق ذلك عمليًا في مجتمع المدينة النبوية بعد الهجرة، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار فقوي روابط الأخوة والمحبة والتكافل بين أفراد المجتمع، حتى وصل الأمر أن يتنازل الرجل من الأنصار عن امرأته إلى أخيه المهاجر(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٤٣٨/١٠ مع الفتح، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن السباب ١٤٠/١٦ بشرح النووي واللفظ له.

(٢) نجاتي، المرجع السابق ص ٨٩.

علاقات المجتمع الإسلامي في العصر الأول

كانت المجتمعات قبل ظهور الإسلام تحتكم إلى حكم الجاهلية التي تعتمد على العصبية والجبروت وعبادة الأوثان والأصنام، تسوقهم إلى ذلك الأديان المحرفة والعقائد الفاسدة والتعصب للقبيلة والالتزام بعاداتها، وعندما جاء الإسلام انتزع الناس من هذه الجهالة في العبادة وصرفهم إلى عبادة الواحد القهار وقضى على العصبية وحل مِحلها مبدأ التسامح والمحبة والأخوة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١).

وأزاح روح القبلية من بينهم ليوجد فكرة الأمة الواحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٢).

فأصبحت أخوة الإسلام في هذه الأمة فوق أخوة النسب، فترابط المجتمع وأصبح أسرة واحدة تمتد أعماقها في كل أرجاء العالم الإسلامي يتألم المسلم لألم أخيه، كما يفرح لفرحه، ويعاونه على الخير، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر(٣).

وقد جاء الحديث وأكد هذا المعنى، قال رسول الله ﷺ: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره**"(٤).

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٠).

(٢) سورة الأنبياء، آية (٩٢).

(٣) عبد الرشيد عبد العزيز سالم، طرق تدريس التربية الإسلامية، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت ١٤٠٢هـ، ص ٥٦.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم ١٢١/١٦ بشرح النووي.

فَتَمّ تطبيق ذلك على المجتمع الإسلامي الأول فتكافأ الناس في الحقوق والواجبات فلا ميزة لحسب أو نسب، ولا لجاه أو سلطان فالكلُّ سواء في العبادات والمعاملات لا يتمايز أحدهم عن الآخر إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١].

وهكذا أوجد الإسلام أمة لا يعيش أفرادها لأنفسهم وإنما يعيشون لأمتهم يفدونها بأرواحهم ودمائهم وأموالهم، وقياسًا على ذلك ليس من قبيل المبالغة أن تقول: إن كل مجتمع يسم أفراده بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى.

وبالقدر الذي يكون فيه المجتمع صالحاً ومحافظًا على العقيدة والأخلاق بقدر ما تكون شخصيات أعضائه سوية ومتزنة ومتكاملة، وبقدر ما يكون المجتمع طالحاً فاسدًا ومتحللاً من ثوابت العقيدة الصحيحة تصبح شخصيات أفراده مفككة وجانحة عن طريق الصواب[٢].

ولقد أقام الإسلام عوج الحياة الجاهلية وأصبح الناس أسرة واحدة، ولا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ إلا بالتقوى[٣].

وأضحى المسلمون كالجسد الواحد بعد أن اقتلع الرسول ﷺ جذور الجاهلية وسدّ كلّ نافذة من نوافذها[٤].

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٣).

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ص ٨٤٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤١١، وصححه الألباني في تخريج أحاديث شرح الطحاوية رقم٤٦١.

(٤) أبو الحسن علي الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٤٢.

فأصبحت الطبقات والأجناس في المجتمع الإسلامي متعاونة ومتعاضدة لا يبغي بعضها على بعض، فالرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، والنساء صالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع والمرأة راعية والخادم راع كل فيما يخصه، وهكذا كان المجتمع الإسلامي مجتمعًا رشيدًا كل فئة فيه مسئولة عما تؤديه وتطبق في ذلك أحكام الإسلام، فسما المجتمع، وأصبح الناس أعوانًا للحق، جلساء صلاح، وأمرهم شورى بينهم(١).

والمتتبع لدراسة المجتمع الإسلامي في العصر الأول، يجد أن الإسلام قدم لنا الصورة الواقعية للمجتمع، بل إنه قد استطاع أن يصنع من الواقع الإنساني في العصر الأول على ما فيه من انحراف، واقعًا اجتماعيًا جديدًا، ظهر فيه تطبيق الإسلام مناسبًا جليًا فالتف الناس حوله ينهلون من نبعه الصافي بعد عهود من الضياع والانحراف، فتشكل المجتمع سريعًا من مجموعات متلاحمة متجانسة يؤثر بعضهم في سلوك بعض سريعًا نحو الخير والصلاح، وقد بينها القرآن على النحو التالي:

١- مجموعة المهاجرين:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(٢).

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) سورة الحشر، الآية (٨).

٢- مجموعة الأنصار:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)].

٣- مجموعة الذين جاءوا من بعدهم من الأبناء والأحفاد والتابعين بإحسان، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)].

فقد ارتبطت المجموعات الثلاث، وتماسكت بالعروة الوثقى في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف بتزايد الإيمان في قلوبهم، فتخطى ذلك حاجز الزمان والمكان والجنس والنسب، وكانت القرون الثلاث الأولى مضرب المثل في الإيمان والعمل، والوفاء، والصدق، والالتزام بجميع ما جاء به الشرع فكان ذلك مصداقًا لقوله ﷺ: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**"[(٣)].

إن التآلف الاجتماعي وارتباط الأفراد بعضهم ببعض ومجالسهم

---

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

(٢) سورة الحشر، الآية (١٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ٥/٢٥٩، رقم الحديث ٢٦٥٢ مع فتح الباري.

الإيمانية في القرون الثلاثة الأولى لم يكن قد تكون بين جنس ملائكي، بل على العكس من ذلك، قد نشأ في مجتمع كان بعض أفراده قد أفسدت فطرهم عادات اجتماعية فاسدة، وعقائد دينية منحرفة، إن ذلك التآلف الذي يحسبه البعض من ابتداع الخيال كان قد حصل فعلاً، وعاش فعلاً، وكان لبشره من الغرائز ما لنا، ومن الميول ما عندنا، ومن المغريات ما في حوزتنا، بالإضافة إلى أنهم كانوا من قبائل متنازعة، وعشائر متنافرة بحكم استحكام مسلمات الأُلف والعادة، وضيق آفاق الروابط السائدة قبل الإسلام، ولكن القلوب ائتلفت بالإسلام فانسجمت، فأصبحوا بنعمة الإيمان إخوانًا[١].

(١) محمد التومي، مرجع سابق ص ٢٨٣.

عوامل اكتساب الجليس

تنقسم العوامل المؤثرة في اكتساب الجليس إلى نوعين[(١)]:

منها ما هو ذاتي خاص بالفرد نفسه كحالة الفرد الصحية والنفسية وذكائه وتحصيله العلمي ومدى وعيه وإدراكه وإرادته الذاتية.

ومنها ما هو بيئي: وهو ما يرتبط بالتأثيرات الخارجية كالأسرة، والوسط التعليمي، والرفاق والمجتمع.

أولا: العوامل الذاتية:

١- صحة الفرد الجسمية والنفسية

يتأثر الفرد وخصوصًا عندما يكون مراهقًا تأثرًا كبيرًا بحالته الصحية سواء كانت جسدية أو نفسية، فالفرد الخالي من العاهات الجسمية أو الأمراض النفسية يقبل على النشاط الاجتماعي والاحتكاك بالناس ومجالستهم والارتباط بالجماعة بثقة واعتداد بالنفس، فهو لا يشعر بأي حرج أو نقص أمام الآخرين، وهذا من شأنه أن يساعد على اندماجه في الجماعة التي ارتضى لنفسه الانضواء تحت لوائها.

أما الفرد الذي يعاني من الأمراض أو العاهات فإنه يشعر من الخجل في مجارات الأفراد الأصحاء وخصوصًا من يجتمع معهم لأول مرة، ظانًا أن عيوبه محط أنظار الآخرين، واهتماماتهم فتضعف بذلك ثقته في نفسه، وتقل طمأنينته إلى الناس، فيكف عن المشاركة في اجتماعاتهم وحضور جلساتهم.

---

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ص ٧٦٧-٧٩٦.

وقد أشار الإسلام إلى عدم تحقير المسلم بمثل هذه الأمور.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره**"(١).

فرب صاحب عاهة صحية يجري الله على يديه الكثير من الخير لنفسه ومجتمعه، فالمعاق من أعاق الله بصيرته عن رؤية الحق، واتباعه، والدعوة إليه والمنافحة عنه.

٢- المستوى العقلي للفرد

إن العقل منحة من الله سبحانه وتعالى للإنسان، وقد أمره باستخدامه في التدبر والتفكر في هذا الكون، والوقوف على قدرة الخالق سبحانه وتعالى وبالتالي توحيده وعبادته وعدم الإشراك به، والاحتياط للآخرة بالعمل الصالح في الدنيا.

والفرد في سلوكه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته يتأثر بمستوى ذكائه وقدرته العقلية ونضج تفكيره واتساع مداركه وازدياد فهمه ويعدّ المستوى العقلي للفرد إلى حد بعيد أساس سلوكه ونجاحه في حياته الدنيوية والأخروية إذا استخدم هذه الهبة في طريق الصلاح، وارتبط مع جلساء الخير.

فنجاح الفرد في تحصيله الدراسي ونجاحه في الحقل المهني والعملي يتم بتوفيق الله سبحانه وتعالى، ثم بما وهبه الله سبحانه وتعالى من عقل يستخدمه في اجتياز ومجابهة أعباء الحياة، وقدرته على التكيف وبناء

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم ١٦/١٢ بشرح النووي.

علاقات اجتماعية سليمة مع الأفراد والجماعات.

يقول شيخ الإسلام: "لقد هدى الله سبحانه وتعالى خلقه من بني آدم بتميزهم بالعقل، وبما أرسل لهم من الرسل والكتب وهداهم إلى العلم والمعرفة، حيث يتوصلون من خلالها إلى السعادة في الدنيا والآخرة"[(١)].

٣- الإرادة الذاتية

تأتي الإرادة الذاتية للفرد بعد اكتمال نضجه العقلي وهو بلوغ سن الرشد، وهو سن التكليف الشرعي للفرد بحيث يكون محاسبًا عن أفعاله شرعًا، فالإرادة الذاتية بعد بلوغ هذا السن ذات أثر فعال في اختيار الجلساء، واتخاذ المواقف والاتجاهات وبنائها وتعديلها، وكسب الصالح منها ورفض السيء، لأن الفرد الإنساني بما زوده الله سبحانه وتعالى من فطرة وعقل وقدرة على التفكير والتمييز، وحرية في الإرادة والاختيار يستطيع أن يقرر أي الطريقين يسلك، فهو مسئول عن أقواله وأفعاله وجلسائه و تصرفاته وسلوكه ومواقفه واتجاهاته كلها، ومسئول مسئولية كاملة عن كل ما يترتب عليها من تبعات، وما تؤدي إليه من نتائج.

قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[(٢)].

وعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تكونوا إمَّعة إن أحسن الناس أحسنتم، وإن ظلموا ظلمتم، ولكن وطنوا أنفسكم إن**

---

(١) ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص ٦٥-٦٦.

(٢) سورة النجم، آية (٣٩).

أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظالموا"(١).

٤- حسن الخلق:

إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتتسهل عليه الأمور الصعاب وتلين له القلوب الغضاب(٢).

"وحسن الخلق أن يكون حسن العريكة لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة"(٣).

فالشخص الذي يتحلى بهذه الصفات يألفه الناس ويميلون إلى الجلوس معه والاستماع إلى حديثه يتطلعون إلى صحبته.

يقول ابن القيم رحمه الله: "إن حسن الخلق يوجب التوافق والتحاب ويثمرهما، ومحمودية المثمر توجب محمودية الثمرة، كما أن سوء الخلق يثمر التباغض"(٤).

قال تعالى واصفًا النبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٥).

وعن النبي ﷺ أنه قال: "**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"(٦).

---

(١) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو ٣٢٠/٤ رقم الحديث٢٠٠٧.

(٢) أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢٠٧.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٨.

(٤) ابن القيم، مفتاح السعادة ومصباح الريادة، ٢٤٥/٣، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ.

(٥) سورة القلم، آية (٤).

(٦) رواه مالك في الموطأ ٩٠٤/٢، وصححه الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة برقم٤٥.

وعنه ﷺ أنه قال: "**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، الموطأون أكنافًا الذي يألفون ويؤلفون**"(١).

ثانيًا: العوامل البيئية:

١- الأسرة:

وقد تحدثنا عنها في مبحث العلاقة والمجالسة في الصغر.

٢- الوسط التعليمي:

للوسط التعليمي الذي يرتاده الفرد ويجالس أعضاءه أثر كبير في توجيهه، واختياره لجلسائه يتم من هذا الوسط، فهي علاقة يؤثر فيها النظراء والمناهج الدراسية والمدرسين، والمشرفين، والمخيمات، والرحلات، وكل ما يؤديه أفراد هذه المجموعة يؤدي بالفرد إلى الاتجاه نحو مسلك معين ويختار جلساءه ضمن إطار ذلك الوسط.

فإذا كان الوسط التعليمي بأساتذته، ومربيه، ومشرفيه الذين هم القدوة المثلى، ومنهاجه وأنشطته وأهدافه التي هي وسائل بناء الشخصية السوية المتكاملة وسطًا صالحًا خيّراً، ساعد الفرد على الاندماج الاجتماعي السليم والتوافق النفسي المتزن واختيار الجلساء على ضوء ذلك.

وأما إذا كان الوسط التعليمي فاسدًا بعيدًا عن الدين يسلك فيه المربون والمشرفون سلوكًا شائنًا وعنيفًا، ويعطي الأسوة السيئة، وتحكم

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٤/٣٧٠، كتاب البر والصلة، حديث ٢٠١٨، ويراجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٧٩١.

علاقات التوتر وعدم الاحترام طلابه والعاملين فيه، فإنه لا شك يؤدي بالمرء إلى الانحراف والتفكك وعدم التكيف النفسي مع الأفراد الصالحين، والبحث عن الفئة المنحرفة والجلوس معها، والقيام على خدمة أهدافها إلا من رحم الله.

٣- وسط الأصدقاء:

يتأثر الفرد بعلاقته مع رفقائه الذين يرتبط بهم ويجلس إليهم، ويتفاعل معهم في الحي السكني والوسط التعليمي والمساجد.

وأفراد المجتمع بصورة عامة مكان الاختيار للرفقاء والجلساء فيكتسب بذلك الفرد منهم كل العادات، والتقاليد، والقيم، والاتجاهات التي يؤمنون بها، فيمتص الكثير من سمات سلوكهم وتصرفاتهم عن طريق الإيحاء والاستهواء والمحاكاة والتقليد.

ويقوى الميل الطبيعي للفرد لمجالسة أفراد من نفس السن التي هو عليها، خصوصًا إذا ما لاحظنا أنه يجد في هذه المجالسة إشباعًا لحاجاته النفسية والاجتماعية، كالحاجة إلى الاجتماع، والحاجة إلى التقدير والاستحسان، والحاجة إلى الحب، والحاجة إلى الأمن النفسي.

ويعتبر عامل الحاجة إلى الدين عاملاً مهماً في اختيار الفرد إلى جلسائه، فعلى ضوء ما يكون عليه من معتقد، والتزام بذلك المعتقد يتم الاختيار للجلساء، وتبرز الحاجة للارتباط بهم سواء كانوا من نفس السن أو من غيره.

كما يزيد ارتباط الفرد برفاقه والميل للجلوس معهم قوة حدوث ا لتغيرات العضوية والانفعالية في جسمه، التي قد يجد الحرج في الاستفسار عنها وفهمها من والديه أو معلميه، فليلجأ إلى رفاقه من نفس السن، ليبوح لهم عما يجول في خاطره، ويناقشهم للوقوف على ما يطرأ على أجسامهم من تغيير.

فالجلوس مع وسط الرفاق أمر واقع لا محالة لجميع أفراد بني الإنسان تقريبًا، وهو ضروري جدًا لاكتمال نضج الشخصية الإنسانية وبذلك فإن صلاح الرفاق ينعكس على تكوين الفرد وسلوكه لأخذ طريق الهداية والاستقامة.

والانضمام إلى الرفاق المنحرفين والجلوس لهم يقود الفرد إلى مزالق الانحراف وطرق الضلال.

وقد اهتم الإسلام بهذا الجانب وأكد أهمية تأثير وسط الرفاق على الفرد في نموه الخلقي والاجتماعي، ودعا الآباء والمربين إلى العناية التامة بتوجيه أبنائهم إلى مجالسة الأخيار الصالحين دينًا وخلقًا وسلوكًا حتى يقتدوا بهم، ويكتسبوا منهم الصفات الحميدة والخلال الفاضلة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**"[١].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**مثل الجليس الصالح**

---

(١) رواه أبو داود في السنن ١٦٨/٥، ٤٨٣٣، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٢٧.

والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة"[1].

٤- الوسط العام للمجتمع:

إن الفرد يعيش داخل المجتمع ويتأثر به، وما يجري داخل المجتمع يكون له صلة وثيقة بعقيدته التي يؤمن بها وعاداته، وتقاليده، ونظمه الثقافية والاجتماعية، وما يكتنفه من تغيرات وما يسوده من اتجاهات.

وجلساء الفرد جزئية صغيرة من المجموعة الكبرى التي تشكل المجتمع ويتكون منها.

فإذا كان المجتمع مجتمعًا إسلاميًا صالحًا يلتزم بالعقيدة الصحيحة، ويحافظ على الأخلاق الفاضلة، والآداب الكريمة، ويتبع أفراده سبل الفضيلة والخير والهدى، يأتمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يأخذون على يد الظالم ويقتصون للمظلوم، فإن العدالة تسود، ويكثر الصلاح بين أفراده بل إن الشواذ بين أفراده يكونوا قلة قليلة فينضوي الشر بعيدًا، ويبرز عامل الخير والصلاح، فلا يجد الإنسان فيمن يجلس معهم إلا الصحبة الطيبة التي تدل على الخير وتفعله.

أما إذا كان المجتمع فاسدًا يعمّ فيه المنكر، وتتفشى فيه الرذيلة، ويرتع فيه الفسق والفجور، وينحدر أفراده في مهاوي الغي والضلال فإنه يطمس

---

(١) رواه مسلم، كتاب البرِ والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ١٦/١٧٨ بشرح النووي.

الفطرة للناشيء ويبعدها عن خالقها، وكلما يمم وجهه صوب صحبة وجلس إلى زمرة وجد فيها العطب والتلف، فيمتد ذلك إلى نفسه فيفسدها ويصدها عن السبيل فتنطبع تصرفاته واتجاهاته بطابع السوء والفساد.

فالمجتمع أداة فعالة في التأثير وكل فرد من أفراده عليه مسئولية دينية وخلقية نحو نفسه ومجتمعه؛ لأن الأفراد يصلحون بصلاح المجتمع ويفسدون بفساده، ولأن صلاح المجتمع أو فساده إنما هو نتيجة طبيعية لصلاح الأفراد أو فسادهم.

وما صلح فرد إلا أصلح الله بصلاحه سواه، وما فسد فرد إلا أفسد بفساده غيره.

أنواع الناس ومجالسهم

دعا الإسلام إلى صحبة الأخيار ومجالستهم، وبيّن أن الناس في هذه الحياة مختلفون اختلافًا بينًا من حيث توجهاتهم ومعادنهم، فمنهم من حسنت طباعه فقمع نفسه عن لذاتها وردعها عن شهواتها وسار في طريق الإصلاح، وهذا هو الجدير بالألفة، والخليق بالتودد، فالخير معقود بمصاحبته، والسعادة مقرونة بمصادقته؛ لأن نفسه تطمع إلى الارتباط بالله وتنفيذ أحكامه[1].

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[2].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام وكل مؤمن في هذه الآية بمصاحبة الأخيار الذين ساروا على الهدى للاقتداء بهم والاقتباس من فضائلهم وعدم الزهد في مصاحبتهم والتطلع إلى من عداهم؛ لأجل الحصول على مظاهر الحياة الكاذبة، ثم نهى سبحانه عن مصاحبة الأشرار الغافلين عن ذكر الله الذين اتبعوا أهواءهم وجاوزوا الحق في أعمالهم وتوجيهاتهم[3].

---

(١) عبد الله بن جار الله، الجليس الصالح، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٨.

(٢) سورة الكهف، آية (٢٨).

(٣) عبد الله بن جار الله، الجليس الصالح، مرجع سابق، ص ١٤.

فهؤلاء لا خير يرجى منهم، ولا منفعة تعود من مجالستهم فالابتعاد عنهم راحة وعدم الارتباط بهم غنيمة.

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

وقال تعالى في معرض التحذير من قرناء السوء مبينًا ندامة من لم يحتط لنفسه في اختيار من يصادق: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2].

يخبر سبحانه وتعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق الذي لا مرية فيه وسلك طريقًا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفًا قائلاً: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**تجدون الناس معادن**

---

(١) سورة النجم، آية (٢٩).

(٢) سورة الفرقان، الآيات (٢٧-٢٩).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٣١٧.

(٤) سورة هود، آية (١١٣).

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[١].

وفي هذا بيان أن اختلاف الناس غرائز فيهم، كما أن المعادن ودائع مركوزة في الأرض فمنها الجوهر النفيس، ومنها الفلز الخسيس، وكذلك جواهر الناس فيها الزكي الرضي، ومنها الناقص الدني[٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ قال: "**إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك والخبيث، والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك"**[٣].

ويتبين لنا في هذا الحديث بعض صفات المقابلة التي عقدها رسول الله ﷺ بين صفات الأرض وصفات طبيعة البشر، فآدم عليه السلام خلق من جميع تراب الأرض، وحيث إن الأرض منها الأحمر والأسود، وبين ذلك جاء بنو آدم لهم ألوانهم المختلفة، فالأرض مختلفة المواقع والمناظر فمنها السهل الذي تطيب النفس لرؤيته والسير فيه، فجاء من الناس من هو حسن العشرة والمعاملة والصحبة طيب الخليقة يألف ويؤلف، ومن الأرض ما هو وعر صعب فيه المسير لما فيه من صخور وحجارة وغيرها فأتى بعض الناس متصفين بالغلظة وخشن الطباع وسوء المعاملة، والسهولة والحزونة في

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ١ رقم الحديث ٣٤٩٣، مع فتح الباري ٦/٥٢٥.

(٢) عبد العزيز المحمد السلمان، مورد الظمآن، ط١٨، ١٤٠٨هـ، ١/٧٧٣.

(٣) مسند الإمام أحمد ٦/٤٠٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦٣٠.

طبيعة الأرض ذات مفهوم يختلف عن السهولة والحزونة في الإنسان، فالأولى حسية ظاهرة، والثانية معنوية باطنة، ولقد ورد ذكرها في الحديث الشريف موضحة جملة صفات الأرض، وجملة صفات الإنسان ولتدل على الرابطة الرمزية بينهما[١].

والمؤاخاة في الناس على وجهين:

أحدهما: أخوة مكتسبة بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار.

والثانية: مكتسبة بالقصد والاختيار.

الأولى أوكد حالاً لأنها تنعقد عن أسباب موجودة فطرة في المتآخيين.

أما الثانية تعقد لها أسباب اختيارية، تنقاد إليها وتعتمد عليها بحسب قوتها وضعفها، وربما تكون تكلفًا وخديعة، فتصير المؤآخاة معاداة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**"[٢].

وعندما تكون مع الناس في طائرة، أو سيارة، أو مجلس أو نحوه، ترى نفسك منجذبة إلى بعض الحاضرين مشمئزة ونافرة من بعضهم، وربما أنه لم يكن قبل ذلك اجتماع ولا تعارف، ولا تعاد ولا تخاصم، وسر ذلك ما بينه عليه الصلاة والسلام فأرواح العباد ونفوسهم جنود مجتمعة، فالتي بينها

---

(١) البهي الخولي، آدم عليه السلام، ط٣، ١٩٧٤م، مكتبة وهبه، مصر، ص ٢٥-٢٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة ٣٦٩/٦، رقم الحديث ٣٣٣٦ مع الفتح، ومسلم كتاب البر والصلة ٤٥، باب الأرواح جنود مجندة ٤١، حديث ٢٦٣٨.

تعارف وتوافق، يألف بعضها بعضًا، ويسر باجتماعه، ويفرح للقائه لاتفاق في المبدأ وتقارب في الروح[١].

فالأبرار الأتقياء إذا وجدوا في مجتمع جذبوا أشباههم أو انجذبوا إليهم، وسرى بين قلوبهم تيار من المحبة.

وكذلك الأشرار، والفسقة، والظلمة إذا حضروا بناد بادر إليهم الفسقة، أما المجرمون فينجذبون إلى قرنائهم، وينفرون ممن لا يتخلق بأخلاقهم.

وعليه فإنك إذا عرفت رجالاً بالبر، والتقى، والاستقامة، ونفرت منهم نفسك وصد عنهم قلبك فاعلم أنك مريض ومحتاج إلى مداواة دينك.

وإذا مالت النفس إلى من عرفوا بالشر والفجور فينبغي الحذر، واستدراك العمر قبل الفوات، فصحبة الأشرار تؤدي إلى المهالك[٢].

وينبغي فيمن تريد صحبته أن تجتمع فيه ستّ خصال: الدين، والعقل، وحسن الخلق، وترك الفسق، والابتداع، والحرص على الدنيا[٣].

أما الدين فهو الأساس الذي تقوم عليه الحياة ومجانب الدين عدو لنفسه فكيف يرجى منه نفع ومودة غيره.

وأما العقل فهو أفضل صفات الرجل بعد دينه، حيث الأحمق يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري.

وأما حسن الخلق فهو من الصفات المطلوبة في المصاحب، فرب عاقل

---

(١) عبدالعزيز المحمد السلمان، مورد الظمآن، مرجع سابق، ٧٧٣/١-٧٧٥.

(٢) عبدالعزيز السلمان، مرجع سابق، ص ٧٧٧.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ، ٢٤٥/٣-٢٤٥.

يغلبه هواه أو غضبه أو شهوته، ويخالف ما هو معلوم عنده لعجزه عن قهر نفسه وتقويم أخلاقه، والألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب، وسوؤه يثمر التباغض.

وأما الفاسق فقد أبعد الخوف من الله ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغيّر الأغراض.

وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وهو مستحق للقطيعة، فكيف بالمجالسة والصحبة.

وقد جمع شروط الصحبة "علقمة العطاردي" لابنه عندما حضرته الوفاة فقال: "يا بني إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مالك[١] اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمراً أمّرك، وإن تنازعتما في شيء آثرك"[٢].

ولعلّ مثل هذا الرجل عزيز أو مفقود، ولذلك قيل أوصاه بذلك؛ لأنه لا يريد أن يصحب ابنه أحد، حيث إنك إن طلبت أحدًا لا عيب فيه لم تجد من تصاحبه، وإنما الكريم من غلبت فيه المحاسن المساوي. فالناظر الكريم يرى المحاسن واللئيم يرى المساويء، وليس أحد لا يوجد له مساويء ومحاسن، وإنما الاعتبار للناظر فالمحب يعمي حسه عن عيوب المحبوب

---

(١) أعطاك من ماله.

(٢) عبدالعزيز السلمان، مرجع سابق، ص ٧٧٧.

والمبغض عينه تبرز كل عيب.

ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق، والإخلاص استواء الغيب والشهادة، واللسان والقلب، والسر والعلانية، والخلوة والجماعة، والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مما يذم في المودة، وهو دخيل في الدين، ووليجه في علاقات المسلمين[1].

ويقول أبو حامد الغزالي: وآداب الصحبة الإيثار بالمال فإن لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة، والإعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير إحراج إلى التماس، وكتمان السر، وستر العيوب، والسكوت عن تبليغ ما يسؤوه من مذمة الناس إياه في غير معصية، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه، وأن يشكره على صنيعه في وجهه، وأن يذب عنه في غيبته إذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه، وأن ينصحه باللطف والتعريض إذا احتاج إليه، وأن يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه، وأن يعوله في حياته وبعد مماته، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته، وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئًا من حاجاته ويروح قلبه من مهماته، وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره، والحزن على ما يناله من مكارهه، وأن يضمر في قلبه مثل ما يظهر فيكون صادقًا في وده سرًا وعلانية، وأن يبدأه بالسلام عند إقباله، وعلى

---

(١) عبد العزيز السلمان، مرجع سابق، ص ٧٧٧.

الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة(١).

وقال بعض الحكماء: "لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك، ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، وينشر حسنتك ويطوي سيئتك، فإن لم تجد فلا تصحب إلا نفسك، فأما الحريص على الدنيا فمصاحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه"(٢).

وينبغي الحذر من صديق العافية فهو أعدى الأعداء ولا ممازحة اللبيب فتحصد كرهه إليك، وأما السفيه فيجترئ عليك(٣).

وقد قيل: إن الأصدقاء ثلاثة(٤):

أحدهم كالغذاء لا بدّ منه.

والثاني كالدواء يحتاج إليه من وقت دون وقت.

والثالث كالداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلى به.

وكان عمر بن الخطاب ﵁ يعظ رجلا فقال له: "لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى

---

(١) أبو حامد الغزالي، بداية النهاية، ملحق بكتاب منهاج العابدين، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، ١٩٧٢م، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، ٢٥٢/٣.

(٣) يحيى حمزة اليماني، كتاب تصفية القلوب ص ٤٤٤.

(٤) عبد العزيز السلمان، مورد الظمآن، مرجع سابق، ص ٧٧٨.

الله عز وجل، ويطيعه، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاوره في أمرك"(١).

وقال ﷺ: "لو لا ثلاث لما أحببت البقاء: لو لا أن أحمل على جباه الخيل في سبيل الله، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر"(٢).

وقال الأصمعي عن أبيه قال: الصاحب رقعة في قميص الرجل فلينظر أحدكم بم يرقع قميصه(٣).

والصحبة والمجالسة ليست كلها خير والضابط النافع في أمرها، مخالطة الناس في الخير؛ كالجمعة، والجماعة، والأعياد، والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، واعتزالهم في الشر وفضول المباحات(٤).

والرجل الصالح يدلك على الصلاح والخير، والرجل الطالح يؤديك إلى الفساد والهلاك، فاختر من الناس خيرهم، واحذر شرهم.

أوصى عروة بن الزبير أبنائه فقال:

"يا بني إذا رأيتم من رجل فعلة خير رائعة فأملوا به خيرًا، وإن كان في نظر الناس رجل سوء، فإن لها عنده أخوات، وإن رأيتم من رجل فعلة شر

---

(١) عبد العزيز السلمان، مورد الظمآن، مرجع سابق، ص٧٦٤-٧٦٥.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٢٨١.

(٣) حمدي عبيد، من عيون الأخبار، بيروت، لبنان، ط١٣٧٦هـ ص١٣٩.

(٤) ابن القيم، طب القلوب، جمع وترتيب عجيل النشمي، دار الدعوة، الكويت، ١٤١٠هـ، ص ٩٥.

فظيعة فاحذروه، وإن كان في نظر الناس رجل خير، فإن له عنده أخوات، واعلموا أن الحسنة تدل على أخواتها وأن السيئة تدل على أخواتها أيضًا"[١].

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: "أما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود، ويوجب له تشتتًا وتفرقًا، وهمًا وغمًا، وضعفًا، وحملاً لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم. فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟ هذا، وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية. وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على – أبي طالب- عند الوفاة – أضر من قرناء السوء لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد"[٢].

فكان الرسول ﷺ يلقنه الإسلام وأبو جهل يلقنه الكفر.

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه الرسول ﷺ، وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل، فقال: " أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله "فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٧٧/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) ابن القيم، طب القلوب، المرجع السابق، ص ٩٤.

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾[١]"[٢].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٣][٤].

آداب المجالسة:

للمجالسة آداب ينبغي التحلي بها، بعضها خاص بالهيئة والحال للجليس، والبعض الآخر بآداب الحديث.

فمن آداب الهيئة التمكن في الجلوس وعدم الاستوفاز، والتحفظ من العبث باللحية والخاتم، وتخليل الأسنان، وإدخال الإصبع في الأنف، وكثرة البصاق والتنخم، ومطاردة الذباب عن الوجه بصورة ملفتة، ورفع الصوت عاليًا في العطس والنظر إلى الساعة[٥].

أما التثاؤب فهو مكروه، ومن فعل الشيطان.

فعنه ﷺ أنه قال: "**التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**"[٦].

---

(١) سورة التوبة، آية (١١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله ٣/٢٢٢ رقم الحديث ١٣٦٠، فتح الباري.

(٣) سورة القصص، آية (٥٦).

(٤) عبد العزيز المحمد السلمان، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ط١، ١٤١٣هـ، ٣/٣٢٠.

(٥) يحيى حمزة اليماني، كتاب تصفية القلوب، ص ٤٤٣.

(٦) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٨، رقم الحديث =

ويذكر الغزالي -رحمه الله- بعض الآداب التي ينبغي للأب أن يعلمها ابنه للتقيد بها في المجلس فيقول: "وينبعي أن يعود أن لا يبصق في مجلسه، ولا يمتخط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل، ويُعلم كيفية الجلوس ويمنع لغو الكلام وفُحشه"(١).

ومن آداب الحديث: الهدوء، وتنظيم الحديث، وترتيبه، والإصغاء إلى الكلام الحسن من المحدث من غير إظهار تعجب مفرط وعدم سؤاله إعادته، والسكوت عن المضاحك في الحكايات فلم يغبط إنسان على كثرة ضحكه.

وينبغي للمجالس عدم التعرض لنفسه بالمدح فيما عمل وأنجزه، وكتب وصنف، ولا يتحدث عن الإعجاب بالنفس أو الولد أو الأهل ولو تطرق الحديث إلى مسألة أدت إلى خصام ينبغي تطبيق الشرع في الأمر(٢).

ومن آداب المجلس إذا حضره أن يسلّم على الحاضرين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"**(٣).

= ٣٢٨٩ فتح الباري،. ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، ٢٢٩٣/٤، رقم الحديث٢٩٩٤.

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣/٧٠-٧١.

(٢) يحيى حمزة اليماني، مرجع سابق، ص ٤٤٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ٧٤/١ =

وينبغي على الجالسين التوسعة للشخص القادم عليهم قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾[1].

قال القرطبي: "الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو مجلس يوم الجمعة، فإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه، ولكن يوسع لأخيه، ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه"[2].

وكذلك الصلاة على النبي ﷺ أثناء المجالسة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيه ﷺ، إلا كان عليهم من الله تِرَةً يوم القيامة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**"[3].

ومن أدب الجلوس ألا يتحدث اثنان، ومعهما ثالث بغير إذنه.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه**"[4].

= رقم الحديث ٩٣.

(١) سورة المجادلة، آية (١٢).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٩٧/١٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في القوام يجلسون ولا يذكرون الله ٤٣٠/٥، رقم الحديث ٣٣٨٠.

(٤) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة =

ويشبه في ذلك كلام اثنين بلغة لا يفهمها الثالث[١].

ومن آداب المجلس تشميت العاطس، وعدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما، وأن يجلس حيث ينتهي به المجلس.

ومن آداب المجالسة الاستمتاع إلى حديث الكبار في العلم والسن.

فعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحت ورقها**" فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم، وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما، قال النبي ﷺ: **هي النخلة...**"[٢].

وكذلك الالتزام بالدعاء المأثور في ختام المجلس.

فعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: "**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك**"[٣].

= والمناجاة ٨٢/١١ رقم الحديث ٦٢٩٠.

(١) عبد الله عبد الرحيم العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢١٤.

(٢) رواه البخاري ٥٣٦/١٠، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال حديث ٦١٤٤.

(٣) رواه الترمذي في الجامع، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٤٩٤/٥، رقم الحديث ٣٤٣٣.

الفصل الثالث: الجليس الصالح

- تعريف الجليس الصالح.
- مجالسة أصحاب العقيدة الصحيحة.
- مجالس قراءة القرآن الكريم.
- مجالس الذكر.
- مجالس نيل العلم الشرعي.
- مجالس أهل الصدق.
- مجالسة أصحاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الجلوس إلى الكتاب (القراءة والاطلاع).
- الجلوس إلى النفس ومحاسبتها.
- الاعتكاف في المسجد ومجالسة المعتكفين.

تمهيد

ركز الدين الإسلامي على العلاقات بين المسلمين في جميع مراحل نمو الإنسان ابتداء بالأسرة وانتهاء بالمجتمع الإسلامي ككل، وجعل الاجتماع والتواصل بين المسلمين أمرًا ضروريًا، فكل اعتزال عن الأمة يفوت جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويضعف جانب الدفاع عن الإسلام أمام خصومه قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(١)].

فالتعادي والتخاصم مؤشرات شؤم، ودمار بين المسلمين فلا يمكن أن يكون هناك وسط اجتماعي يتصف بالحياة والنمو، ويدور في مجالسه الخير إذا كانت الخلائق متدابرة، والقلوب متباغضة، والعداوة موروثة ومتمكنة في النفوس، فلا اجتماع ولا تعارف مع العداوة[(٢)].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(٣)].

ومن مقتضيات الأخوة الحب في الله، والبغض في الله، ومن أحببته جالسته، ومن كرهته صددت عنه بالقلب والجسم.

وتصويرًا لمجتمع الإخوة وتجسيمًا لتركيبه الاجتماعي والروحي؛ يجعل

---

(١) سورة آل عمران، آية (٣٨).

(٢) محمد التومي الشيباني، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ص٢٧٠.

(٣) سورة الحجرات، آية (١٠).

النبي ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري ﵁: "**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا**"(١).

وكيف يشدّ المسلم عضد أخيه دون مجالسته ومعرفة آلامه وآماله ونجاحه وعثراته.

إلا أن أفراد المجتمع ليسوا سواء، والاختلافات بينهم أخذت مناحي عديدة وأصبحت المقارنة واضحة بين فرد وآخر.

فهناك المؤمن والكافر، والمتقي والفاجر، والمسلم والمجرم، والأعمى والبصير، والخبيث والطيب، والصالح والسيء، والمجاهد والقاعد، والعالم والجاهل، وأصحاب النار، وأصحاب الجنة، والمفسد والآمر بالمعروف، ومن شرح الله صدره للإسلام، ومن هو في الظلمات ليس بخارج منها.

إن الناس الذين كانوا من أصل واحد أصبح الفرق بينهم كبيرًا والبون شاسعًا بعضهم يمشي على صراط مستقيم، وآخر اتخذ إلهه هواه فلا مساواة بين الضدين ولا التقاء بين الطرفين؛ فمن سار على الصراط المستقيم يعبد ربه حق عبادته ويتقيه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والفرد الآخر من كفر بالله وجحد نعمه وأفسد في الأرض وشتان بين الفريقين(٢).

والقرآن الكريم يزخر بالشواهد على هذا الاختلاف قال تعالى:

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر، باب تراحم المؤمنين ١٩٩٩/٤ رقم الحديث ٢٥٨٥.

(٢) عبد الرحمن بن محمد المعتاز، الإنسان ذلك المخلوق العجيب، الناشر مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ص ٨٢.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٧).

---

(١) سورة ن، آية (٣٦).

(٢) سورة ص، آية (٢٨).

(٣) سورة الزمر، آية (٢٢).

(٤) سورة الزمر، آية (٩).

(٥) سورة النساء، آية (٩٥).

(٦) سورة الزمر، آية (٩).

(٧) سورة غافر، آية (٥٨).

وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾[(٣)].

وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يختار جليسه وصاحبه من أصحاب هذه الصفات.

والبحث عن الجليس الصالح في هذه الأيام أمر في غاية الخطورة لما حصل من تدليس الناس، فقد يتشبه بالقوم من ليس منهم، ولا يمت إليهم في شيء ولا يتنبّه إلى ذلك إلا بعد فوات الأوان والانخراط في الصحبة لمرحلة يصعب عندها الانفكاك لما أحصى عليه من المثالب، واطلاع جليسه على المعايب، فيلتزم بالمجالسة والمصادقة خوفًا منه.

---

(١) سورة الحشر، آية (٢٠).

(٢) سورة المائدة، آية (١٠٠).

(٣) سورة الزمر، آية (٢٩).

تعريف الجليس الصالح

يعرف الجليس الصالح بأنه الشخص "المستقيم على طاعة الله، المتمثل لأوامره، المؤدي لفرائضه، المنتهي عن نواهيه، الواقف عند حدوده، المستقيم في سلوكه وأخلاقه، المتخلق بالأخلاق الكريمة، المتجنب للرذائل والسفاسف من الأمور، الواصل لِرَحِمِهِ، البار بوالديه، المحسن لجيرانه، الحليم، المتواضع، المحسن إلى الناس مع التباعد عن أذيتهم، وبالجملة هو المستقيم عقيدة وعملاً وسلوكًا"[١].

ونستطيع أن نقول هو الإنسان "التقي"؛ لأن الصحبة على غير التقى تنقلب عداوة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

ولا شكّ أنّ للجليس الصالح آثاره الطيبة على جليسه، وكلما التصق به أصبح في مغنم وخير، فهو إما أن يعلمه ما ينفعه في دينه أو دنياه، أو يهدي له نصيحة، أو يحذره من الإقامة على ما يضره، فيحثه على أعمال البر، ويزين له عمل الخير، ويبصره بعيوب نفسه، ويدعوه إلى المكارم والسمو في قوله وفعله، بل ربما كفَّ بسببه عن المعاصي والسيئات رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعًا عن الشرّ[٣].

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبدالله الراجحي، أربع رسائل، مطبعة سفير، الرياض، ص٣٥.

(٢) سورة الزخرف، آية (٧٦).

(٣) عبد العزيز بن عبدالله الراجحي، مرجع سابق، ص ٣٦.

فعن أبي موسى الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ: "**إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**"(١).

"والحكمة والفائدة من ضرب المثال للجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير؛ ليمكن تقريب المعقول من المحسوس واعتبار أحدهما بالآخر، والعود من الشيء إلى نظيره، وتشبيه الشيء بالشيء في حكمه"(٢).

والجليس الصالح مدعاة لجليسه للاقتراب من الخير، والحث عليه، والزيادة فيه.

يقول أبو الحسن الماوردي في صحبة الأخيار: "فإذا كاثرهم المجالس، وطاولهم المؤانس، أحب أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسى بهم في أعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصّر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحَميّة إلى الزيادة عليهم، والمكاثرة لهم، فيصيرون سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته"(٣).

ومصاحبة الجليس الصالح من أفضل القربات، وأحسن ما يستعان به

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين ١٧٨/١٦ بشرح النووي.

(٢) عبد العزيز الراجحي، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣) أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٨٧.

على أداء الطاعات، والإكثار من الخير في الحياة الدنيا والزرع للآخرة، والمعاشرة والمجالسة عمومًا ثمرة الرضا والميل لطباع الآخر والسير على خطاها، ولذلك عندما تكون المجالسة والمصاحبة مع أهل الصلاح تستقيم الأحوال، وتجتمع القلوب، ويقل التنافر والتناحر.

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(١).

وليس هناك تعاون بدون مخالطة ومجالسة؛ ولذا فإن المخالطة لازمة مع أهل الصلاح بل ينبغي الحرص على استكثار المعارف منهم، والتحبب إليهم، والاستعانة بمشورتهم.

---

(١) سورة الأنفال، آية (٦٣).

مجالسة أصحاب العقيدة الصحيحة

العقيدة في اللغة: مأخوذة من مادة (عَقَد)، يقال في لغة العرب: عقد الحبل إذا شدّه، وعقد البيع إذا أمضاه ووثقه، وعقد العهد واليمين إذا أكدهما ووثقهما.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾[2].

"إن العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة، ومعلوم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة إن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، فإن كانت العقيدة غير الصحيحة بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال"[3].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، آية (٣٣).

(٢) سورة المائدة، آية (٨٩).

(٣) الشيخ عبد العزيز بن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها ص٣.

(٤) سورة المائدة، آية (٥).

(٥) سورة الزمر، آية (٦٥).

والعقيدة الصحيحة تتلخص في: "الاعتقاد أن الله إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه لا يستحق شيئًا من أنواع العبادة غيره، وأن من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر، والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال كأركان الإسلام الخمسة، الدعاء والرجاء، والخوف والتوكل، والرغبة والرهبة، والاستعانة والاستغاثة، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة، وأنه سبحانه موصوف ومسمى بجميع ما وصف به نفسه وسماه به، وما وصفه وسماه به رسول الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا وصفًا حقيقيًا لا مجازًا، ومنه استواؤه على عرشه، أي علوه عليه بذاته بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١] وأنه متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد، كما نقل عن السلف أنهم يقولون لم يزل متكلمًا ويتكلم إذا شاء، ومن كلامه القرآن، وهو اللفظ المنزل على محمد ﷺ؛ للتعبد به والإعجاز الذي سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى بلا واسطة، وأنزل على محمد ﷺ بحروفه ومعانيه كما سمعه من ربه عز وجل، وليس هو بعبارة من جبريل ولا محمد ﷺ وكيفما تصرف فهو كلام الله، وأنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما نادى موسى لما أتى الشجرة ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾[٢]؛

---

(١) سورة طه، آية (٥).

(٢) سورة طه، آية (١٢).

وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب (**أنا الملك الديان**)[١]، وأن مثل هذا مما يخاطب به رسله وملائكته ومن شاء من عباده أو ينزل عليهم من كتبه من آحاد كلامه غير الأزلي، ولكنه غير مخلوق؛ لأنه من صفاته، وصفاته كلها غير مخلوقة، وأنه سبحانه يحب، ويرضى، ويكره، وينزل، ويحيي ويميت، ويسخط، ويفرح بتوبة عبده أشد فرح، وأنه سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم، كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحيحة، وكل هذا وما أشبهه صفات له حقيقة لا مجازية — كما أثبتها الكتاب والسنة- كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٢] [٣].

"والاعتقاد بأسماء الله وصفاته بلا تكييف، ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]. وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وأنه بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، ولم يزل مجاهدًا في سبيل الله حتى كمّل الله به الدين

---

(١) رواه البخاري تعليقًا، في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الآية (٦/ ٢٧٢٠).
وأحمد في المسند ٣/٤٩٥.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) عقيدة السلف ضمن كتاب أصول الدين الإسلامي، للشيخ محمد بن سليمان التميمي ص٢٩.

(٤) سورة الشورى، آية (١١).

كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[١] ثم استأثر به ربه وألحقه بالرفيق الأعلى، وفارق الدنيا وأهلها، وأنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به، وحتى يكون هو أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين، وأن معنى محبته ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا إطراؤه والغلو فيه ورفعه عن منزلته التي أنزله الله عز وجل بدعائه والاستغاثة به فقد قال ﷺ: "**الدعاء هو العبادة**"[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: "**إنّه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل**"[٣]. وأن الاستغاثة به – فضلاً عن غيره من الأولياء وأصحاب المشاهد- شرك بالله تعالى، والتعلق بغير الله تعالى في جلب خير أو دفع شر، استقلالاً أو وسيطًا: شرك [أي وأنّ تعلّق القلب بالأولياء أو الجن بالتوكل عليهم، والالتجاء إليهم، ومراقبة روحانيتهم بأنواع من النسك في قضاء الحاجات، وتفريج الكربات شرك بالله تعالى، سواء كان ذلك باسم الطلسمات أو التوسلات كل ذلك شرك وضلال ما أنزل الله الكتاب، ولا أرسل الرسول إلا لإبطالها وإبادة جذورها وتطهير القلوب منها فلا حول ولا قوة إلا بالله]"[٤].

---

(١) سورة المائدة آية (٣).

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/٢٦٧.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، مجمع الزوائد ١٠/١٥٩.

(٤) الشيخ محمد بن سليمان التميمي، عقيدة السلف، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.

"والاعتقاد أن الملائكة وكتب الله حقّ، والنبيّين حقّ، والبعث بعد الموت حقّ، والجنة حقّ، والنار حقّ، والإيمان أنّ الميزان حقّ، وأنّ حوض نبينا محمد ﷺ حق، لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدّل وغيّر، والإيمان بالقدر خيره وشره. والاعتقاد أن شفاعة نبينا محمد ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين حق لكن بعد إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٢]، وأن نبينا محمد ﷺ هو أول شافع وأول مشفع، وأنّه قد خص بشفاعات لا يشاركه فيها غيره: أولها الشفاعة في فصل القضاء وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأنبياء والمرسلون.

ومنها الشفاعة في إخراج من أدخل النار[٣].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز: [الصواب أن الشفاعة في إخراج من دخل النار بذنوبه ليست خاصة بالنبي ﷺ، بل هي من الشفاعة المشتركة كما يعلم ذلك من الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ، وإنما الذي يخصه عليه الصلاة والسلام بعد الشفاعة العظمى الشفاعة في دخول أهل الجنة كما صرح به الحديث عنه عليه الصلاة والسلام، وهكذا الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب من خصائصه عليه الصلاة والسلام، والله الموفق][٤].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٥٥).

(٢) سورة الأنبياء، آية (٢٨).

(٣) الشيخ محمد بن سليمان التميمي، مرجع سابق ص٣١.

(٤) تعليق للشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– على هذه المسألة في نفس الصفحة ٣١.

ومنها الشفاعة في تسريحهم إلى الجنة بعدما نقوا وهذبوا.

والاعتقاد أن خير القرون القرن الذين اجتمعوا مع رسول الله ﷺ مؤمنين به وهم أصحابه، ثم الذين ابتعوهم بإحسان، كما قال ﷺ: "**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**"(١).

والاعتقاد أن أحسن الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة(٢).

وعلى الإنسان أن يحرص أشد الحرص بأن لا يجلس إلا مع من يعتقد مثل هذا الاعتقاد، فإن المجتمعات الإسلامية في الماضي والحاضر مليئة بالاعتقادات المنحرفة.

فهناك: "عبّادُ الأصنام، والأوثان، والملائكة، والأولياء، والجنّ، والأشجار، والأحجار وغيرها، فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوهم وعاندوهم، كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد ﷺ، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات، وشفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم، فلمّا أنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك،

---

(١) رواه البخاري ٣/٧، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث ٣٦٥١ مع الفتح.

(٢) هذه العقيدة السلفية كتَبَها الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري نقلاً عن أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، تأليف الشيخ محمد بن سليمان التميمي رحمه الله ورتبها محمد الطيب الأنصاري، وذيلها بعقيدة السلف المذكورة، مطبوعات مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية، ص ٢٩-٣٢.

وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، استغربوا ذلك وأنكروه وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[(١)] فلم يزل ﷺ يدعوهم إلى الله وينذرهم من الشرك، ويشرح لهم حقيقة ما يدعو إليه حتى هدى الله منهم من هدى، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة، وجهاد طويل من رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، ثم تغيّرت الأحوال، وغلب الجهل على أكثر الخلق، حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية، بالغلو في الأنبياء والأولياء، ودعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان"[(٢)].

"ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبعد العهد بعصر النبوة.

وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة الأولين، وهي قولهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٣)] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[(٤)]، وقد أبطل الله هذه الشبهة، وبيّن أن من عبد غيره كائناً من كان فقد أشرك به وكفر، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

---

(١) سورة ص، آية (٥).

(٢) فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها ص ١٧.

(٣) سورة يونس، آية (١٨).

(٤) سورة الزمر، آية (٣).

وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فرد الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[١] فبين سبحانه في هذه الآية أن عبادة غيره من الأنبياء والأولياء أو غيرهم هي الشرك الأكبر وإن سماها فاعلوها بغير ذلك، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[٢] فردّ الله عليهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٣] فأبان بذلك سبحانه أن عبادتهم لغيره بالدعاء، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك كفر به سبحانه، وأكذبهم في قولهم أن آلهتهم تقربهم إليه زلفى"[٤].

ومن العقائد الكفرية المُضادة للعقيدة الصحيحة، والمخالفة لما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من دعاة الإلحاد والكفر؛ سواء سموا ذلك اشتراكية، أو شيوعية، أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء، فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد، وإنكار الجنة والنار، والكفر بالأديان كلها، ولا ريب أن هذه العقيدة مضادة لجميع الأديان السماوية، ومفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة يونس، آية (١٨).

(٢) سورة الزمر، آية (٣).

(٣) سورة الزمر، آية (٣).

(٤) فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، مرجع سابق ص١٧-١٨.

ومن العقائد المضادة للحق ما يعتقده بعض الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض ما يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير، ويتصرفون في شؤون العالم، ويسمونهم بالأقطاب، والأوتاد، والأغواث، وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم، وهذا من أقبح الشرك في الربوبية، وهو شر من شرك جاهلية العرب؛ لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية، وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[١]، أما الربوبية فكانوا معترفين بها لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما المشركون المتأخرون فزادوا على الأولين من جهتين: إحداهما: شرك بعضهم في الربوبية. والثانية: شركهم في الرخاء والشدة كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم، ورأى ما يفعلون عند القبور المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، وقد غلت فيها العامة، وصرفوا لها الكثير من حق الله عز وجل.

---

(١) سورة العنكبوت، آية (٦٥).

(٢) سورة الزخرف، آية (٨٧).

(٣) سورة يونس، آية (٣١).

ومن العقائد المضادة للعقيدة الصحيحة في باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات، والجمادات، والمستحيلات، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا؛ ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه في الصفات التي نفوها، وتأولوا أدلتها، فخالفوا بذلك الأدلة السمعية والعقلية، وتناقضوا في ذلك تناقضًا بيّنًا[١].

نسأل الله سبحانه الثبات على الحق والدعوة إليه، ومحبة أهله، والجلوس إليهم، والابتعاد عن كل فرد أو جماعة تخرج عنه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، العقيدة الصحيحة وما يضادها ص ١٨-٢٠.

مجالس قراءة القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب المسلمين، وقد احتوى على كل ما يحتاجه الإنسان من عقيدة وفرض من عبادة، وبما حدده الرّبّ من علاقات بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان ومجتمعه والكون من حوله، علاقة خيره صالحة للدنيا والآخرة.

فهو يمثل الإطار الحقيقي للمُثُل والمبادئ التي تقوم عليها علاقات جميع من في الكون وارتباطاتهم ببعضهم على أسمى حياة وأفضل صورة، أشدّ الأسس رسوخاً في شتى المجالات، وفي كلّ زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢].

وحيثما يجتمع الناس يقرأون القرآن بتجرد وإخلاص، فإن السكينة بمشيئة الله تنزل على هذا المجلس، وتغشاه الرحمة، وتحفه الملائكة.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"**[٣].

---

(١) سورة الأنعام، آية (٣٨).

(٢) سورة الإسراء، آية (٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن =

وكان الرسول ﷺ يحث على تَعَلُّمِ القرآن الكريم وتعليمه.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**خيركم من تَعَلَّمَ القرآن وعَلَّمه**"(١).

والقرآن الكريم ينفع صاحبه في ميزان الأعمال إذا قام بالعمل به.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**"(٢).

وإذا كان الاشتغال بالقرآن مرتبطًا بالإيمان الصحيح نفع أصحابه في الدنيا والآخرة ورفع درجاتهم وأعلى مراتبهم.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**"(٣).

وليس هناك مكانة أعلى في الدنيا من أن يقوم صاحب القرآن الكريم على غيره في الإمامة.

= ٢٠٧٤/٤ حديث ٢٦٩٩.

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ٧٤/٩ حديث٥٠٢٧ فتح الباري.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ٥٥٨/١ حديث ٨١٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ٥٥٩/١ حديث٨١٧.

فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلمًا، ولا يؤُمّن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**" وفي رواية: فأقدمهم سِلْماً. أي: إسلامًا(١).

فهذا موضع تظهر فيه الدرجات، وموقف تتميز فيه المنازل وهو الإمامة في الصلاة ومن أحق به، فلقد جعل الإسلام لها ميزانًا واضحًا عدلاً أمينًا: فجاء صاحب القرآن على رأس القائمة، ثم السنّة، فالهجرة، فالإسلام، ثم أدب التعامل وحقوق صاحب السلطان. ميزان عادل لا يحق لأحد أن يبدّل فيه أو ينقص منه(٢).

ولصاحب القرآن فضل عند مماته.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: "**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**"، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: "**أنا شهيد على هؤلاء يوم**

---

(١) رواه مسلم ١/٤٦٥، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة حديث ٦٧٣.

(٢) عدنان علي رضا النحوي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ، الرياض، ص١٦٢.

القيامة"، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم[١].

"أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟" هكذا يرد التعبير ليظهر ميزان صاحب القرآن على غيره.

ويعتبر القرآن الكريم كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله إلا به، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا وعملاً، لا انتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، ولا يقدر على ذلك إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا؛ فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة[٢].

وقال قتادة: ما جالس القرآن أحدًا إلا فارقه بزيادة أو نقص، ثم قرأ[٣] قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد ٣/٢١٢/١٣٤٧ مع الفتح.

(٢) الشاطبي، الموافقات، ٣/٢٢٤.

(٣) الشاطبي، الموافقات ٣/٢٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية (٨٢).

قال الإمام ابن القيم: "وليس لشفاء القلوب دواء قط أنفع من القرآن، فإنه شفاؤها التام الكامل الذي لا يغادر فيها سقمًا إلا أبرأه، ويحفظ عليها صحتها المطلقة، ويحميها الحِمْية التّامّة من كل مُؤْذٍ ومُضِرٍّ، ومع هذا فإعراض أكثر القلوب عنه، وعدم اعتقادها الجازم الذي لا ريب فيه أنه كذلك، وعدم استعماله، والعدول عنه إلى الأدوية التي ركبها بنو حدسها حال بينها وبين الشفاء به"(١).

"فالقلب الطاهر، لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث، لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهِّره الله تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه، بحسب ما فيه من النجاسة. فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح"(٢).

قال الفضيل بن عياض(٣): "حامل القرآن حامل راية الإسلام، فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن"(٤).

---

(١) ابن القيم، الطب النبوي ص ٧٩.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/٥٥.

(٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي أبو علي الزاهد المشهور، أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. التقريب ٢/١١٣.

(٤) الغزالي، الإحياء ١/٢٧٤.

الجلوس لسماع القرآن الكريم:

روي عن النبي ﷺ: أنه خرج على أهل الصُّفّة، وفيهم واحدًا يقرأ وهم يستمعون، فجلس معهم[١].

ومر النبي ﷺ بأبي موسى وهو يقرأ: فجعل يستمع لقراءته، ثم قال له: "**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**"[٢].

وفي رواية: "**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**"[٣].

وورد في إحدى الروايات أن أبا موسى قال للنبي ﷺ: "أما أني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيرًا"[٤].

أما الجلوس لاستماع النشيد المجرد، أو مع التضييق على وجه الفرية فإنه بدعة[٥]، وقد أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الأولى الذين أثنى عليهم النبي ﷺ.

فعنه ﷺ أنه قال: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**"[٦].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية – خمس رسائل- ضمن كتاب الجامع الفريد ص ٦٧٢.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن ٩/٩٢/٥٠٤٨.

(٣) صحيح مسلم ١/٥٤٦ حديث ٧٩٣.

(٤) أبو يعلى في مسنده ١٣/٢٦٦ حديث ٧٢٧٩.

(٥) ابن تيمية، المرجع السابق ص ٦٧٢.

(٦) رواه البخاري ٧/٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث =

قال الشافعي -رحمه الله-: "خلفت ببغداد شيئًا أحدثه الزنادقة يسمونه "التغبير"[١] يصدون به الناس عن القرآن"[٢].

وعلى ذلك يجب اتباع السنة في العمل العبادي وإخلاص النية فإن في ذلك الصواب.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾[٣] قال: أخلصه وأصوبه. قيل له: يا أبا علي! ما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون صوابًا خالصًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة[٤].

وسنتطرق إن شاء الله إلى تفنيد مجالس السوء والتي تضم مجالس الاستماع إلى الغناء ونحوه في الفصل الثالث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السماع الذي أمر الله به ورسوله، واتفق عليه سلف الأمة هو سماع القرآن؛ حيث إنه سماع النبيين، وسماع الصالحين، وسماع المؤمنين"[٥].

= حديث ٣٦٥١ مع الفتح.

(١) التغبير: هو الغناء والتصفيق والصفير ونحوه.

(٢) ابن تميمة، المرجع السابق ص ٦٧٢.

(٣) سورة الملك، آية (٢).

(٤) ابن تيمية، المرجع السابق ص٦٧٧.

(٥) شيخ الإسلام ابن تيمية –خمس رسائل– ضمن كتاب الجامع الفريد ص ٦٦٩.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾[3].

وكما أثنى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة على المستمعين إلى القرآن الكريم فقد ذم المعرضين عنه.

كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾[5].

(١) سورة مريم، آية (٥٨).

(٢) سور المائدة، آية (٨٣).

(٣) سورة الأنفال، الآيات (٢-٤).

(٤) سورة فصلت، آية (٢٦).

(٥) سورة الكهف، آية (٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(١)].

ولا تصلح القلوب إلا بسماع القرآن، وهو وسيلتها إلى ربّها، وهو سماع خيار هذه الأمة.

فعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "**زينوا القرآن بأصواتكم**"[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: "**ليس منها من لم يتغن بالقرآن**"[(٣)].

وبالقرآن يمكن المحافظة على سلامة القلب وصلاحه فهو شفاء لما في الصدور.

يقول شيخ الإسلام: "وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب"[(٤)].

وينبغي المحافظة على تلاوة القرآن ليلاً ونهارًا حضرًا وسفرًا.

وكانت للسلف ﷺ عادات مختلفة في القدر الذي يختتمون فيه فكان منهم من يختم كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وبعضهم يختمون في ثمان ليال، وبعضهم يختمون في سبع[(٥)]، وينبغي المثابرة

---

(١) سورة لقمان، آية (٧).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة ١٤٦٨/١٥٥/٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ١٧٥/١، وأبو داود في سننه ١٥٦/٢ حديث ١٤٦٩.

(٤) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ٩٥/١٠.

(٥) الإمام النووي، المنتقى في المختار من كتاب الأذكار ص ٩٤.

والاستمرار على تدارس القرآن الكريم وتفهمه.

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**"[١].

وينبغي لقارئ القرآن الإخلاص في قراءته ويقصد بها وجه الله وليس توصلاً إلى شيء، ويتأدب مع القرآن، ويستحضر في ذهنه أنه يناجي خالقه سبحانه وتعالى، وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع.

قال بعض السلف: دواء القلوب أربعة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين[٢].

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده ٥٠٣٣/٧٩/٩ مع الفتح.

(٢) الإمام النووي، المرجع السابق ص ٩٥-٩٦.

مجالس الذكر

إن توحيد الله سبحانه وتعالى، وإخلاص العبادة له، وذكره، واستغفاره والتوجه إليه من مستلزمات حياة المسلم، وتعدّ مجالس الذكر أحد الدعائم الأساسية لعون العبد على الطاعة، وهي مجالس أهل التقوى والصلاح وهي من رياض الجنة، والارتباط بها يكسب المرء زيادة الإيمان، والاقتراب من الخالق سبحانه، فتصفو روحه، وتشع في نفسه الطمأنينة، فيكتسب الفضل والعلم والأدب، وتذكر لقاء ربه عز وجل، فيكره المعصية، ويبتعد عن كل ما يخالف أمر الله، ولقد حث الإسلام على مجالس الذكر، ونوه بالذاكرين في الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(١).

قال السعدي: "﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ أي: حقيق بها وحري ألا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب، ولا أشهى، ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير، وغير ذلك"(٢).

---

(١) سورة الرعد، آية (٢٨).

(٢) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص٤١٧-٤١٨، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنفال، آية (٢).

(٢) سورة الحج، آية (٣٤، ٣٥).

(٣) سورة الحديد، آية (١٦).

(٤) سورة الزمر، آية (٢٣).

(٥) سورة الأنفال، آية (٤٥).

(٦) سورة الأحزاب، آية (٤١).

(٧) سورة الأحزاب، آية (٣٥).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[١].

وهنا الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة الحاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرف عين.

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[٢].

فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يجلس مع الذاكرين الله، والحامدين، المهللين، المكبرين، وأن يصبر نفسه في الجلوس معهم، وهذه الآية نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحدهم، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال، وعمار، وصهيب، وخباب، وابن مسعود فنهاه الله عن ذلك[٣].

وعن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: "**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**"[٤].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٠٠).

(٢) سورة الكهف، آية (٢٨).

(٣) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٧٦/١١.

(٤) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ٢٧٠٠/٢٠٧٤/٤.

وروى معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: "**ما أجلسكم؟**" قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا -أي يتحدثون بنعمة الإسلام ويشكرون الله تعالى- فقال ﷺ: "**آلله ما أجلسكم إلا ذلك**" قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، فقال: "**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تبارك وتعالى: "**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**"(٢).

وفي مجالس الذكر تتنزل الرحمة، وتغشى السكينة، وتحف الملائكة، ويذكر الله سبحانه وتعالى أهلها فيمن عنده، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فربما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنبًا(٣).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن لله ملائكة يطوفون**

---

(١) رواه مسلم، الموضع السابق، برقم١ ٢٧٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" ١٣/٣٨٤/٧٤٠٥ مع الفتح.

(٣) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد بن سحمان، تذكرة النفس والإخوان ص٦٥.

في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم "فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا" " فيسألهم ربهم، -وهو أعلم- ما يقول عبادي؟ (قال): **يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: وكيف لو رأوني؟** (قال): **يقولون: لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة، وأشدّ لك تمجيدًا وتحميدًا، وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فما يسألوني؟** (قال): **يسألونك الجنة،** (قال): **يقول: وهل رأوها؟** (قال): **يقولون: لا والله يا رب ما رأوها،** (قال): **فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟** (قال): **يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدّ عليها حرصًا، وأشدّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة،** قال: **فممّ يتعوذون؟** (قال): **يقولون: من النار،** (قال): **فيقول: وهل رأوها؟** (قال): **يقولون: لا والله يا رب ما رأوها،** (قال): **فيقول: فكيف لو رأوها؟** (قال): **يقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فرارًا، وأشدّ لها مخافة** (قال): **فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم،** (قال): **يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"**[1].

والدخول في مجالس الذكر رحمة، والإعراض عنها خطيئة.

فعن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ٦٤٠٨/٢٠٨/١١ مع الفتح.

والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال: "**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**"[١].

قال أبو خلاد المصري: "من دخل في الإسلام دخل في حصن، ومن دخل في المسجد فقد دخل في حصنين، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل في ثلاثة حصون"[٢].

وملازمة مجالس الذكر تجعل المسلم على بصيرة بدينه عالماً بأسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وآلائه يميز بين الحلال والحرام، فيكتسب النفع ويتقي المضرة، وعن طريقها يفرق الإنسان بين أحكام البيع، والشراء، والإجارة، والمساقاة، والمزارعة، والتعامل مع الناس، وأداء الحقوق والواجبات لله سبحانه وتعالى أولاً، ثم للناس من والدين، وأقارب، وزوجة، وأولاد، وجيران، وإخوان، وفيها تشخيص ما في النفس من الخير والشر، وتوجيهها إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، وإلى ما يناسبها من الأمور النافعات، وفيها علوم العربية، وإتقانها وفيها علم أحوال التواريخ والدول، وأصناف الأمم، ويتمكن المرء فيها من اجتلاء قرون السالفين، ومعاصرة الأمم الغابرين، وبواسطتها يهتدي إلى الفرقان

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ١/١٨٨/٦٦.

(٢) عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سحمان، تذكرة النفس والإخوان، مرجع سابق ص ٦٥.

بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، والأعمال النافعة من الضارة[١].

وتعتبر قراءة القرآن الكريم من أفضل أنواع الذكر يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: "إن قراءة القرآن من أعظم أنواع الذكر وإن الحرف الواحد يعطى عليه تاليه عشر حسنات، وإن المسلم لابد له من ورد يومي يتلو فيه على الأقل مائة آية للأحاديث الواردة في ذلك من أوراد الصالحين في قراءة القرآن أنهم يختمونه في كل أسبوع مرة"[٢].

فمجالس الذكر تزيد من صفاء القلب، وزيادة الإيمان، واللهو بأمور الدنيا يبعد الإنسان عن الخير فيضعف إيمانه.

فعن حنظلة الأسيدي وكان من كُتّاب الرسول ﷺ قال: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، كأنها رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة»** ثلاث مرات"[٣].

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، أربع مسائل، مطبعة سفير، الرياض، ١٤١٢هـ ص ٢٨-٢٩.

(٢) الشيخ أبو بكر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البخاري، ١٤٠٤هـ، ص٩٥ حاشية.

(٣) أخرجه مسلم (٨/٩٤-٩٥)، والترمذي (٢/٨٣-٨٤)، وابن ماجه (٢/٥٥٩)، وأحمد (٤/١٧٨، ٣٤٦).

وعن شعيب بن أبي حمزة عن ابن أبي حسين قال: "بلغني أن لقمان الحكيم كان يقول: "يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وترائي به في المجالس، ولا تدع العلم زهدًا فيه ورغبة في الجهالة، يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم؛ فإنك إن تك عالماً ينفع علمك، وإن تك جاهلا يعلموك، ولعل الله يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإذا رأيت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك عيًا، ولعل الله عز وجل أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم"[١].

"فالذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه"[٢].

فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشيطان، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه[٣].

وقد أورد ابن القيم في الذكر أكثر من مائة فائدة، منها[٤]:

١- أنه يطرد الشيطان.

٢- أنه يرضي الرحمن عز وجل.

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٠٧/١.

(٢) الإمام ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ص٧٨.

(٣) الإمام ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، مرجع سابق، ص ٨١.

(٤) ابن القيم، الوابل الصيب، مرجع سابق ص ٤٣.

٣- أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

٤- أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٥- أنه يقوي القلب والبدن.

٦- أنه ينور الوجه والقلب.

٧- أنه يجلب الرزق.

٨- أنه يكسو الذاكر المهابة.

٩- أنه يورث المحبة.

١٠- أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه.

وأخيرًا يقول -رحمه الله-: "إن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة، واللغو، ومدح الناس وذمهم، وغير ذلك، فإن الإنسان لا يسكت البتة؛ فإما لسان ذاكر، وإما لسان لاغٍ، ولا بد من أحدهما، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله -عزّ وجلّ- سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدى الخطتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين"[(١)].

وذكر الله سبحانه وتعالى لا يقتصر على المجالس فقط، وإنما مطلوب من المؤمنين في كل وقت وأوان وعلى كل حال:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

---

(١) ابن القيم، الوابل الصيب، مرجع سابق، ص ٩١.

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[١].

وعن عبد الله بن بشر أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني بما شئت أتشبث به، ولا تكثر علي فأنسى، قال: "**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله تعالى**"[٢].

وعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ: "**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**"[٣].

وقال معاذ ﷺ عند موته: "اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولا لنكح الأزواج، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"[٤].

وقد ذكر أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عباس، رضي الله تعالى عنهما، فقال له: أوصني، فقال له عبد الله بن عباس: أوصيك بخمسة أشياء: أولها يقين القلب بالأشياء التي تكفل الله لك بها، والثاني بأداء الفرائض لوقتها، والثالث بلسان رطب في ذكر الله تعالى، والرابع لا توافق الشيطان، فإنه حاسد للخلق، والخامس أن تكون ناصحا للمسلمين دائمًا[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣٥)، وابن ماجه (٢٧٩٣)، والحاكم (١/٤٩٥)، وابن حبان (٢٣١٧).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٢٠٨)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل حديث (٦٤٠٧).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ٢/٢٨١-٢٨٢.

(٥) نصر السمرقندي، تنبيه الغافلين، مرجع سابق ص ١٥٠.

وللذكر آداب منها[١]:

١- إخلاص النية لله سبحانه وتعالى، وابتغاء مرضاته، وامتثال أمره، واتباع سنته ﷺ قال: تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[٣].

والإخلاص يدخل في كل عمل يقصد به وجه الله تبارك وتعالى.

٢- الاجتماع على ذكر الله في صورة تليق بالذكر في مجالس إيمانية تغشاها الرحمة، وتنزل بأصحابها السكينة، وتحف بها الملائكة المكرمون، ومجالس الصالحين هذه هي مجالس الملائكة.

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه"[٤].

٣- يجب ذكر الله في المجالس دائمًا، وإن لم تكن مجالس ذكر، فهو أمر مندوب إليه، والمجلس الذي لم يذكر الله فيه على أصحابه حسرة يوم القيامة، فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "**ما قعد قوم**

---

(١) صالح بن علي أبو عراد الشهري، الآداب النبوية التربوية، مكتبة أبها الحديثة ١/٢٢-٣٦.

(٢) سورة الرمز، الآيتان (١١-١٢).

(٣) سورة الزمر، آية (٣).

(٤) الإمام ابن القيم، الوابل الصيب، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع ص ٨٠.

مقعدًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة"[١].

٤- المداومة على ذكر الله ذكرًا كثيرًا والمواظبة عليه في جميع الأوقات والأحوال.

قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[٤].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب"[٥].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤٩٢/١، والإمام أحمد في المسند ٤٦٣/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية (٢٠).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٤١).

(٤) سورة الأحزاب، آية (٣٥).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٨٤/٦.

٥- عدم التشويش في حلق الذكر على الآخرين، وإيراد الأسئلة التي تؤدي إلى ذلك، فالأذى ليس من الإسلام في شيء، وعلى المسلم ألا يجعل العبادة طريقًا لإيذاء الناس، فإنها لا تكون عبادة إلا إذا كانت في رضى الله -عزّ وجلّ-.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبدالرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال رحمه الله: "الاستواء غير مجهول أي معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار".

"والكيف غير معقول" أي: كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل؛ لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته. "والإيمان به" أي: الاستواء "واجب" لوروده في الكتاب والسنة. "والسؤال عنه" أي: عن الكيف "بدعة"؛ لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفًا من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيرًا له بمنعه من مجالس العلم"[(١)].

٦- السعي إلى ذكر الله تعالى لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)].

يتبع ذلك الجلوس في حلقات الذكر عند المرور بها، وعدم التفريط فيها، أو التنحي عنها.

---

(١) الشيخ محمد صالح العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٠٩هـ ص ٤٠.

(٢) سورة الجمعة، آية (٩).

٧- ملازمة الذكر للشكر، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[(١)].

وهذا أدب تربوي يقتضي اتباع الذكر شكرًا وحمدًا له وثناء عليه.

٨- ترطيب اللسان بذكر الله سبحانه وتعالى؛ لما في ذلك من تشبث بالصفة الخيرية، ومن تعلق بخيري الدنيا والآخرة، وتمسك بحظ وافر من الشريعة الإسلامية.

فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله -وفي لفظ أنه هو الذي قال-: إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به فقال: "**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله تعالى**"[(٢)].

وهنا يربي الرسول ﷺ أصحابه وأمته جميعًا على أمر يجمع لهم الخير كله، كما يربيهم على ذكر الله سبحانه وتعالى، وعدم نسيانه، وعلى إشغال اللسان بالذكر عن قبيح الكلام.

٩- الإتيان بالذكر المناسب، في الوقت المناسب، والمكان المناسب.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[(٣)].

ومن الأماكن المناسبة للذكر: المساجد، وحلق الذكر، والمشاعر المقدسة ونحوها.

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٢).

(٢) جامع الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر ٥/٤٢٧/٣٣٧٥.

(٣) سورة البقرة، آية (١٩٨).

١٠- أن يتأثر الذكر بما يقوله من أذكار، وأن تظهر آثار الذكر على نفسه وسلوكه، وشخصيته، فيكون خاشعًا لله عابدًا له، متواضعًا، فاضلاً، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، متفكرًا في خلق الله، مكثرًا من الطاعات، مجتنبًا للمنهيات.

وذكر ابن تيمية أن من ذكر الله طلب العلم، وهو من أعظم الذكر، وسماع العلم، وحضور مجالس العلم، ومحاضرات أهل العلم، ودروس أهل العلم، فإنها من أعظم ما يكون قربى وزلفى إلى الله سبحانه وتعالى[١].

١١- والبكاء والخشوع والتأدب بين يدي الله سبحانه وتعالى حين ذكره، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٢].

وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: "**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** -ذكر منهم- **رجلاً ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**"[٣].

١٢- الخوف من عظمة الله سبحانه، والوجل للقلب المصاحب لنزول

---

(١) صالح علي أبو عراد الشهري، مرجع سابق ص ٣٢.

(٢) سورة المائدة، آية (٨٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش ١١٢/١٢ حديث ٦٨٠٦ مع الفتح.

السكينة والطمأنينة، رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى، وطمعًا في عفوه ومغفرته، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

١٣- حضور القلب، وتدبر الذكر، ومعرفة معناه، فلا يكون الذكر مجرد ألفاظ وعبارات تردّد دون وعي، ودون فهم وتبصر في معانيها ومدلولاتها، ولا يثمر الإيمان إلا حضور القلب، ولا ينميه إلا التدبر، ولا يجعله أساسًا ثابتًا وأصلاً معتمدًا إلا ما يتفقهه القلب، وما يتغذاه من هذا الذكر.

---

(١) سورة الأنفال، آية (٢).

مجالس نيل العلم الشرعي

تعدّ مجالس العلم من أنفع طرق العلم الموصلة إليه، وإلى غاية الانتفاع به، أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام[١]، وخاصة إذا أخذ العلم عن العلماء الثقات الذين لهم في العلم أمارات، وعلامات[٢]، ومنها:

١- العمل بما علم.

٢- أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم وملازمته لهم.

٣- الاقتداء بمن أخذ عنه، والتأدب بآدابه، كما علمت من اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ واقتداء التابعين بالصحابة.

ولأخذ العلم عن أهله طريقان[٣]:

١- المجالسة وأخذه بالمشافهة، وهي الأنفع والأسهل، لما جعل الله سبحانه وتعالى من خاصية فهم العلم بالمشافهة، فعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه وكان من كُتّاب رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، كأنها رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما**

---

(١) الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر ٥٢/١.

(٢) الشاطبي، المرجع السابق، ٥٣/١.

(٣) الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، مرجع سابق، ٥٥/١-٥٦.

تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة! ساعة وساعة» ثلاث مرات"[(١)].

٢- مطالعة كتب المصنفين بشرطين:

أ- أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ومعرفة اصطلاحات أهله، وذلك يحصل بمجالسة العلماء ومشافهتهم.

ب-أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أعلم به من غيرهم من المتأخرين.

ومراتب العلم:

١- سماعه من مجالسة العلماء سواء كان درسًا خاصًا أو عامًا.

٢- عقله وفهمه.

٣- تعاهده وحفظه.

٤- تبليغه وبثه بين الناس[(٢)].

ويتم ضياع العلم من خلال الوجوه التالية:

١- ترك السؤال.

٢- سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

---

(١) أخرجه مسلم (٨/٩٤-٩٥)، والترمذي (٢/٨٣-٨٤)، وابن ماجه (٢/١٥٥٩)، وأحمد (٤/١٧٨، ٣٤٦).

(٢) الإمام ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/٧١-٧٢.

٣- سوء الفهم.

٤- سوء الحفظ.

٥- عدم نشره وتعليمه؛ فذلك يؤدي إلى نسيانه وذهابه.

٦- عدم العمل به، حيث إن العمل بالعلم من أقوى أسباب حفظه وثباته، قال بعض السلف: "العلم يَهْتِف بالعمل، فإنّ أجابه حلّ، وإلاّ ارتحل"(١).

وقال أبو الدرداء: كن عالماً أو متعلمًا، أو مستمعًا، ولا تكن الرابع فتهلك.

يعني مما لا يعلم، ولا يتعلم ولا يستمع(٢).

وقد أورد ابن القيم -رحمه الله- عن النسابة الكبرى آفات العلم فقال: "إن للعلم آفة ونكدًا وهجنة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير أهله"(٣).

وينصح رحمه الله بالاستماع الجيد فيقول: "إذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول"(٤).

فالاستماع لعالم أنفع؛ لأنك إن حرصت على القول أكثر من الاستماع، فهذا يؤديك إلى عدم فهم كلام العالم كما أراده.

---

(١) المرجع السابق ١٧٢/١.

(٢) السمرقندي، تنبيه الغافلين، مرجع سابق ص ٣٤١.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق ١٦٨/١-١٦٩.

(٤) المرجع السابق ١٦٩/١.

والعلم ينفعك في يسرك وعسرك، قال عبدالملك بن مروان لبنيه: "يا بني تعلموا العلم فإن استغنيتم كان لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مالاً"(١).

وعن السري بن يحيى، عن سليمان التميمي قال: قال لقمان الحكيم لابنه: "يا بني ما بلغت من حكمتك؟ قال: لا أتكلف ما لا يعنيني، قال: يا بني: إنه قد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوبل السماء"(٢).

وكان الفضيل بن عياض يقول: "أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر"(٣).

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وقال مالك، عن نافع، كان ابن عباس، وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج، وكنت أجلس إلى هذا يومًا وإلى هذا يومًا، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما يسأل عنه، وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي"(٤).

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان أهل العلم وفضله ٥٧/١.

(٢) المرجع السابق ١٠٦/١.

(٣) المرجع السابق ١١٨/١.

(٤) ابن القيم، هداية الحيارى، مرجع سابق، ص٢٣٦.

فضل العلم وأهله:

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١].

استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود وهو توحيده، وذلك يدل على فضل العلم وأهله من وجوه عدة أوردها ابن القيم -رحمه الله- ومنها[٢]:

١- استشهادهم دون غيرهم من البشر.

٢- اقتران شهادتهم بشهادته.

٣- اقترانها بشهادة ملائكته.

٤- إن تزكيتهم وتعديلهم في هذا الاقتران.

٥- إنه وصفهم بكونهم أولي العلم.

٦- أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفاً.

٧- استشهد بهم على أجل مشهود به، وأعظمه، وأكبره؛ وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

٨- أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده.

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٨).

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/٦٣-٦٥ بتصرف.

٩- أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته، ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته.

١٠-أنه سبحانه جعلهم مؤدين حقّه عن عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها أدوا الحق المشهود به، فمن اتبع الصواب على أثر ذلك من الخلق فلهم من الأجر والثواب العظيم ما لا يعلمه إلا الله.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

فتأمل هذه الآية وما اشتملت عليه من أنواع الدلالات على تفضيل العلم وأهله، فإن الله تعالى آتى داود وسليمان عليهما السلام من نعم الدارين ما لا يحصر، ولم يذكر من ذلك في صدر هذه الآية في مساق الامتنان عليهما، وشكرهما الجزيل ما أنعم به إلا العلم، يبين سبحانه أنه الأصل في النعم كلها، فلقد كان داود من أعبد الناس، وذلك من آثار علمه، وجمع الله له ولابنه سليمان عليهما السلام ما لم يجمعه لأحد وجعل العلم أصلاً لذلك كله[٢].

وفي الحث على العلم والتعليم قال الرسول ﷺ لعلي ﷺ من حديث

---

(١) سورة النمل، آية (١٥).

(٢) علي بن عبدالله السمهودي، جواهر العقدين في فضل الشرفين، تحقيق موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٥هـ، ص١١٠.

سهل بن سعد ﵁: "**لأنْ يهدينَّ الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمْر النعم**"[١].

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**"[٢].

والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه، والملائكة تضع أجنحتها له إكرامًا وتوقيراً لما يحمله من ميراث النبوة، وهذا يدل على المحبة والتعظيم؛ لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب، حيث إنهم أنصح خلق الله لبني آدم فيستغفرون لمسيئهم، ويثنون على مؤمنهم ويعينون على أعدائهم من الشياطين[٣].

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ٣٧٠١/٧٠/٧.

(٢) رواه أبو داود ٢٨٥/٢، والإمام أحمد ١٩٦/٥، وابن ماجه ٨١/١.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق ٨٣/١.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "**إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**"(١).

وهذا من أعظم الأدلة على الاهتمام بالعلم، والاشتغال به، وعظم ثمرته؛ حيث إن ثوابه يصل صاحبه بعد موته مادام ينتفع به؛ فكأنه حي لم ينقطع عمله، فجريان أجره عليه إذا انقطع من الناس ثواب أعمالهم حياة ثانية(٢).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**"(٣).

ومجالسة العلماء تبعث على الخوف من الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وبالتالي يأمن المجالس على نفسه من العذاب بمشيئة الله يوم الوعيد.

يقول ابن القيم رحمه الله: "...وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع؟ فقال: والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف"(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٦٣١/١٢٥٥/٣.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، مرجع سابق ٢٢١/١.

(٣) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم ٢٦٣٧/٢٩/٥.

(٤) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٥-١٦.

فوائد مجالس العلم الشرعي التربوية:

١- مجالس العلم الشرعي تحمل بين جنباتها ذكر الله تعالى وبهذا تلك المجالس تملأ القلوب اطمئنانًا: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]، والاطمئنان هو الراحة النفسية الهادئة بعيدًا عن صخب الدنيا الفانية، وكم نحن في أمس الحاجة لهذا الاطمئنان في حياتنا العصرية التي اعتلتها المادة والمصالح الدنيوية فنتج عنها قسوة القلوب والجهل بما يجب أن يعرف من الإسلام بالضرورة.

٢-تقضي مجالس العلم الشرعي على الكثير من الأمراض الاجتماعية التي تعصف بالناس مثل: (الغيبة- النميمة- البهتان)، وبمثل هذه الأمراض الاجتماعية تبرز الآثام، وتقطع الأرحام، وتشعل نار الفتنة والضغينة.

٣-من فضائل مجالس العلم الشرعي أنها تربط القلوب بالله تعالى، فيكون هناك اقتراب بين العبد وخالقه، مما يثمر ذلك زيادة محبة العبد لربه فيتبع ما أمره به ويجتنب ما نهى عنه.

٤-عندما نقيم مجالس العلم الشرعي فإننا قد حققنا جزءا من هدف وجودنا في الدنيا، وهي عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

---

(١) سورة الرعد، الآية (٢٨).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٨).

٥-عندما يحرص المعلم على توجيه المتعلم لمجالس العلم الشرعي فإنه بذلك يساعده على تنمية (الجانب المعرفي- الوجداني- النفسي- الحركي) وتنمية الجانب المعرفي يكتسبه في معرفة دينه وتفقهه فيه، وتنمية الجانب الوجداني يكتسبه عندما يشعر بالطمأنينة والسكينة، وتنمية الجانب النفسي الحركي يتحقق عندما ينقل للآخرين ما استفاده من معرفة في ذلك المجلس، وبذلك ينجح المعلم في تحقيق الأهداف السلوكية للمتعلم.

٦-مجالس العلم الشرعي تساعد على زيادة رابطة التآلف والمحبة بين المسلمين، وكم نحن بحاجة إلى هذا التآلف والتآزر في عصرنا الحالي، الذي يحاول جميع الأعداء والمنافقون بما يملكونه من وسائل متعددة شقّ صفوفنا وتفريق جموعنا.

٧- من آثار مجالس العلم الشرعي أنها توجد صيغة التواضع بين الجالسين، فهذا غني وهذا فقير، وذاك متعلم وهذا عامل، فجميع هؤلاء جمَعَهم مجلس واحد في وقت وحد أُذيبت بينهم الفروق الطبقية والعلمية.

٨-من ثمار مجالس العلم الشرعي أنها تذكر المعلم والمتعلم بمحاسبة نفسه على مدى تقصيره تجاه الله تبارك وتعالى، وهذا مما يولد استمرارية الاستغفار والإنابة.

٩-مجالس العلم الشرعي تزيد الإيمان بالله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾[(١)]. وزيادة الإيمان هدف يتمناه كل موحد لرب العالمين.

١٠- من الفوائد الدعوية لمجالس العلم الشرعي أنها تكون زادًا للداعية، بعد أن تلقى العلم من تلك المجالس يقوم بالتحرك لنقل ذلك للناس، وبهذا يسهم في تحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[(٢)].

١١- من الفوائد التربوية لمجالس العلم الشرعي أنه تشبع حاجة المتعلم عن طريق المناقشة، كسؤال ذلك الأعرابي عن الساعة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدّث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فَكَرِهِ ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: "**أين السائل عن الساعة؟**" قال: ها أنا يا رسول الله، قال: "**فإذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة**"، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "**إذا وسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**"[(٣)]. فالسؤال كان يختلج في نفسه، ويودّ أن

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢).

(٢) سورة فصلت، الآية (٢٣).

(٣) رواه البخاري في العلم، باب: من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه... رقم (٥٩)، (٣٣/١)، وفي الرقائق، باب: رفع الأمانة رقم (٦١٣١)، (٢٣٨٢/٥).
وأحمد في المسند ٣٦١/٢.

يعرف الإجابة حتى يتفقه في دينه.

وبمجالس العلم الشرعي تستطيع أن توجد بيئة تربوية إيمانية تفتح الحوار بين العالم والمتعلم[١].

آداب طالب العلم:

ولطالب العلم آداب ينبغي أن يتحلى بها وأهمها ما يلي[٢]:

١- أن يطهر قلبه من كل غش، ودنس، وغل، وحسد، وسوء عقيدة وخلق؛ ليَصْلُحَ بذلك لقبول العلم وحفظه، والاطلاع على دقائق معانيه، وحقائق غوامضه.

٢- حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله والعمل به على إحياء الشريعة ولا يقصد به الرئاسة والمال والمباهاة.

٣- أن يغتنم شبابه وأوقات عمره فيصرفها في التحصيل، ولا يغتر بخدع التسويف والتأجيل؛ فإنَّ ساعة تمضي لا بدل لها ولا عوض عنها، لذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن تقليلاً للشواغل.

---

(١) الشيخ نجيب خالد العامر، من أساليب الرسول ﷺ في التربية، البشرى الإسلامية، الكويت، ص ١٥١-١٥٣.

(٢) القاضي عياض البستي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية ص: ٤٥)، والحسين بن منصور اليمني، آداب العلماء والمتعلمين ص ١٢-١٤، ومحمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث ص٢١٩.

ويقال: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

٤- القناعة من القوت بما تيسر؛ لأن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وكثرته جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم هذا مما فيه من التعرض للأسقام البدنية. ولم يوصف من العلماء من كثر أكلُه ولا حَمْدهم لمن اتصف به؛ بل تحمد كثرة الأكل من الدواب التي لا تعقل ومن رام العلم وتحصيل البغية مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلاً في العادة. فعن مقدام بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**"(١).

٥- يقسم أوقات ليله ونهاره ويغتنم ما بقي من عمره، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللمذاكرة أول الليل، ووقت الجوع أنفع للحفظ من وقت الشبع، وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل

---

(١) رواه الترمذي في الزهد، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم (٢٣٨٠) (٥٠٩/٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الوليمة، باب: ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل رقم (٦٧٦٨)، (١٧٧/٤).

وابن ماجه في الأطعمة، باب: الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع رقم (٣٣٤٩)، (١١١١/٢).

موضع بعيد عن الملهيات.

٦- يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه، ويتحرى الحلال في كل ما يقوم به، وما يستعمل.

٧- الإقلال من استعمال المطاعم ذات الأثر المباشر على الجسم، كالإكثار من اللحوم، أو الحلوى، أو شرب اللبن فإنه يؤدي إلى النوم، وكذلك المنبهات كالشاي والقهوة، والمشروبات المصنعة.

٨- أن يقلل من نومه ما لم يلحقه ضرر فلا يزيد على ثمان ساعات، ولا بأس من إراحة نفسه وقلبه وذهنه وبصره بالنزهة بحيث يتجدد نشاطه ولا يضيع عليه زمانه، ولا بأس بمعاودة المشي ورياضة البدن به، ولا بأس بالوطء عند الحاجة إذا كان متزوجًا شريطة الاعتدال ويحذر كثرته حذر العدو.

٩- ترك العشرة لغير الجنس، وخصوصًا لمن كثر لعبه، وقلت فكرته، فإن الطباع سرّاقة، وآفة العشرة السيئة ضياع العمر بدون فائدة.

مجالس أهل الصدق

الصدق لغة: نقيض الكذب، صدق يصدق صدقًا، وصدّقه قيل قوله وصدَقه الحديث: أنبأه بالصدق[1].

أما حقيقته: فقيل: الصدق الوفاء لله بالعمل، وقيل: موافقة السر النطق، وقيل: استواء السر والعلانية[2].

وقيل: الصدق القول بالحق في موطن الهلكة، وقيل: كل الحق عند من تخافه وترجوه[3].

وهو التزام الحقّ وتحرّي الصواب في القول والعمل على كل الأحوال[4].

ويعتبر الصدق من صفات الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[5].

في الآية الكريمة خبر وقسم، خبر بتوحيده سبحانه وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات، وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد

---

(١) لسان العرب، مادة (صدق).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٢٧٤.

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، المرجع السابق ٢/٢٧٤.

(٤) أحمد محمد يحيى المقري، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٩هـ، ص ٢٦٦.

(٥) سورة النساء، آية (٨٧).

فيجازي كل عامل بعمله، ولا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده فلا إله إلا هو ولا رب سواه[١].

وقد أخبر سبحانه أنه لا ينفع العبد وينجيه يوم القيام إلا صدقه وتوحيده إياه وعدم الإشراك به.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٣].

والذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، و(صدّق به) يعني محمد عليه الصلاة والسلام[٤].

والصدق من أبرز أخلاقه ﷺ، فقد نشأ في طفولته على الصدق والأمانة في الوسط الجاهلي، الذي كان مشبعًا بالكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى خلقه.

والصدق كما يكون في الأقوال يكون في الأعمال الظاهرة والباطنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[٥].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/٥٤٥، دار المعرفة، بيروت.

(٢) سورة المائدة، آية (١١٩).

(٣) سورة الزمر، آية (٣٣).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٥٨.

(٥) سورة الحجرات، آية (١٥).

فالصدق هو صفة المؤمنين الكَمَلةِ الذين لم يشكوا، بل ثبتوا على حال واحدة، وهي التصديق المحض، وبذلوا مُهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه(١).

والصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر، والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح في الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به: تكون صدّيقيّته. ولذلك كان لأبي بكر الصديق ﵁ وأرضاه: ذروة سنام الصديقية، سمي "الصديق" على الإطلاق و"الصديق" أبلغ من الصدوق، والصدوق أبلغ من الصادق.

فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسِل(٢).

وهذه الفئة التي ينبغي للإنسان البحث عنها، ومجالستها، والاجتماع إليها والاقتباس منها، وتمثل سلوكها، فهم أحق بالمجالسة والصحبة، ومن عاداهم أولى بالابتعاد والجفوة.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٣٤/٤.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢٦٩/٢-٢٧٠.

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة. فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "**الصدق طمأنينة والكذب ريبة**"[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابا**"[٢].

فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها، وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله[٣].

وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم: من الإيمان والإسلام، والصدقة، والصبر، بأنهم أهل الصدق[٤].

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/٢٠٠.

والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠) رقم (٢٥١٨)، (٥/٥٧٦). وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم في البر، باب: قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧)، ٤/٢٠١٢).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٢٧٣.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، المرجع السابق، ٢/٢٧٣.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

وهذه الآية تدل صراحة على أن الصدق في الأعمال الظاهرة والباطنة، والشخص الصادق هو من انجذبت قوى روحه إلى لقاء الله، والسير إليه، والاستعداد للقائه.

ومن هذا فهو لا يحتمل سببًا يدعوه إلى نقض عهده مع الله بوجه؛ لهذا كان من أضر الخلطاء على الشخص الصادق صحبة أهل الغفلة والجلوس إليهم، فهم قطاع طريق القلب إلى الله، بل إن نفس الصادق لا تصبر على صحبتهم إلا جمع ضرورة، فتكون صحبته لهم في تلك الحال بقالبه وجسمه دون قلبه وروحه، فإن استحكام الغفلة على قلوبهم شبيه باستحكام الصدق في قلب الصادق.

وقلب الصادق قوي الإحساس عند هذه المواطن، فميله يكون إلى القلوب الصافية، ويشعر دون تردد بضد ما يحمله، فيشم القلبُ القلبَ كما تُشَمّ الروائح طيّبُها وخبيثُها، وقلب الغفلة لا يأنس به القلب الصادق إلا تكلفًا ولا يصاحبه إلا ضرورة، فيأخذ من صحبته قدر الحاجة الضرورية، كصحبة من يُشترى منه[2].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٧٧).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٢٨١ بتصرف.

والصدق عدا كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات المجتمع بل هو أكبر أبواب السعادة فالتاجر الصادق مثلاً أكثر التجار زبائنًا وأكثرهم ربحًا، وحسبك أن ترى نفسك مسوقا – حين تريد ابتياع سلعة من السلع- إلى أن تفتش عن متجر عرف صاحبه بالصدق؛ لتدفع له ثمن سلعته كما يريد.

قال عمر رضي الله عنه: "عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعُدة في البلاء، وضَعْ أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلاّ الأمين، ولا أمين إلاّ من خشي الله عزّ وجلّ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى"[١].

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم... ولقد كانت أمتنا من أشهر الأمم بالصدق، كل يعمل من موقعه في صدق وأمانة، وعرف منهم الصدق في معاملاتهم، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من أي فرد، أقوى وأبلغ أثرًا وأكثر التزامًا من العقود والوثائق التي توقع في العصر الحاضر، ثم لا يمضي زمنٌ قصيرٌ حتى لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عنه، والحبر الذي سجلت به[٢].

---

(١) أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥م.

(٢) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ص ٨٣.

الآثار المترتبة على الصدق:

أ- إن التزام الصدق في القول يؤدي إلى تحري الحقيقة في كل ما يأخذ الإنسان وما يدع من الأقوال، فلا غش، ولا خداع، ولا مراوغة، ولا مداهِنة؛ لأن ذلك كله ينافي الصدق، ولو عرف المرء أن شخصًا ما لا يلزم الصدق في سلوكه يتجنبه، ولا يجالسه، ولا يفضي إليه بقول، ولا يأخذ عنه وذلك رادعًا له.

ب-الصدق في الإيمان يؤدي إلى الاندفاع للجهاد في سبيل إعلاء لكلمة الله، والتضحية في سبيل ذلك بالمال والنفس، وأصدق مثال على ذلك ما رواه الإمام أحمد رحمه الله: "أن المشركين يوم بدر لما دنوا قال رسول الله ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض". فقال عمير بن الحمام الأنصاري ﷺ: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: "نعم" فقال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: "وما يحملك على قولك بخ بخ؟" قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: " فإنك من أهلها ". قال: فأخرج تمرات... ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم... فمازال حتى قتل"[١].

وهكذا يكون الصدق في الإيمان.

---

(١) رواه أحمد ١٣٧/٣.

ومسلم في الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠١/١٤٥) (١٥٠٩/٣).

ج- الصدق في الأعمال يؤدي إلى إخلاصها لله تعالى، والابتعاد عن الرياء والعجب[١].

تطبيقات على الصدق:

والصدق منجاة وهذه بعض التطبيقات من تاريخ الإسلام عن الصدق.

فجاء في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، وقد تاب الله عليهم بما صدقوا به عندما جلسوا بين يدي رسول الله ﷺ وسؤاله إياهم عن سبب تخلفهم:

يقول كعب بن مالك: "كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك — بعد مجيئه من غزوة تبوك- جاءه المتخلفون، وطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له -وكانوا بضعة وثمانين رجلا -فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، ويَكِلُ سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك، ألم تك قد اشتريت ظهرًا"؟ قال: فقلت: يا رسول الله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك بصدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو أقرب عقبى

(١) أحمد محمد يحي، تربية النفس في ظل القرآن الكريم، مرجع سابق، ٢٦٧، ٢٦٨.

ذلك من الله عز وجل، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال: فقال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك".

وقال صاحباه مثل ما قال، وقيل لهما مثل ما قيل له، وقد تاب الله عليهم.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

قال كعب بن مالك: "فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي منَ صدقي رسول الله ﷺ يومئذ ألا أكون كذبته فأهلك، كما هلك الذين كذبوه"[(٢)].

وقد عين أبو بكر رضي الله عنه في خلافته عمر للقضاء بين الناس... قالوا: فمكث عمر سنة لا يختصم إليه اثنان! أترى هذا لأن الناس في عهد عمر لم تكن طبائعهم من طبائع البشر التي تختلف وتتنازع، أم ترى ذلك؛ لأن الناس في عهد عمر لم يكن لهم شيء يختصمون عليه ويتنازعون؟ كلا! لا هذا ولا ذاك، وإنما هو الصدق الذي يحجز كل واحد من المتنازعين عن أن يصور الخلاف لنفسه كما يشتهي، بل يصوره كما هو الواقع والحق، فإذا

---

(١) سورة التوبة، آية (١١٨).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٤١١-٤١٤.

هو ينصف من نفسه إذا كان ظالماً، ويرد الحق إذا كان معتديًا، ويتسامح إذا كان مجنيًا عليه.. وبهذا لم يحتج الناس إلى عمر ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

وذهب بلال وصهيب من صحابة رسول الله ﷺ إلى أهل بيت من العرب يريدان أن يتزوجا منهم فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله، فقال القوم: بل تزوجان والحمد الله، ثم انصرفا، فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وحروبنا مع رسول الله ﷺ؟ فقال بلال: اسكت فقد صدقت فزوجك الصدق.

ولما جلس الحجاج لقتل بعض الأسرى قام رجل منهم فقال: أصلح الله الأمير: إن لي عليك حقًا! قال: وما حقك؟ قال: سبَّك عبدالرحمن بن الأشعث يومًا فرددت عليه! قال الحجاج: من يعلم ذلك؟ فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذلك أيها الأمير! فقال: خلوا عنه، ثم قال للشاهد: ما منعك أن ترد على ابن الأشعث كما رد صاحبك؟ فقال له الشاهد: لقديم بغضي إياك... فقال الحجاج: خلوا عن هذا لصدقه[١].

---

(١) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي ص ٨٢-٨٧.

مجالسة أصحاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الإنسان المسلم تقع عليه مسؤولية إصلاح نفسه أولاً، ثم المجتمع من حوله ثانيًا، وإصلاح النفس والمجتمع لا يكون إلا بالالتجاء إلى أهل الخير والصلاح، وسلوك مسلكهم، والانخراط في جماعتهم، والتعاون معهم، والتعرف عليهم، والأخذ بمنهجهم.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات التي ينبغي على جميع المسلمين الحرص عليها والقيام بها، وكلما كان عدد القائمين عليها من السواد الأعظم وضح آثار ذلك في المجتمع وبان صلاحه.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال في وصية لقمان لابنه التي قصّها القرآن الكريم علينا: قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٤).

(٢) سورة لقمان، آية (١٧).

(٣) سورة آل عمران، آية (١١٠).

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[١].

فمن أعظم منافع الإسلام وآكد قواعد الأديان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح، فهذا أشق ما يحمله المكلف؛ لأنه مقام الرسل حيث تنفر منه نفوس أهل اللذات، وتمقته أهل الشهوات، وهو إحياء للسنن وإماتة للبدع، ولو سكت المحقون ونطق المبطلون لتعود النشىء ما شاهدوا، وأنكروا ما لم يشاهدوا. فمتى رام الملتزم إحياء سنة أنكرها الناس فظنوها بدعة، أضحى القائم بها يعدّ مبتدعًا حتى تثبت بالفعل والأمر.

فالبدعة صارت في بعض الأماكن مألوفة، والسنن منكرة غير معروفة، فيحتاج الآمر والناهي إلى مزيد صبر وتسليم، واستعانة بالعزيز الحليم.

والمعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه، وهو من الصفات المعروفة بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه إلا من جهل، والمعروف وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه.

والنهي ضد الأمر: فمن صيغ الأمر: أقم الصلاة، صم رمضان، استعمل الخيرات، أد السنن الرواتب. ومن صيغ النهي: لا تشرب الخمر، لا تقتل النفس، لا تزن، لا تأكل أموال الناس بالباطل، لا تطلق بصرك في حرم المسلمين[٢].

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٦٥).

(٢) الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب، مطبعة الحكومة بمكة ١/٢١١-٢١٣.

ومجالسة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من ضروريات الحياة؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين، ومجالسة المؤمنين مطلب كل ذي عقل وبصيرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[١].

فلا صلاح لمجتمع في الأرض إذا لم يشعر فيه كل فرد بمسؤوليته تجاه المجتمع.

ولقد نبه الإسلام إلى هذه المسؤولية التي تبتدئ بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما جماع الفضائل كلها.

ولقد عدّ الإسلام الجماعة التي تتجنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماعة آثمة تستحق اللعنة، أي الطرد من رحمة الله، وهذا ما حكاه الله عن جماعة من بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

لقد تقاعس بنو إسرائيل عن النهي عن المنكر فاستحقوا اللعنة من الله، وهذا ينطبق على كل جماعة تتقاعس عن النهي عن المنكر.

---

(١) سورة التوبة، آية (٧١).

(٢) سورة المائدة، آية (٧٨-٧٩).

فرؤية المنكر والسكوت عنه إثم كبير، يحمل وزره كل فرد في المجتمع؛ لأن السكوت عنه هو رضى به، وتشجيع للمفسدين لإشاعة فسادهم، وإذا شاع الفساد عمّ الناس بلواه، وأصابهم العذاب من حيث لا يشعرون[١].

قال رسول الله ﷺ: "**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهاهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**"، فجلس رسول الله ﷺ، وكان متكئًا، فقال: "**لا، والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرا**"[٢].

قال الحافظ المنذري: ومعنى تأطروهم أي: تعطفوهم، وتقهروهم، وتلزموهم باتّباع الحق.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل

---

(١) عفيف عبدالفتاح طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، ١٩٧٩م، ص١٢٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ١/٣٩١.

وأبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي (٤/١٢١) (٤٣٣٦).

والترمذي في التفسير، باب (٦)، ومن سورة المائدة رقم (٣٠٤٧) (٥/٢٣٥)، وقال: حديث حسن غريب.

وابن ماجه في الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٦)، (٢/١٣٢٧).

أنه كان الرجل يلقى الرجل، فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض "، ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٰسِقُونَ ﴾[١]، ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا"[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**"[٣].

---

(١) سورة المائدة، الآية (٧٨-٨١).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/٣٩١).

وأبو داود في الملاحِم، باب الأمر والنهي (٤/١٢١) (٤٣٣٦).

والترمذي في التفسير، باب (٦)، من سورة المائدة رقم (٣٠٤٧) (٥/٢٣٥)، وقال: حديث حسن غريب.

وابن ماجه في الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٦)، (٢/١٣٢٧).

(٣) رواه مسلم في الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم (٤٩/٧٨)، (١/٦٩).

والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: تفاضل أهل الإيمان (٦/٥٣٢)، رقم (١١٧٣٩).

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الصبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن لم يستعمل لزم أحد أمرين، إما تعطيل الأمر والنهي، وإما حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي أو مثلها أو قريبا منها، وكلاهما معصية وفساد.

قال تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[(١)] فمن أمر ولم يصبر، أو صبر ولم يأمر، أو لم يأمر ولم يصبر، حصل من هذه الأقسام الثلاثة مفسدة، وإنما الصلاح في أن يأمر ويصبر.

وفي الصحيحين عن عبادة ﷺ قال: "بايعنا رسول الله - ﷺ - على السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم"[(٢)].

فالإسلام يأمر المسلم أن يكون على حالة من الاستعداد والتهيؤ

= والترمذي في الفتن، باب: ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، رقم (٢١٧٢)، (٤٠٧/٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة العيدين، رقم (١٢٧٥)، (٤٠٦/١)، وفي الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (٤٠١٣)، (١٣٣٠/٢).

وأبو داود في الصلاة، باب الخطبة يوم العيد، رقم (١١٤٠)، (٢٩٦/١).

وأحمد في المسند (١٠/٣، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٩٢).

(١) سورة لقمان، آية (١٧).

(٢) الشيخ محمد السفاريني، غذاء الألباب، مرجع سابق ص ٢١٤.

للإصلاح وإزالة الفساد، ولا يكون ذلك إلا بمجالسة ومخالطة من يستهويهم إزالة المنكر، والتطلع إلى تعميم الإصلاح على كل أفراد المجتمع، وقد حدد الإسلام ذلك بالاستطاعة وأقله مرحلة الإنكار بالقلب.

" وكراهية القلب للمنكر يجعل القلب حيًّا عامرًا بالإيمان، ذا حساسية كافية ضد المنكرات والفساد، ولا يسع المسلم ترك هذه الكراهية، وإذا فقدها كان ذلك علامة مرض قلبه، فليسارع إلى تطبيبه بعلاج الإيمان قبل فوات الأوان"(١).

وفي السنّة النبوية توجيه للمسلمين جميعًا على أن يتعاونوا على الأمر بالمعروف ودفع المنكر؛ خشية العقاب من الله.

فعن حذيفة بن اليمان ﵁ أن النبي ﷺ قال: "**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه... ثم تدعون فلا يستجاب لكم**"(٢).

فكيف يكون إحداث مثل هذا التأثير في المجتمع، دون أن يكون هناك ترابط بين المسلمين القائمين على هذا الأمر، وجلوس بعضهم لبعض؛ للتدارس ووضع الخطط التي يمكن من خلالها النفوذ إلى صد المنكر، ورفع الظلم وإصلاح المجتمع.

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٢) رواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٢١٦٩) (٤/٤٠٦)، وقال: حديث حسن.

فمجالسة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومعاونتهم على ذلك تدفع الأذى عن الأفراد، وتنجي المجتمع من الهلاك الجماعي؛ لأنه من سنة الله أن المجتمع الذي تنتهك فيه حرمات الله، ويسكت أفراده عن الإنكار والتغيير، فإن الله سبحانه وتعالى يعمهم بمحن وفتن تصيب الصالح والطالح(١).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: **"مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم ونجوا جميعا"**(٣).

قال القرطبي: "إن في هذا الحديث دليلاً على تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة للجماعة كلها عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وأنه إذا لم تُغير المنكرات، وترجع الأمور إلى حكم

---

(١) عبد الكريم زيدان، مرجع سابق ص ١٣٥-١٣٨.

(٢) سورة الأنفال، آية (٢٥).

(٣) رواه البخاري في الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيها، رقم (٢٣٦١) (٨٨٢/٢).

والترمذي في الفتن، باب (١٢)، رقم (٢١٧٣)، (٤٠٨/٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

وأحمد في المسند (٢٦٩/٤، ٢٧٠).

الشرع وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة"[١].

فالقيام بهذه المهمة وقاية من العذاب الإلهي واستنزال لرحمته، فحلول الهلاك ونزول عذاب الله سببه المعاصي[٢].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ... ﴾[٣].

كما أن النعمة والرخاء ورضوان الله سببها الشكر والطاعة قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[٤].

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي ألاّ يخالف فعله قوله وأن يبدأ بنفسه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥].

إن جمال القول وبراعته يترك تأثيره العظيم في النفوس، ذلك لأن الناس تتلقى الكلام الطيب والقول الكريم بقلب مفتوح، وتصديق أكيد، وظنّ حسن، فإذا قصر الفعل عن الشعار أو على الأصح إذا خالف القول الفعل فإن الخديعة تظهر كبيرة، والإثم عظيم، وكان مقت الله لذلك مقتًا كبيرًا[٦].

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أريد أن آمر بالمعروف وأنهى

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٩٢/٧.

(٢) عبدالكريم زيدان، مرجع سابق ص٨٦.

(٣) سورة الشورى، آية (٣٠).

(٤) سورة إبراهيم، آية (٧).

(٥) سورة الصف، آية (٢، ٣).

(٦) عدنان علي رضا النحوي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ص ١٣٨.

عن المنكر، فقال: إن لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل وإلا فابدأ بنفسك، ثم تلا: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾[3][4].

إن المخالفة بين القول والعمل شر عظيم، وهو شر في الدنيا، وشر في الآخرة، وحديث رسول الله ﷺ يبين لنا هول هذا الأمر.

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: "قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد، يكون عليّ أميرًا: إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول:**

---

(١) سورة البقرة، آية (٤٤).

(٢) سورة الصف، آية (٢، ٣).

(٣) سورة هود، آية (٨٨).

(٤) محمد السفاريني، غذاء الألباب، مرجع سابق ص٢١٨.

بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه"[(١)].

وهكذا جاء القرآن الكريم والحديث الشريف يعرضان هذه القضية على هذا النحو من القوة والتصوير والبيان والإيضاح، والتحذير والإنذار إنه مقت كبير عند الله، وإنه عذاب شديد في النار يوم القيامة، ولو لا أنه خطر عظيم وشر كبير لم يأت التغيير على هذا النحو من التحذير والتنفير، وعلى هذه القوة من الشدة.

والمخالفة بين القول والعمل تصدر في أغلب الأحيان عن أناس أخذوا مكانًا أعلى من قدرهم، و جاوزوا مسافات أبعد من حدودهم، وحملوا أكثر من وسعهم، فدفعتهم مكانتهم إلى بهرج القول وزخرفه، يستترون بعده وراء أسوار وحجب تمنعهم من حساب أو عتاب، ومحاكمة أو عقاب، ثم قصرت بهم همتهم وهبط وسعهم، فلم يبلغوا ما قالوا، أو غرتهم أحلاهم فخالفوا ما ذكروا، وقد يكون الدافع إلى المخالفة بين القول والعمل أسبابًا أخرى غير ما ذكرنا، ولكن هذا السبب هو الأعم الأغلب، وهو يطوي معه سائر الأسباب إن وجدت[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، رقم (٢٩٨٩)، (٤/٢٢٩٠).

والبخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣/١١٩١)، رقم (٣٠٩٤)، وفي الفتن، باب: الفتنة التي تموج كموج البحر (٦/٢٦٠٠)، رقم (٦٦٨٥).

وأحمد في المسند (٥/٢٠٧).

(٢) عدنان علي رضا النحوي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، مرجع سابق ص١٣٨-١٣٩.

الجلوس إلى الكتاب (القراءة والاطلاع)

يُكنّ المسلمون للكتب كل تقدير وإجلال، ويكثر أن يتحدثوا عن الكتاب حتى يظن السامع أن المتحدث عنه صديق نمى ودّه وزاد إخلاصه، أو جليس طال بعده وكثر الشوق إليه، أو رائد يقود المتكلم للطريق المستقيم ويأخذ بيده إلى الغاية الرشيدة(١).

ولقد كانت الكتب غالية الثمن في العصور الإسلامية القديمة؛ لأنها مخطوطات يكتبها الناسخون الذين يحسنون الكتابة باليد، ويعرفون بالدقة في النقل، والأمانة في العمل، فكان لا يقتنيها إلا الأغنياء القادرون على شرائها من المسلمين.

وكان المسلمون الأثرياء في العصور الماضية يقومون بتعيين ناسخين في المكتبات لنسخ الكتب التي يريدونها بأجر سخي، فنفعوا العلم والأدب بما نقل لهم من الكتب النفيسة.

وكان النساخ يتبادلون العمل نهارًا وليلاً، بحيث لا ينقطع النسخ في أي وقت من أوقات النهار أو الليل، وهذا أكبر دليل على تقدير المسلمين للعلوم والآداب.

وكان المأمون يعطي حنين بن إسحاق من الذهب زنة ما نقله من الكتب إلى اللغة العربية مثلاً بمثلٍ.

وكان علماء المسلمين يفضلون الجلوس في مكتباتهم الغنية بالكتب

---

(١) أحمد شبلي، تاريخ التربية ص ١٤١.

للقراءة والاطلاع، على أن يتولوا أعظم المناصب والمراكز لدى الولاة والحكام، وكانوا يرسلون من يجوبون البلاد لشراء الكتب العلمية والأدبية من البلاد الأجنبية، ليزودوا مكتباتهم بالكتب النادرة والنفيسة والجديدة[١].

ولقد فضل الصاحب بن عباد أن يبقى بجانب مكتبته العامرة على أن يتولى أعظم المناصب في بلاط نوح بن منصور الساماني، فقد أرسل له هذا يستدعيه إلى حضرته، ويرغبه في خدمته، وبذل له البذول السنية، فكانت مكتبته الغنية من جملة ما اعتذر به فلا هو استطاع الذهاب بدونها، ولا كان من اليسير حملُها معه، فآثر أن يبقى بجانبها[٢].

ولقد تنبه المسلمون إلى قيمة القراءة والاطلاع فعنوا عناية كبيرة لتأسيس المكتبات العامة؛ ليتمكن الغني والفقير من الوصول إلى الكتاب، فأصحبت هناك مكتبات عامرة في: القاهرة، وبغداد، وقرطبة، وغيرها من البلاد الإسلامية، وكان في تلك الدور حُجر للاطلاع، وحجر للنسخ، وقاعات للمحاضرات، وحِلَق للدراسة، وأثثت تلك الحجرات بأثاث فخم مريح، وفرشت أرضها بالسجاجيد والبُسط والحُصر، ووضعت على الأبواب والنوافذ ستائر جميلة، وكانت الكتب في المكتبات الإسلامية توزع في الحجرات على حسب موضوعاتها[٣].

---

(١) عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها ص ١٠٠-١٠٤.

(٢) أحمد شبلي، تاريخ التربية ص ١٤٨.

(٣) عطية الأبراشي، التربية الإسلامية ص ١٠٥.

خصائص الكتاب:

إن الكتاب له خصائص تختلف عن أي جليس فهو صامت ما أسكته، وبليغ ما استنطقته، مسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه، وهو جليس لا يطريك، وصديق لا يغريك، ورفيق لا يملُّك، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال عليك بالكذب[(١)].

ويروي محي الدين العربي عن أحد العلماء أنه قال: ما رأيت بستانًا في رُدن، وروضة تُنقل في حجر، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء إلا الكتاب، فمن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك؟ ولا ينطق إلا ما تهوى! أكتمُ للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة[(٢)].

وقد قال أحد الشعراء:

مجالسة السوق مذمومة	ومنها مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد	وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى	وهاتيك آلة أهل الأدب[(٣)]

وقال المتنبي:

أعز مكان في الدنى سرج سابح	وخير جليس في الزمان كتاب[(٤)]

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٤.

(٢) أحمد شبلي، تاريخ التربية ص ١٤٣.

(٣) عطية الأبراشي ص١٠٢.

(٤) أحمد شبلي ص١٤٤.

ولقد أنفق العلماء في عصور سابقة أعمارهم وحياتهم على القراءة والاطلاع فلم يكونوا يضيعوا ساعة واحدة إلا في عبادة أو قراءة أو تفكر.

فلقد جاء في سيرة الإمام الشيخ أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي، المولود سنة ٤٣١هـ، والمتوفى سنة ٥١٣هـ. وهو أحد الأعلام في الإسلام: أنه كان يقول: إني لا يحل لي أن أُضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي، وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عمر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة.

وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على المطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجلّ تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيها الفُرص، فالتكاليف كثيرة.

قال ابن الجوزي: ولما أدركت الوفاة الإمام ابن عقيل واحتضر بكى النساء! فقال: قد وقعت بأوامر الله خمسين سنة، يعني أنه كان يُوقع الفتاوى التي يبين فيها أحكام الله في الوقائع والحوادث التي تقع للناس، فدعوني أتهنأ بلقائه، ولم يُخلف سوى كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار كفنه وأداء دينه، رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيرًا.

وكان الفقيه عبد الله بن المبارك العكبري تفقه على ابن عقيل، فأشار عليه شافع الحنبلي بشراء كتب ابن عقيل، فباع ملكًا له واشترى بثمنه بعض

كتبه ووقفهما على المسلمين[١].

وقد جاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الدنيا بحثًا عن العلم، إما من أفواه العلماء، أو في بطون الكتب في زمن لم تكن فيه وسائل السفر ميسرة أو مأمونة.

قال ابن كثير في البداية والنهاية، قال الإمام أحمد: "رحلت في طلب العلم والسنة إلى الثغور، والشامات، والسواحل، والمغرب، والجزائر، ومكة، والمدينة، والحجاز، واليمن، والعراقين جميعًا، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف ثم عدت إلى بغداد"[٢].

ولقد كان ابن المبارك من جيل أتباع التابعين وكان يقول عن نفسه: أنه يجالس الصحابة من خلال القراءة، فقد افتقده بعض أصحابه من مجلسه فقال له مرة: "مالك لا تجالسنا؟" فقال ابن المبارك: "أنا أذهب فأجالس الصحابة والتابعين"، وأشار بذلك أنه يطالع كتبه"[٣].

والعمر أفضل ما ينفق في القراءة وطلب العلم.

يقول الإمام ابن القيم: "من أنفق عصر الشباب في العلم؛ فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس، ويلتَذّ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئًا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدراك المطلوب".

---

(١) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ١، ١٤٢، ١٦٢، ١٨٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/٣٣٦.

(٣) جاسم بن محمد المطوع، الوقت عمار أو دمار، دار الدعوة، الكويت ص٤٤.

ويضيف رحمه الله: "ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه؛ إلا ما لو حصل لي، ندمت عليه. ثم تأملت حالي، فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يُقَوَّم.

فقال لي إبليس: ونسيت تعبك وسهرك؟! فقلت له: أيها الجاهل! تقطيع الأيدي لا وقع له -أي لا يذكر وليس بشيء- عند رؤية يوسف"(١).

حيث إن أوقات الإنسان أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية(٢).

والقراءة من أجل العلم ولما يجلب النفع للإنسان تعد من النعمة وعندما تكون القراءة ضارة فإن ذلك يكون من البلية.

يقول الإمام ابن القيم: "إن أفضل ما تكتسبه النفوس وتحصله القلوب العلم والإيمان، ثم أضاف: أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان اللذين بهما السعادة والرفعة وفي حقيقتهما، حتى إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو هذا الذي به تنال السعادة، وليس كذلك بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع... وأكثر ما عندهم كلام

---

(١) ابن الجوزي، صيد الخاطر ص ٣٢٩.

(٢) عبد العزيز السلمان، مورد الظمآن ٢/٣٦١.

وآراء وخرص، والعلم وراء الكلام كما قال حماد بن زيد[١]: قلت لأيوب[٢]: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر! ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام، فالكتب كثيرة جدًّا، والكلام، والجدال، والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول عن الله قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٤].

"ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلى أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علمًا، ووضعوا فيها الكتب وأنفقوا فيها الأنفاس، فضيعوا فيها الزمان وملأوا بها الصحف مدادًا والقلوب سوادًا"[٥].

ولقد قسم العلماء الزمن وميزوا بين أوقاته وكيفية الاستفادة منه، وخصوصًا في مجال القراءة والاطلاع.

يقول الإمام ابن جماعة في معرض كلامه عن آداب المتعلم في تنظيم

---

(١) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل، البصري الأزرق، مولى آل جرير بن حازم، شيخ العراق في عصره، ومن حفاظ الحديث، يحفظ أربعة آلاف حديث، وهو من أقران ابن عيينة، روى عنه ابن المبارك، وقد توفي سنة ٢٧٩هـ -٧٩٥م.

(٢) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، أبو بكر البصرين رأى أنس بن مالك، وروى عن نافع بن عاصم، وعطاء وغيرهما، كان سيد الفقهاء في البصرة، ومن أشد الناس اتباعا للسنة، مات سنة ١٣١هـ.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٢٠).

(٥) ابن القيم، الفوائد، ص ١٣٦-١٣٧.

الوقت وشغله بأفضل ما يلائمه: أن يقسم أوقات لياليه ونهارهن ويغتنم ما بقي من عمره، فإن بقية العمر لا قيمة له -أي يقوم بشيء لنفاسته وعزته-!

وأجود الأوقات للحفظ: الأسحار، وللبحث: الأبكار -وهي أول النهار-، وللكتابة: وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة: الليل(١).

وقال الخطيب البغدادي: أجود أوقات الحفظ: الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغداة، قال: وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع.

قال: وأجود أماكن الحفظ: الغُرف وكل موضع بعيد عن الملهيات، وقيل: إن الحفظ غير محمود بحضرة النبات والخضرة، والأنهار، وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالبًا(٢).

ولا بدّ أن تكون القراءة بقلب وإلا ذهب الزمن والبصر بدون فائدة.

يقول الإمام ابن تيمية: "وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب، أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئًا؛ فمدار الأمر على القلب، وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾"(٣).

ولقد تنوعت مصادر المعرفة في هذا الزمن فأصحبت هناك المصادر المسموعة، والمرئية، والمقروءة، ومع ذلك يظل الكتاب في طليعتها.

والإنسان لابد أن يقرأ من أجل غايات في نفسه أولها إبعاد الجهل

(١) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٢.

(٢) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه ٢/١٠٣، ١٠٤.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى ١/٣٠٢.

عنها، ثم إننا نواجه بين ظهرانينا أصحاب مذاهب هدامة، ولا سبيل للرد على هؤلاء إلا بالفهم السليم للكتاب والسنة، عدا أعداء الأمة من يهود ونصارى وغيرهم[١].

وينبغي التنبيه إلى أنه ليس كل ما دوّن في الكتب صوابًا؛ لذلك كانت المشافهة وأخذ العلم عن الشيوخ، ومزاحمتهم بالركب هو الأصل في التحصيل.

والناس في حال القراءة أصناف ثلاث:

١- فمنهم من يقرأ أي كتاب فيصدق كل ما جاء فيه ويوافقه فلا تثبت ولا مراجعة لما يمرّ به فيعدّ كل ما ورد فيه صحيحًا وهذا مجانب للصواب.

٢- ومنهم من يقرأ لكي يكشف أخطاء المؤلف وعواره فقط، وهذا كسابقه مجانب للصواب، إلا إذا كان كشفه للأخطاء مما يتوجب شرعًا فلا إثم في ذلك.

٣- والقراءة الصحيحة هي لطلب الفائدة، والنقد لما تقرأ مما يقبل النقد، وإذا كان المؤلف معروفًا ومشهورًا بصلاحه وعلمه، فقد يقصُر فهم القارئ عمّا يقصده العالم ولا بأس بالسؤال والاستفسار حينئذٍ[٢].

---

(١) يوسف بن محمد العتيق، أهمية القراءة ومجالسة الكتاب ص ١٦.

(٢) يوسف بن محمد العتيق، المرجع السابق ص ١٨-١٩.

الجلوس إلى النفس ومحاسبتها

يعتمد الإسلام في إصلاحه على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء، فهو يكرس جهودًا ضخمة للتغلغل في أعماقها، وغرس تعاليمه في جوهرها حتى يصبح جزءًا منها.

ولقد تحدثت رسالة الإسلام عن كل ما يهم الإنسان وعلاقاته، وكذلك عن المجتمع وأوضاعه، والحكم وأنواعه، وقدمت أدوية لما يصيب هذه النواحي من علل.

وقد جعلت النفس الصالحة أساس كلّ إصلاح، وصلاحها صيانة للحياة وإسعاد للناس في الدنيا والآخرة.

فالنفس المختلة، تثير الفوضى في أحكم النظم، وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة، والنفس الكريمة، ترقع الفتوق في الأحوال المختلة ويشرق نبلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير، وسط الأنواء والأعاصير.

ومن هنا كان الإصلاح النفسي، الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة.

فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ

سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[(١)].

ويقول – معللاً هلاك الأمم الفاسدة-: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[(٢)].

والإسلام -في علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها- ينظر إليها من ناحيتين: أن فيها فطرًا طيبة، تهفو إلى الخير، وتسر بإدراكه، وتأسى للشر، وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها.

وأن فيها -إلى جوار ذلك- نزعات طائشة، تشرد بها عن سواء السبيل، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر، ويسف بها إلى منحدر سحيق.

وهاتان النزعتان موجودتان في الإنسان، تتنازعان قيادته، ومصيره معلق بالناحية التي يستسلم لها.

قال الله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[(٣)].

وعمل الإسلام هو: إسداء المعونة الكاملة للإنسان، كي يحافظ على فطرته، ويعبد ربه ولا يشرك به، ويحقق أمانة الاستخلاف في الأرض بإقامة الحق والعدل.

---

(١) سورة الرعد، آية (١١).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان (٥٢، ٥٣).

(٣) سورة الشمس، الآيات (٧-١٠).

وكي يتخلص -كذلك- من أفكار الإثم التي تراوده، وتحاول السقوط به.

وقد وُصِف الإسلام نفسه بأنه دين الفطرة الخالصة من هذه الشوائب جمعاء قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

إن وظيفة العين أن تبصر، ما لم يلحقها عمى، ووظيفة الأذن أن تسمع، ما لم يُصبها صمم، ووظيفة الفطرة أن تستقيم مع الحق، وتندفع إليه تدفُق الماء من صبب؛ ذلك ما لم يطرأ عليها تشويه؛ يلوي عنانها ويثنيها عن وجهتها الأولى إلى عبادة بارئها وفعل الخير والفضيلة.

وهذه السلوكيات المفسدة للفطرة، قد تتكون من رواسب القرون الماضية، أو من تقاليد البيئات الساقطة، أو من كليهما معًا، وهي شديدة الخطر فيما تجره على الفطرة البشرية من علل، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها وإنقاذ الفطرة من غوائلها، حتى تعود إلى صفائها الأصيل وتؤدي وظيفتها الحقة وهي عبادة الله وعدم الإشراك به[٢].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى النفس في غير موضع من كتابه بمعاني كثيرة كلها تدل على الحذر من النفس.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن النفس تميل إلى اللذات والشهوات، وأنها أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، كما أخبر سبحانه وتعالى أن من نهى

---

(١) سورة الروم، آية (٣٠).

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ط١٩٦٤م، دار الكتب الحديثة، مصر، ص ٢٣-٢٦.

نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[١].

وقال تعالى في قصة امرأة العزيز ويوسف عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ ﴾ تقول المرأة: ولست أبري نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته؛ لأنها أمارة بالسوء ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾ أي إلا من عصم ربي ﴿ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[٤].

فالنفس إذا ركبت ما تهوى مما نهيت عنه فإنها ستلوم صاحبها ولا تلقى المؤمن إلا ويعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ وما أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدمًا ولا يعاتب نفسه[٥].

وعن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "**ألا**

---

(١) سورة النازعات، الآيات (٣٤-٤١).

(٢) سورة يوسف، آية (٥٣).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٢/٤.

(٤) سورة القيامة، الآيتان (١-٢).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ج٤، تفسير سورة القيامة.

أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا"(١).

معالجة النفس البشرية:

لقد بين الدين الإسلامي بالتفصيل عن طبيعة الإنسان وخصائصه، وكشف عن نواحي ضعفها وقوتها، ولقد جعل الله في فطرة الإنسان خصائص يتشابه فيها الناس جميعًا، وخصائص أخرى هي مدار التباين والتمايز. فخصائص التشابه والتماثل تبتدئ من الأصل الواحد، إلى الخلق، إلى التوالد والتكاثر، إلى الشكل العام والهيئة، إلى صفات مميزة في الفطرة: فهو محبّ للخير، على تقوى وفجور، هلوع، جزوع، منوع، إلا المصلين، عجول، ضعيف، شحيح، يحب الجدل، ونفسه أمارة بالسوء، يفرح للخير، ييأس في الشر، فيه نسيان، وفيه رغبات وشهوات.

ولقد كرم الله الإنسان، وجعله قادرًا على العلم، والإنسان خطاء، يميل إلى الغيبة والنميمة وسوء الظن، ولكن الإيمان، والعبادة، والعلم، والتربية الإيمانية تخفف من الشرور وسقطات الضعف، وسعير الشهوات والرغبات.

أما خصائص التباين فمنها: اختلاف الآجال والرزق، والاختلاف في الوسع والقدرات، وتفاوت الدرجات، وتباين في الطبائع، وفي امتداد سمات

---

(١) رواه أحمد في المسند ٦/٢٢.

وابن ماجه في الفتن، باب: حرمة دم المؤمن وماله (١٢٩٨/٢)، رقم (٣٩٣٤).

الضعف وعلائم القوة.

هذه الطبيعة البشرية، وقد بسط الدين الإسلامي خصائصها، ووضع القواعد لمعالجتها وتهذيبها، وبنائها وإعدادها.

من المحور الأساسي ألا وهو النفس البشرية.

الإيمان والعلم أساس تربية النفس:

فالإيمان يهب النفوس الأمن والقوة، ويخفف من حميا الشهوات والغرور والكبر، ويوفر للإنسان كوابح تعمل فيه وتظل تردّه إلى حدوده، وإلى ساحات الخير فالإيمان الصحيح هو أساس جميع الأعمال، وهو قاعدة سائر الأفعال، ونربط العلم هنا بالإيمان. ذلك أن العلم يضعف عن أن يكون وسيلة معالجة إذا انفصل عن الإيمان. أما حين يقوم العلم على الإيمان، فعسى أن يزداد الإيمان بالعلم لمن يشاء الله له ذلك، فيشرق العلم بالإيمان ويمتد فضله وشرفه.

يقول الإمام ابن تيمية: وأكثر ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، هو العلم والإيمان[1]؛ ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾[2].

ويوضّح ابن تيمية: أن الإيمان هو تزكيتها والشرك تدنيسها فيقول:

---

(١) ابن القيم، الفوائد ص ١٣٦.

(٢) سورة الروم، آية (٥٦).

"ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ما تزكو به النفس، وكان الشرك أعظم ما يدسيها، وتتزكى بالأعمال الصالحة والصدقة"[(١)].

ويرى -رحمه الله- أنّ جهاد النفس عبادة لله، وهو فرض عين فيقول: "فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله، وعملاً صالحاً، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلى جهاد نفسه أحوج فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية"[(٢)].

وأنفع علاج للنفس التي مالت إلى محرم بالإتيان بضده من العبادات على أكمل وجه، فإن ذلك يصرف السوء والفحشاء.

يقول شيخ الإسلام: "فمن مالت نفسه إلى محرم، فليأت بعبادة الله كما أمر الله مخلصًا له الدين، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده، وهذا يمنع من السيئات"[(٣)].

وينقسم الناس في أحوال نفوسهم إلى قسمين[(٤)]:

١- قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته، وصار طوعًا لها تحت أوامرها.

٢- وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها، فصارت طوعًا لهم، منقادة لأوامرهم.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ٦٣٢/١٠.

(٢) المرجع السابق ٦٣٥/١٠-٦٣٦.

(٣) المرجع السابق ٦٣٦/١٠-٦٣٧.

(٤) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٧٩/١.

وقد وصف الله سبحانه النفس في القرآن الكريم بثلاث صفات، المطمئنة واللوامة، والأمارة بالسوء، والأصل منها نفس واحدة، تكون أمارة، ثم لوّامة، ثم مطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحها[١].

يقول أبو بكر محمد الآجري: "اعلم أن النفس مثلها كمثل المهر الحسن من الخيل، إذا نظر إليه الناظر أعجبه حسنه وبهاؤه ، فيقول أهل البصيرة به: لا ينتفع بهذا حتى يُراض رياضة حسنة، ويؤدب أدبًا حسنًا، فحينئذ ينتفع به، فيصلح للطلب والهرب، ويحمد راكبه عواقب تأديبه ورياضته. فإن لم يؤدب لم ينتفع بحسنه ولا ببهائه، ولا يحمد راكبه عواقبه عند الحاجة"[٢].

والنفس لها أخلاق قبيحة تستوطنها تبرز للعين إذا تصفح الإنسان أحوالها ومن أهمها[٣]:

- أنها متبعة للهوى.
- منهمكة في لذة الدنيا.
- باسطة لطول أمل.
- قليلة الاكتراث لأجلٍ لا بد أن يغشى.
- يخِفُّ عليها السعي والكد في طلب الدنيا.
- تهم بالنفقة في طاعة الله فيوعدها الشيطان الفقر، فتميل إلى ما إليه دعا.

---

(١) أحمد فريد، تزكية النفوس، نشر وتوزيع دار البخاري، بريدة، المدينة المنورة، ٤ ١٤١٤هـ.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، أدب النفوس ص ٢٣.

(٣) أبو بكر الآجري، أدب النفوس، مرجع سابق ص ١٦.

- يخفُّ عليه مجالسة أصحاب اللهو، ويثقل عليها مجالسة العلماء.

وعلاج النفس من سيئاتها يمر بثلاث مراحل:

١- عودة النفس وتخليها عن العادات المذمومة، وذلك في الاعتراف بالذنوب والعيوب، والمصارحة بها، والتبصر بما يجب فعله.

كما قال موسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[١].

٢- التوبة وقطع الصلة بالماضي والندم على الفعل السيء ومراقبة النفس فيما يستجد من أمور ومحاسبتها على الفعل والنية.

٣- مجاهدة النفس المريضة بعلة معينة إلى أضدادها، مثل ترويض النفس الشحيحة على الإنفاق، أو دفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية، وهكذا إلى أن تصل النفس إلى مرحلة الوسط العدل[٢].

مراقبة النفس ومحاسبتها:

يربط الإسلام التقوى بأمور كثيرة في حياة الإنسان، من خلال الآيات والأحاديث، ومن جملة ما يربطها به هو أن ينظر المؤمن التقي في نفسه، يراقبها ويحاسبها على ما أعدت لغدها ليوم الحساب، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا:

---

(١) سورة القصص، آية (١٦).

(٢) فوزية رضا أمين خياط، الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام، مكتبة المنارة، جده، ط١، ١٤٠٨هـ، ص ٩٢، عن شيخ الإسلام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[١].

فالإسلام طلب من المؤمنين أن يتقوا الله، وينظروا في أنفسهم حتى يعرفوها، ويعرفوا ما قدّمت لغد، وما وافق من عملهم منهاج الله وما خالفه منه، حتى يستطيعوا أن يدركوا التوبة والأوبة، ولا يكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فأولئك هم الفاسقون.

والنظرة المطلوبة هي نظرة محاسبة وتدقيق، ومراجعة وفحص، ومطابقة مع منهاج الله. ولن تتم هذه النظرة المطلوبة على صورتها الإيمانية إلا إذا توافر شرطان رئيسان هما: الإيمان أولاً، والعلم بمنهاج الله ثانيًا.

كما ذكرنا سابقًا ودون هذين الشرطين ستظل النظرة ضائعة، أو عاجزة مقصرة[٢].

إنها القاعدة الأولى للبناء والتكوين، والتربية والإعداد، إنها نظرة المؤمن في نفسه، وفي عمله، ليزنه بميزان الإسلام، وبميزان منهاج الله، وتتوالى الآيات الكريمة لتعطي محاسبة النفس ومراقبتها عمقًا أبعد، ومعنى أوسع، وممارسة أدقّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) سورة الحشر، الآيات (١٨-١٩).

(٢) عدنان على رضا النحوي، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ص ١٤٣-١٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية (٥).

لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[(١)].

وفي حديث رسول الله ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ، الذي يعرف فيه الإسلام، والإيمان، والإحسان... ففيه: "قال: **فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[(٢)].

فهنا تبرز مراقبة النفس، وتعمل الكوابح واللجم حتى تحفظ النفس من الهوى، وحتى تستقيم على أمر الله.

وكذلك حديث رسول الله ﷺ عن أبي ذر جندب بن جُنادة، عن رسول الله ﷺ قال: "**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**"[(٣)].

وكذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: "**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك،**

---

(١) سورة الفجر، آية (١٤).

(٢) رواه البخاري في الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠) (٢٧/١).

وفي تفسير القرآن، باب: إن الله عنده علم الساعة، رقم (٤٤٩) (١٧٩٣/٤).

ورواه مسلم في الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان... رقم (٨/١) (٣٦/١، ورقم (٩/) (٣٩/١).

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم (١٩٨٧) (٣١٢/٤)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

وأحمد في المسند (١٥٣/٥، ١٥٨، ١٧٧).

والدارمي في الرقاق، باب في حسن الخلق، (٤١٥/٢) رقم (٢٧٩١).

احفظ الله تجده تجاهك..."[1].

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كثيرة في هذا الباب، تظل تفرغ النفس المؤمنة حتى لا تهبط عن المحاسبة ولا تغفل عن المراقبة، ولتظلّ تنظر في ذاتها، وعلمها، وكلمتها، وتزنها بميزان منهاج الله عن إيمان، وعلم، وتقوى.

إن من مقتضى محاسبة النفس نظر العبد في حق الله أولا، ثم نظره هل قام به كما ينبغي؟ فإن أفضل الفكر، الفكر في ذلك، فإنّه يسيّر القلب إلى الله، ويطرحه بين يديه ذليلاً، خاضعًا، منكسرًا كسرًا فيه جبرة، ومفتقراً افتقارًا فيه غناه، وذليلاً ذلاً فيه عزة[2].

فعن شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله عليه وسلم: "**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**"[3]. دان نفسه: أي حاسبها.

ولهذا قيل: "النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك"[4].

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩)، (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦).
قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح".
وأحمد في المسند ٢٩٣/١، ٣٠٣، ٣٠٧.

(٢) عبد العزيز السلمان، مورد الظمآن ٢٥٩/٢.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٢٥) رقم ٢٤٥٩).
وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له رقم (٤٢٦٠) (١٤٢٣/٢).
وأحمد في المسند ١٢٤/٤. قال الألباني في تعليقه على سنن الترمذي: "ضعيف".

(٤) ابن القيم، إغاثة اللهفان ٧٩/١.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"[١].

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: "النفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء فهي تجري بطبعها في ميزان المخالفة"[٢]. إلا من رحم الله.

ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل، ونوع بعده[٣].

فالنوع الأول: لا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

والنوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل على النحو التالي:

أ- محاسبتها على طاعة قصرت فيها.

ب- محاسبتها على كل عمل كان تركه خيرًا له من فعله.

ج- محاسبتها على أمر مباح، لم فعله؟ وهل أراد بفعله وجه الله والدار الآخرة.

يقول ابن القيم: "رضا العبد بطاعته دليل على حسن ظنه بنفسه، وجهله بحقوق العبودية، وعدم عمله بما يستحقه الرب جل جلاله، ويليق أن يعامل به. وحاصل ذلك: أن جهله بنفسه، وصفاتها، وآفاتها، وعيوب

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، المرجع السابق ٧٩/١.

(٢)ابن القيم، إغاثة اللهفان، المرجع السابق ٨٦/١.

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان، المرجع السابق ٨٢/١.

عمله، وجهله بربه وحقوقه، وما ينبغي أن يعامل به، يتولد منهما رضاه بطاعته، وإحسان ظنه بها. ويتولد من ذلك من العجب، والكبر، والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف ونحوها.

فالرضا بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها"[(١)].

وقيل: تمر النفس بثلاث مراحل هي: الأمر بالذنب، ثم اللوم عليه، والندم منه، ثم الطمأنينة إلى ربها، والإقبال بكليتها عليه، وهذه الحال أعلى أحوالها. وأرفعها وهي التي يشمر إليها المجاهد، وما يحصل إليه من ثواب مجاهدته، وصبره فهو لتشميره إلى درجة الطمأنينة إلى الله[(٢)].

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[(٣)].

وزكاة النفس وطهارتها متوقفة على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها، وبالمحاسبة يمكن الاطلاع على العيوب والنقائص، ثم السعي إلى الإصلاح[(٤)].

يقول الإمام ابن القيم عن الأسباب المنجية من عذاب القبر: "ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين ١/١٧٥.

(٢) المرجع السابق ١/٤٣٧.

(٣)سورة الشمس، الآيتان (٩-١٠).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ٢/٥١٠-٥١١.

تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسرورًا بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله"(١).

قال الحسن البصري: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيام على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة"(٢).

والمؤمن الفطن يعمل لغده، ويستعد ليوم الحساب، ويحاسب نفسه قبل أن تحاسب، ولا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عز وجل، ويعلم علم يقين أنه سيسأل عن كل ما يقوله ويفعله، وأنه مأخوذ عليه في سمعه، وبصره، وفي لسانه وجوارحه.

---

(١) ابن القيم، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت ص٧٩.

(٢) أحمد فريد، تزكية النفس، دار البخاري، بريدة، ١٤١٤هـ ص ٨١.

الاعتكاف في المسجد ومجالسة المعتكفين

الاعتكاف في اللغة: لزوم الشيء، والعكوف عليه، قال تعالى: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾[(١)] يقال: عكف واعتكف: إذا لزم المكان[(٢)].

وشرعاً: لزوم المسجد لعبادة الله تعالى، وتفريغ القلب عن شغل الدنيا، وتسليم النفس إلى المولى[(٣)].

وأما الحكمة من مشروعيته فإن للاعتكاف فوائد عظيمة، فإنه عُزلة مؤقتة عن أمور الحياة، وشواغل الدنيا، وإقبال بالكلية على الله تعالى، وانقطاع عن الاشتغال بالخلق، فهو متمم لفوائد صوم رمضان ومقاصده، متدارك لما فات الصائم من جمعية القلب، وهدوء النفس والانقطاع إلى الله تعالى، ولهذا قال بعضهم: الاعتكاف هو: قطع العلائق عن كل الخلائق للاتصال بالخالق.

وعلى هذا فالحكمة من مشروعية الاعتكاف التفرغ للعبادة من صلاة وذكر وتلاوة وغير ذلك، وهذا لا يتم إلا بالعزلة عن الناس، وهذه العزلة لا تتحقق إلا بمكان خاص يخلو فيه المعتكف كما يوجد في كثير من المساجد، حيث يوجد فيها أماكن خاصة يخلو فيها المعتكفون، أما في مثل الحرمين الشريفين أو المساجد الكبيرة فإن الخلوة فيها متعذرة غالباً، لكن

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٣٨).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (٩/٢٥٥).

(٣) الجرجاني، التعريفات (ص: ٣١).

إذا انتفت الخلوة الحقيقية أو الحسية فلا ينبغي تفويت الخلوة الحكمية أو المعنوية، بمعنى أن يحرص المعتكف على الانفراد بنفسه ولو كان معه غيره في المكان، ولا يتم هذا إلا بإدراك معنى الاعتكاف، وحكمته، ووظيفة المعتكف، ومنع النفس من الاسترسال في مخالطة الآخرين، والرغبة في التحدث معهم.

ولقد داوم النبي ﷺ على الاعتكاف، وحافظ عليه المسلمون من بعده في كل عصر وأصبح من السنن المأثورة ومن شعائر رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ **كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده**"(١).

والاعتكاف في رمضان متمم لفوائده ومقاصده، يتدارك به المرء ما فاته.

يقول ابن القيم رحمه الله: "إن مقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته"(٢).

والجالس للاعتكاف لا يجوز له الخروج من المسجد لغير عذر.

---

(١) رواه البخاري في الاعتكاف، باب: الاعتكاف في العشر الأواخر... رقم (١٩٢٢) (٧١٣/٢) (٧١٣/٢).

ومسلم في الاعتكاف، باب: اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، رقم (١-١١٧١/٥)، (٨٣٠/٢-٨٣١).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد ص (١٦٧).

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إن رسول الله ﷺ ليدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأُرَجِّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفًا"(١).

(١) رواه البخاري في الاعتكاف، باب: الحائض ترجّل المعتكف، رقم (١٩٢٤) (٧١٤/٢).

ومسلم في الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.. رقم (٦-٢٩٧/٨).

الفصل الرابع: الجليس السوء

- تعريف الجليس السوء.
- مجالس أهل البدع.
- مجالس النفاق.
- مجالس الغيبة.
- مجالس النميمة.
- مجالس المخدرات والمسكرات.
- مجالس الاختلاط.
- مجالس الغناء.

الجليس السوء

مدخل:

من أشدّ الأخطار التي يواجهها الإنسان في حياته الجليس السيء، فهو لا يصل إلى خلة إلا ويصيبها بالعطب، والشر الذي يُصْلي به جليسه أبلغ من الكير الذي يحرق الثياب والجسد، فآثاره السيئة تمتد إلى العقيدة، والسلوك، والأفعال، والأقوال؛ فتدفع بها إلى الهاوية.

فالجليس السوء تكون جميع أحوال الإنسان معه في شر ونقص وامتهان، فهو يدعو إلى ما يضر الإنسان في دينه، بل إن أقل ما يتضرر به الإنسان من جليس السوء الاستمرار على المعاصي مجاراة للصحبة، وخوفًا من إفشاء أسرار المعاصي التي يعرفها كلٌّ منهما عن الآخر لو حاول أحدهما الرجوع إلى جادة الصواب[١].

ويعد الجليس السوء شؤماً على صاحبه، وكم من غر قرع سن الندم على هذه الصحبة السيئة؛ لأنها وضعته على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم[٢].

فإن الطبع يسرق، وما أسرع أن يسير الإنسان فيما يميل إليه، ويهواه صاحبه، وجليسه، وللعدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام، والسكون الذي يسود المجالس قد يكون مصدره شخص قويّ

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، أربع رسائل، مطبعة سفير، الرياض، ص ٣٧.

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، ط٩، ١٣٩٦هـ، ص١٩٤، مطابع قطر الوطنية.

ومؤثر، متعمّدًا أن يغمر من حوله بفيض ما ينفجر من صدره خيرًا أو شرًا.

قال عبد الله بن يزيد: "وطن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك"[١].

فأهل السوء يخلصون في السعي إلى باطلهم كإخلاص أهل الصلاح في صلاحهم.

وقد عُرف بالتجربة أن عدوى السيئات أشد سريانا وأقوى فتكًا من عدوى الحسنات، ففي أحيان كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب بها إلى البريء منها، ويندر أن يحدث العكس إلا أن يشاء الله[٢].

والناس يتشابهون في صفاتهم الظاهرية من حيث الوجه، واليدين، والقدمين، وعموم ظاهر البدن، فالمؤمن والكافر والطيب والخبيث رغم التشابه الظاهر بينهما إلا أن بين روحيهما أعظم التباين والتميز، وأنت ترى أخوين شقيقين متشابهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين[٣].

وصاحب السلوك السيء والفعل الخبيث رغم شبه بدنه من الظاهر بأبدان أهل الخير والصلاح عمومًا إلا أن استعمال قلبه في المكر والخديعة والفسق وانصباغه بذلك صبغًا تاماً يصير صاحبه إلى أخلاق البهائم، ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بدوًا خفيًا، ثم

---

(١) ابن عبد البر، أدب المجالسة، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، ص ٣٤، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق ص ١٩٥.

(٣) ابن القيم، الروح ص ٤٠.

يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهرًا على الوجه، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة كما قلب الهيئة الباطنة، ومن له فراسة تامة يرى صور الناس مسخًا من الفسق والفجور الذي تشربوا به في الباطن، وقل أن تجد فاسقًا فاجرًا مخادعًا، نفسه نفسًا كلبية، إلا وعلى وجهه مسخة ذميمة لا تظهر على وجوه الصالحين.

فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط، فإذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة[١].

وقبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده فالمحل لا يقبل ضدين، فإذا كان القلب ممتلئًا بالباطل اعتقادًا، ومحبة، ومجالسة لأهله لم يبقَ فيه لاعتقاد الحقّ، ومحبته، وأهله موضع[٢].

وإذا بذلت النصيحة لقلب ملآن من ضدها لا منفذ فيه لها فإنه لا يقبلها، وربما تلج فيه، ولكنها تمر مجتازة لا مستوطنة[٣].

وفساد الإنسان أول ما يحدث في القلب ثم يمتد إلى الأخلاق والسلوك والتصرفات ومفسدات القلب خمسة أشياء هي[٤]:

١- الخلطة (الفاسدة).

٢- التمني.

---

(١) الإمام ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ١/٢٦٧.

(٢) الإمام ابن القيم، الفوائد، ط٢، ١٣٩٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٢٩.

(٣) عبد العزيز السلمان، موارد الظمآن ٢/٢٦٠.

(٤) مدارج السالكين ١/٤٥٣.

٣- التعلق بغير الله.

٤- كثرة الشبع.

٥- كثرة المنام.

فامتلأ القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود – وخصوصًا مع غير أهل الصلاح- يوجب له تشتتاً وتفرقًا، وهماً وغماً، وضعفاً وحملاً لم يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسيم فكره في أودية مطالبهم وإرادتهم، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة.

هذا، وكم جلبت خلطة أهل السوء من نقمة، ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من زرية، وأوقعت في بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب – عند الوفاة- أضر من قرناء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد.

وهذه الخلطة التي تكون على نوع مودة في الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض تنقلب إذا حقت الحقائق عداوة، ويعض المخلط عليها يديه ندمًا، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ... ﴾[1].

وقال خليله إبراهيم لقومه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان، آية (٢٧).

(٢) سورة العنكبوت، آية (٢٥).

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[3].

ففي الآيات السابقة دلائل واضحة على الخسران والشقاء الذي يلحق بالمرء في الدنيا والآخرة ووروده حوض المهالك من جراء الصحبة السيئة.

وهذا شأن كل مشتركين في غرض سيئ، يتوادون ماداموا متساعدين على حصوله، فإذا انقطع ذلك الغرض، أعقب ندمة وحزنًا وألماً، وانقلبت تلك المودة بغضًا ولعنة، وذماً من بعضهم لبعض، لما انقلب ذلك الغرض حزنًا وعذابًا، فكل متآزرين على باطل، متوادين عليه: لا بدّ أن تنقلب مودتهما بغضًا وعداوة.

فإذا دعت الحاجة إلى خلطة مثل هؤلاء في فضول المباحات، ولم يمكن للمرء اعتزالهم: فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم، فإنه لابد أن يؤذوه، ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم. وموافقتهم يعقبها ذل وبُغض له ومقت، وذم منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين.

فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلاً، وليجتهد أن يقلب

---

(١) سورة الفرقان، الآيات (٢٧-٢٩).

(٢) سورة الزخرف، آية (٦٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان(٦٦-٦٧).

ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستغن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريباً بعيدًا، نائمًا يقظانًا، ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه؛ لأنه أخذ قلبهم من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى. وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجوء إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحًا ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع الأخرى، ولا ينال هذا إلا بعُدَّةٍ صالحةٍ، وعزيمة صادقة، وفراغ من التعلق بغير الله تعالى(١).

والجليس السوء يفسد العقل ويؤدي إلى نفس الضرر الذي يتم به فساده باستخدام المحرمات كالخمر ونحوه.

يقول ابن القيم رحمه الله عن تربية الصبي: "والحذر كل الحذر من تمكينه من تناول ما يزيل عقله من مسكر وغيره أو عشرة من يخشى فساده أو كلامه، فإن ذلك الهلاك كله"(٢).

وجلساء الفساد يصل شرهم في الصحة، والمرض، والصحو، والغيبوبة، والدنيا والآخرة.

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/٤٥٤-٤٥٦.

(٢) ابن القيم، تحفة المولود ص ٢٤٢.

قال الذهبي في الكبائر:

قال مجاهد: "ما من ميت يموت إلا مُثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل: لا إله إلا الله فقال: شاهك ثم مات فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة التوحيد: شاهك .

وهذا كما حصل لإنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر إنه حين حضره الموت، فجاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له: اشرب واسقني، ثم مات فلا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم"[(١)].

والصديق الجاهل يأتيك من الضرر من حيث يريد نفعك.

يقول الإمام ابن القيم: "إن العدو العاقل أقل ضررًا من الصديق الجاهل، فإن الصديق الجاهل يضرك من حيث يقدر أن ينفعك، والشأن كل الشأن أن تجعل العاقل صديقك ولا تجعله عدوك"[(٢)].

تعريف الجليس السوء:

وبعد هذا كله يمكن أن نعرف جليس السوء فنقول: هو المنحرف عن الجادة التارك لطاعة الله، المقصر في أداء الطاعة والفرائض، المجترح لمحارم الله المتجاوز لحدوده، المنحرف في سلوكه وأخلاقه المتخلق بالأخلاق الرذيلة، الفاعل للدنية وسفاسف الأمور، القاطع لرحمه، العاق لوالديه، المسيء

(١) الكبائر للذهبي ص ٩١.

(٢) الإمام ابن القيم، الطب النبوي ص ٩٢.

لجيرانه، كثير الغضب وسريعه، المتكبر المسيء إلى الناس والمؤذي لهم، وبالجملة فهو المنحرف عقيدة وعملاً وسلوكاً[(١)].

ورغم اشتمال التعريف السابق على تبيان الحالة التي يستمد منها الفرد السيء سلوكه الشيطاني إلا أنني أردت إعطاء صورة أوضح للمجالس والخلان وما يجتمعون عليه، وتضيف تلك المجالس حتى يسهل الحكم ويتضح القرار إما بالمجالسة والمخالطة على بينة أو بالابتعاد عن بينة.

وورد أن عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة ولا يؤذيه، وكان بقية قريش إذا ما جلسوا معه يؤذونه، وكان لابن أبي معيط خليل كافر غائب في الشام، فظنت قريش أن ابن أبي معيط قد أسلم، فلما قدم خليله من الشام، وبلغه ذلك غضب عليه غضبًا شديدًا، وأبى أن يكلّمه حتى يؤذي النبي ﷺ فكانت عاقبته أن قتل يوم بدر كافرًا، وأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[(٢)].

وفيما يلي نماذج لبعض مجالس السوء نوردها بشيء من التفصيل.

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.

(٢) سورة الفرقان، الآيات (٢٧-٢٩).

مجالس أهل البدع

لقد حرص الإسلام أن يكون المجتمع الإسلامي نقيًا من آفات الانحراف في العقائد والمسالك، سليمًا من البدع، فقد وضع له التعاليم، وألزمه بالأحكام الواردة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ونبذ ما سواهما، فإن عرضت أمور مستجدة، ومشكلات مستحدثة عرضها على الكتاب والسنة، واستنبط لها منهما حكم الله بالاجتهاد والقياس(١).

فلقد أكمل الله لنا سبحانه هذا الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٣).

وقال رسول الله ﷺ: "**إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن**"(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**"(٥).

---

(١) عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٦هـ، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) سورة المائدة، آية (٤).

(٣) سورة الحشر، آية (٧).

(٤) رواه البخاري في الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢) (١/٢٨).
مسلم في المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩/١٠٧) (١٢١٩/٣).

(٥) رواه البخاري في الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود، رقم =

تعريف البدعة:

وسلامة المجتمع تقتضي خلّوه من المستحدثات وبعدَه عن الانحراف والضلال، ونقاءه من الخرافات والأوهام والبدع التي تفكك بناءه، وتبعده عن طريق الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ(١).

ولقد كان المسلمون على ما بعث الله تعالى نبيه ورسوله ﷺ من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح الكتاب والسنة، وصريح العقل فلما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووقعت الفتنة فاقتتل المسلمون بصفين مرقت المارقة كما أخبر بذلك نبي هذه الأمة. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**"(٢).

وحدثت كذلك بدعة التشيع كالغلاة المدعين لإلهية علي رضي الله عنه، فعاقبهم رضي الله عنه بأن قاتل المارقين، وأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية.

= (٢٥٥٠) (٢/٩٥٩).

مسلم في الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧/١٧١٨) (٣/١٣٤٣).

(١) عبدالعزيز الخياط، المجتمع المتكامل في الإسلام، مرجع سابق ص ٢٥٦.

(٢) رواه مسلم في الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٥٠/١٠٦٥) (٢/٧٤٥).

أبو داود في السنة، باب: ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، رقم (٤٦٦٧)، (٤/٢١٧).

أحمد في المسند (٣/٣٢، ٩٧).

وفي أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون، ثم إنه في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان رئيسهم الجعد بن درهم، طلبه خالد بن عبدالله القسري، فضحى به بواسط، فخطب الناس يوم النحر، فقال: "أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم في عهد هشام بن عبد الملك"[(١)].

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة[(٢)].

الفتنة وأحمد بن حنبل وخلق القرآن:

ثم حدث بعد ذلك أن ظهرت المرجئة من المتفلسفة وغيرهم وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة، وأصبحوا يظهرون في كل زمان ومكان يضعف فيه الإسلام، وكان من أسباب ظهورهم أيضًا ظنهم أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون، فطعن غلاتهم في دين الإسلام بالكلية -باليد واللسان- كالخُرَّمية أتباع بابك الخُرّمي، وقرامطة البحرين أتباع أبي سعيد الجنابي وغيرهم[(٣)].

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، طباعة ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٦هـ، ١/٣٠٦-٣٠٩.

(٢) المرجع السابق، ١ص ٣٠٩.

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، المرجع السابق ١/٣١٦.

وحيث إن من صفات الإنسان أنه خلق ضعيفًا.

قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[(١)].

وعليه فإن الله سبحانه وتعالى أرشد عباده إلى ما يعينهم على حفظ دينهم، من صحبة الأخيار والصالحين ومجالستهم[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[(٣)].

وقد حذر سبحانه وتعالى من صحبة الأشرار والمارقين عن الدين والجلوس معهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[(٤)].

وذلك لسابق علم الله بما فطرت عليه النفس البشرية بمحاكاة من تقعد معهم.

والضرر الحاصل بمجالسة أهل الأهواء والبدع أعظم بكثير من الضرر الحاصل بمجالسة أهل المعاصي من أهل السنة، فصاحب المعصية ترجى توبته لاعتقاده حرمتها[(٥)].

وصاحب البدعة يعتقدها ديناً فيبقى متمسكًا بها تمسكه بدينه وإذا

---

(١) سورة النساء، آية (٢٨).

(٢) إبراهيم عامر الرحيلي، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، مكتبة الثرياء ٢/٥٢٩.

(٣) سورة الكهف، آية (٢٨).

(٤) سورة الأنعام، آية (٦٨).

(٥) إبراهيم عامر الرحيلي، مرجع سابق، ص ٥٣٠.

خرج من بدعته خرج إلى بدعة شر منها[١]. إلا أن يشاء الله.

يقول أبو الحسن الندوي: "ولقد طرأت على النظام الديني بدع شغلت مكانًا واسعًا من حياة المسلمين، وشغلتهم عن الدين الصحيح، وميزة المسلمين بين أمم الأرض وفضلهم إنما هو من هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وميزة هذا الدين وإعجازه في صحته وحفظه، لأنه يمتاز بأنه وحي الله وشريعته، ووضعه المعجز، وشرعه الحكيم ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فإذا عملت فيه عقول الناس، ودخلت فيه أعمال الناس وأهواؤهم، لم يكن له على الأديان التي حرفها أهلها، والنظم التي نسجتها أيدي الناس إلا بمقدار ما فيه من الوحي المحفوظ والعلم المعصوم، ولم يكن ضامنًا لسعادة الدنيا والآخرة، ولم يكن حقيقًا بأن تخضع له العقول وينجذب إليه الناس"[٢].

وأهل البدع يزينون أقوالهم وأفعالهم للعامة، ويلبسون عليهم بالألفاظ الحسنة وزخرف القول.

يقول ابن القيم: وكلّ أهل نِحْلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومقالة مخالفيهم أقبح ما يقدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه اللّه بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت الألفاظ من الحقّ والباطل، ولا تغترّ باللفظ... فإذا أردت الاطلاع على كنه المعنى هل هو

---

(١) علي بن محمد ناصر الفقيهي، البدعة وأثرها السيء في الأمة، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤١٥هـ، ص ١٩.

(٢) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٩٤-١٩٥.

حق أو باطل فجرده من لباس العبارة، وجرد قلبك عن النفرة والميل، ثم أعط النظر حقه ناظرًا بعين الإنصاف، وأعرض ما تراه على الكتاب والسنة، فإن كان موافقًا وجب الأخذ به وإن كان مخالفًا وجب الابتعاد عنه[١].

ومن علامات أهل البدع:

١- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية، والفعلية، والعقدية.

٢- أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق، وإن تبين لهم.

٣- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين[٢].

تعريف البدعة:

البدعة لغة: الاختراع على غير مثال سابق.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي مخترعها من غير مثال سابق، وعليه فإن العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة.

والبدعة في الشرع: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه[٣].

تقسيم البدعة:

أ- **بدعة حقيقية:** هي التي لا يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب

---

(١) الإمام ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/١٧٩.

(٢) ابن عثيمين، شرح لمعة الاعتقاد ص ١١٢.

(٣) علي بن محمد ناصر الفقيهي، البدعة ضوابطها وأثرها السيء في الأمة، مرجع سابق، ص ١٣ باختصار.

ولا من سنة، ولا إجماع، وهي أكثر، وأعم، وأشهر عند الناس، مثل تحريم الحلال، وتحليل الحرام استنادًا إلى شبهة، وبدون عذر شرعي أو قصد صحيح.

ب-**البدعة الإضافية**: وتنقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما يقرب من الحقيقة حتى تكاد تكون البدعة تعد حقيقة، كأن يكون هناك طريقان في طلب الثواب، أحدهما سهل والآخر صعب، فيأخذ بعض المتشددين الطريق الأصعب.

ومنها أن يكون أصل العبادة مشروعًا إلا أنها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل، مثل تخصيص الأيام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصًا.

والآخر: ما يبعد عن الحقيقة حتى يكاد يُعد سنة محضة. كأن يكون أصل العمل مشروعًا، ولكنه يصير جاريًا مجرى البدعة مثل أن تلتزم النوافل التزام السنن الرواتب، إما دائمًا، وإما في أوقات محددة على وجه محدود(١).

التحذير من مجالسة أهل البدع:

إذا استعرضنا الكتاب، والسنة، وأقوال السلف، وجدنا أن التحذير من مجالسة أهل البدع ورد بصورة واضحة لا تحتاج إلى اجتهاد كبير في بيانها(٢).

---

(١) إبراهيم عامر الرحيلي، موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء، ص ٩٦-٩٧.

(٢) إبراهيم عامر الرحيلي، مرجع سابق، ص ٥٣٠-٥٦٣.

أولا: ذكر الأدلة من الكتاب:

فقد قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

قال قتادة: "نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله، يكذبون بها، وإن نسي فلا يقعد بعد الذكر مع القوم الظالمين"[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ ﴾[٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة"[٤].

وقال الطبري -رحمه الله-: "وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم"[٥].

---

(١) سورة الأنعام، آية (٦٨).

(٢) ابن بطة، الإبانة الكبرى ٢/٤٣١.

(٣) سورة النساء، آية (١٤٠).

(٤) تفسير البغوي ١/٤٩١.

(٥) تفسير الطبري ٥/٣٣٠.

ثانيًا: ذكر الأدلة من السنة:

منها حديث كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ وهو حديث طويل رواه الشيخان عن كعب، ذكر فيه قصة تخلفه عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك، وهجر النبي ﷺ له ولصاحبيه وفيه: "ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أينا الثلاثة من بين من تخلّف عنه، فاجتنبنا الناس، وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم . أي أكثرهم شبابًا وقوة، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأُسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة! أنشدك بالله هل تعلمني أُحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي..."[١].

---

(١) رواه البخاري في المغازي، باب: حديث كعب بن مالك...، رقم (٤١٥٦) (١٦٠٣/٤-١٦٠٩).

مسلم في التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم (٢٧٦٩/٥٣) (٢١٢٠/٤-٢١٢٨).

ففي قصة كعب هذه دليل على مشروعية هجر أهل البدع والمعاصي، بترك مجالستهم والحديث إليهم، وقد استدل بها العلماء على جواز هجر أهل البدع والصد عنهم حتى يعودوا إلى رشدهم.

"فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، فأمر بهجرانهم، وأمرهم بالقعود في بيوتهم نحو خمسين يومًا على ما جاء في الحديث إلى أن أنزل الله سبحانه توبته وتوبة أصحابه، فعرف رسول الله ﷺ براءتهم من النفاق"(١).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "مرّ على النبيّ ﷺ رجل عليه ثوبان أحمران، فسلم على النبي ﷺ فلم يرد النبي ﷺ عليه"(٢).

ثالثًا: من أقوال الصحابة وأفعالهم الدالة على عدم مجالسة أهل البدع ومخالطتهم وهجرهم:

ومن الأمثلة على عدم مجالسة أهل البدع ومخالطتهم ما فعله أبو بكر

---

(١) أبو سليمان الخطابي، معالم السنن ٢٩٦/٤.

(٢) رواه أبو داود في اللباس، باب: في الحمرة، رقم (٤٠٦٩) (٥٣/٤).

الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في كراهية لبس المعصفر للرجل والقسّي (رقم٢٨٠٧) (١٠٧/٥).

الصديق رضي الله عنه لمسطح بن أثاثة لكلامه في حادثة الإفك، وتركه النفقة عليه حتى نزلت الآية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)]، فترك أبو بكر هجره وأعاد عليه نفقته وقال: "بل والله إني أحب أن يغفر الله لي"[(٢)].

وما ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ضربه لصبيغ العراقي وكتابته لأهل البصرة أن لا يجالسوه.

فعن أبي عثمان: "أن رجلاً كان من بني يربوع يقال له صبيغ، سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات، والنازعات، والمرسلات، أو عن إحداهن، فقال له عمر: ضع رأسك فوضع رأسه فإذا له وفيرة، فقال: لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك[(٣)]. قال: ثم كتب إلى أهل البصرة

(١) سورة النور، آية (٢٢).

(٢) رواه البخاري في الشهادات ضمن حادثة الإفك، باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا، رقم (٢٥١٨) (٢/٩٤٦). وفي كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ...﴾ رقم (٤٤٧٣) (٤/١١٧٨).
مسلم في التوبة، ضمن حادثة الإفك، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٥٦/٢٧٧٠) (٤/٢١٣٦).

(٣) خشي عمر رضي الله عنه أن يكون من الخوارج، وكان النبي ﷺ قد ذكر في وصف الخوارج (أن سيماهم التحالق). انظر الحديث في صحيح مسلم ٢/٧٤٥ حديث (١٠٦٥)، وضرب عمر له عن أسئلته تلك لكونها عن متشابه القرآن وعن غير ما يلزمه طلبه مما =

أن لا تجالسوه، أو قال: كتب إلينا أن لا تجالسوه، قال: فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرقنا عنه"(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب"(٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: "إياكم وما يُحدِث الناس من البدع؛ فإن الدينَ لا يذهب من القلوب بمرة، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة، والصيام، والحلال والحرام، ويتكلمون في ربهم عز وجل، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب، قيل: يا أبا عبد الرحمن، فإلى أين؟ قال: إلى لا أين؟ (قال: يهرب) بقلبه ودينه، لا يجالس أحداً من أهل البدع"(٣).

رابعًا: أقوال السلف في ترك مجالسة أهل البدع:

لقد صرح السلف الصالح بترك مجالسة أهل البدع؛ جاء عند الدارمي وغيره عن أيوب قال: "رآني سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب

= لا يضره جهله، ولا يعود عليه نفعه، وإنما كان الواجب عليه أن يسأل عن علم الفرائض والواجبات والتفقه في الدين من الحلال والحرام.

انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة ٤١٦/١.

(١) الإبانة الكبرى ٤١٤/٢.

(٢) ابن بطة في الإبانة الكبرى ٤٣٨/٢.

(٣) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، الرياض ١٢١/١.

فقال لي: ألم أرك جلست إلى طلق بن حبيب؟ لا تجالسه"[١].

وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى أنه كان يقول: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم"[٢].

وقال أبو بكر بن عياش -رحمه الله تعالى- لأحد أصحابه: "من زعم لك أن القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر زنديق، عدوّ لله تعالى، لا تجالسه ولا تكلمه"[٣].

وعن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى أنه كان يقول: "إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر"[٤].

ويقول البغوي: "فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع، معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه، ويتركه حيًا أو ميتًا"[٥].

وعن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- أنه قال: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك

---

(١) الدارمي، السنن ١/١٢٠.

(٢) الدارمي، المرجع السابق، ١/١٢٠.

(٣) الآجري، الشريعة ص ٧٩.

(٤) الآجري، المرجع السابق ص ٦٤.

(٥) البغوي، شرح السنة ١/٢٢٤.

المراء، والجدال، والخصومات في الدين"[١].

ومن السنن المأثورة عن علماء السلف ومنهم الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: التشديد في هجر أهل البدع وإهمالهم، وترك جدالهم ومجالستهم، والتباعد عنهم حسب الإمكان، والتقرب إلى الله بمقتهم وذمهم وعيبهم[٢].

ويقول الشيخ ابن عثيمين: "وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٣]، ولأن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلّفوا عن غزوة تبوك، لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم، وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوبًا لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٤]"[٥].

ويقول الشوكاني -رحمه الله تعالى- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ....﴾ الآية: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله،

---

(١) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٥٦.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل، مجموعة الرسائل والمسائل ٤/١١١.

(٣) سورة المجادلة، آية (٢٢).

(٤) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٥) شرح لمعة الاعتقاد، ص ١١٠-١١١.

ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر".

ويقول -رحمه الله-: "وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما يفوق الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها، علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة. فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه، ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدًا أنه من الحق، وهو أبطل الباطل، وأنكر المنكر"(١).

وهجر المبتدع لا يكون مشروعًا إلا بمقصدين(٢):

١- لتأديب المبتدع وزجر مثله عن فعله.

٢- أو لخشية حصول الفتنة والضرر بمجالسته.

والمجالسة لأهل البدع تختلف عن دعوتهم إلى الخير وبيان الحق لهم،

---

(١) فتح القدير ٢/١٢٨.

(٢) إبراهيم عامر الرحيلي، مرجع سابق، ص ٥٥٣.

ومناظرتهم لإبطال شبههم؛ لأن هذا يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به الإسلام، فإذا جاء النهي من العلماء والتحذير من مجالسة أهل البدع، فليس معنى ذلك أن العالم بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لا يدعو هؤلاء إلى العودة إلى الدين، ولا يناظرهم، ولا يجلس معهم لهذا الهدف، ولكن قصد العلماء الخوف على من لا يستطيع أن يدفع الشبهة عن نفسه فتؤثر فيه أو تمرض قلبه[1].

"وبناء على ذلك يمكن القول أن هجر المبتدع إنما يكون مشروعاً إن رجي منه زجره وتأديبه، أو خشي المجالس له لحوق الضرر بمجالسته له في دينه، وإلا لم يكن مشروعاً. بل قد يكون عدم الهجر هو المشروع إن رجي من مجالسته تحقيق مصلحة راجحة.

وإذا تقرر ذلك: فهجر أهل البدع يختلف في حكمه من مبتدع لآخر تبعاً لاختلاف الأحوال، والظروف المؤثرة في تحقيق المقاصد الشرعية للهجر، وتوفر الأسباب الباعثة عليه من عدمها.

وهذه الأحوال إما أن تكون متعلقة بالمبتدع نفسه من حيث إعلانه لبدعته أو عدمه، أو من حيث تأثير الهجر فيه سلبًا أو إيجابًا، وإما أن تكون متعلقة بالهاجر من حيث علمه أو جهله، أو من حيث قوته أو ضعفه، وإما أن تكون متعلقة بالمكان والزمان من حيث كثرة البدع وانتشارها وقوة أهلها في بعض الأماكن والأزمان دون بعضها"[2].

---

(١) علي بن محمد ناصر الفقيهي، البدعة ضوابطها وأثرها السيء في الأمة، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) إبراهيم عامر الرحيلي، مرجع سابق، ص ٥٥٤.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم؛ لما كان أولئك سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك حسب الأحوال والمصالح"(١).

ومن المفاسد المترتبة على مجالسة أهل البدع:

١- خطرهم على من يجلس معهم فقد يسمع من شبههم ما لا يستطيع دفعه، وبالتالي ينقاد إليهم ويتبعهم.

٢- أن في مجالستهم مخالفة لأمر الله بترك مجالستهم، ومشاقة لرسوله ﷺ، واتباعًا لغير سبيل المؤمنين، الذين اتفقوا على ترك مجالستهم.

٣- أن مجالسة أهل البدع تجلب محبتهم، وبالتالي السير على نهجهم.

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٠٦.

٤- أن مجالسة أهل البدع تعطيل لدواء الهجر الذي يستخدم ضدهم للعودة بهم إلى الصواب، فالمبتدع لا يتوب، وقد وجد من حوله ناس يحترمونه ويوقرونه.

٥- أن من يجالس المبتدع يلحقه الأذى في سمعته، ويظن الناس به شرًا لرضاه بالجلوس إليه (حتى لو لم يكن موافقًا له)[١].

(١) إبراهيم عامر الرحيلي، مرجع سابق ص٥٥٠-٥٥٢.

مجالس النفاق

النفاق هو اختلاف السر والعلانية، أو اختلاف القول والعمل، وهو نوعان: نوع يكون في العقائد، وهو أشده وأخطره. ونوع يكون في الأقوال والأعمال، وهو دونه إثماً[1].

قال رجل للإمام العلامة ابن عقيل: "أسمع وصية الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]، وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق؟ فقال النفاق هو إظهار الجميل وإبطان القبيح، وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن"[3].

فالنفاق إذاً إبطان الشر وإظهار الحسن لإيقاع الشر المضمر.

١- النفاق العقائدي:

لقد تحدث القرآن الكريم كثيرًا عن هذا النوع من النفاق؛ وهو أن يظهر الإنسان الإيمان ويبطن الكفر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

---

(١) انظر: عفيف عبدالفتاح طباره، الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، ١٩٧٩م ص٥٠-٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية (٣٤).

(٣) محمد السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب، ص٢٠٨-٢٠٩.

يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

ولقد وصف الله المنافقين بأنهم مفسدون في الأرض، يحدثون الشرور والبلايا، وهم من أشد ما تبتلى به الأمم والجماعات شرًا وخطرًا؛ لأن المنافقين يظاهرون أعداءها ويدلونهم على مواطن الضعف فيها، مبتغاهم الأول منفعتهم الذاتية ولو كان ذلك على حساب أمتهم، ولقد حذر الله المنافقين بقوله: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2].

ولقد وعد الله المنافقين وأنذرهم بالعقوبة الشديدة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[4].

والنفاق مدعاة لاقتراف الأخلاق الذميمة: كالرياء، والخداع، والمداهنة، والغدر، والكذب، والخيانة، والخسة، وهذه كلها آفات تفتك بجسم الأمة فتحيلها هيكلاً متخاذلاً لا تنهض برسالتها في الحياة.

---

(١) سورة البقرة، الآيات (٨-١٢).

(٢) سورة النساء، آية (١٣٨).

(٣) سورة التوبة، آية (٦٨).

(٤) سورة النساء، آية (١٤٥).

وسوف نورد إن شاء الله صفاتهم كما وردت في القرآن الكريم في نهاية هذا المبحث.

٢- نفاق الأقوال والأعمال:

لقد استنكر الإسلام هذا النوع من النفاق في أي صورة من صوره لسوء أثره في حياة الأمم والأفراد. فالنفاق رذيلة اجتماعية ترفع الثقة بين الناس في شؤونهم، وبالتالي تذهب بالتعاون بينهم، وإذا انعدمت الثقة، وفقد بينهم التعاون وقفت عجلة الحياة فيهم، وحال ذلك دون رقيهم وازدهارهم، وأصاب المجتمع الوهن، والاضطراب، والفوضى، ولقد حذر النبي ﷺ من النفاق بالأعمال بقوله: "**تجدون شرّ الناس ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه**"[١].

ويبين النبي ﷺ صفات المنافقين في حديث جامع، فعن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"[٢].

---

(١) رواه البخاري في المناقب، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ...﴾ رقم (٣٣٠٤)، (١٢٨٨/٣).
ومسلم في فضائل الصحابة، باب: خيار الناس، رقم (٢٠٢٦/١٩٩)، (١٩٥٨/٤).
وفي كتاب البر والصلة والآداب، باب: ذي الوجهين، وتحريم فعله، رقم (٩٨-٢٥٢٦/١٠٠) (٢٠١١/٤).

(٢) رواه البخاري في الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم (٣٤)، (٢١/١). =

وفي رواية: وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم.

فالكذب، والخيانة، والغدر بالعهد، والمخاصمة بالباطل، من أخص صفات المنافقين، والمنافقون يفعلون هذه الأفعال الذميمة، وهم يستحلونها، ويعتقدون أنها الحكمة واللباقة، فضلّوا عن سبيل الله، واستحلوا ما حرم الله.

يقول الإمام ابن القيم في الكذب وهي إحدى صفاتهم الآنفة الذكر: "الكاذب يصور المعدوم موجودًا والموجود معدومًا، والحق باطلاً والباطل حقًا، والخير شرًا والشر خيرًا، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له، ثم يصور ذلك في نفس المخاطب المغتر به الراكن إليه فيفسد عليه تصوره وعلمه".

ويضيف: "وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسد هو ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله، فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ويترامى داؤه إلى الهلكة إن لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلع تلك من أصلها.

ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من الرياء، والعجب، والكبر، والفخر، والخيلاء، والبطر، والأشر، والعجز، والكسل، والجبن، والمهانة، وغيرها أصلها الكذب. فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق. وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب"[(١)].

والصدق مرتبط بالإيمان وهو المعيار الذي يفرق به بين المؤمن والمنافق.

= ومسلم في الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم(١٠٦/٥٩)، (٧٨/١).

(١) ابن القيم، الفوائد ص١٧٨-١٧٩.

يقول شيخ الإسلام: "والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام، فإن الْمُظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق، فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه الكذب"[١].

وقد راجت بضاعة النفاق في هذا العصر، وساعد على رواجها شهوة الأفراد القوية في الربح المادي، ورغبتهم في الحصول عليه من أي وجه، وبكل حلية، وأصبح الناس يخادع بعضهم بعضًا، وشاع النفاق في كل مرافق الحياة، وصار غير مستغرب أن يعد الرجل ولا يفي، ويستقرض ولا يؤدي دينه، ويتظاهر بالصدق وقلبه مملوء بالحقد والضغينة[٢].

ولقد كانت أعداد المنافقين في حياة الرسول ﷺ غير قليلة، وكانوا يعيشون مع المؤمنين دون أن يكشف الله ورسوله أسماءهم إلى جميع المؤمنين.

ولكن السلوك والعمل كشف بعض المنافقين، فعرفهم الناس. وأسرّ الرسول ﷺ بأسمائهم لحذيفة بن اليمان الذي لم يكشف السرّ ومضى معه. وقد يرى بعض الناس أن لو عرف هؤلاء. ولكن حكمة الله غالبة. وقدره ماض. وهو أرحم بالمؤمنين من أنفسهم بأنفسهم. فما كشفت أسماء المنافقين، إلا لتظل مهمة الصف المؤمن أبد الدهر أن يحذر منهم، فالمنافقون ممتدون في حياة الأمة على مدى العصور كلها. فلا فائدة من معرفتهم في مرحلة محدودة من الزمان معرفة تقوم على كشف أسمائهم. إنها مسئولية الصف المؤمن أن يرعى بنيانه المرصوص، حتى لا ينخره الفساد والنفاق

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى، ١٠/١١-١٢.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة، مرجع سابق، ص ٥٠-٥٤.

والوهن على مر العصور[١].

ولقد قطع الخوف من النفاق قلوب السابقين الأولين؛ لعلمهم بدقة وجهه وتفاصيله، وجمله فساءوا الظن بأنفسهم حتى خشوا أن يكونوا منهم، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ، يقول لحذيفة ﷺ: "يا حذيفة، نشدتك بالله، هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم؟ قال: لا. ولا أزكى بعدك أحدًا"[٢].

إن المنافقين في أية جماعة كالمريض الخبيث الذي يبلى الجسم من داخله، ينفثون سمهم حين المحن والبلاء، ويظهرون كيدهم وقت الكرب والضيق، فهم في السراء عالة، وفي الضراء عمالة للأعداء يدّعون الإيمان، ويحسنون القول ويخرجون من كل موقف بعذر، ولهم بين المؤمنين سماعون، تخدعهم أقوالهم وأيمانهم، فتمكنوا من الكيد لرسول الله ﷺ وللمسلمين مرات، فعادوا بثلث الجيش من أحد دون قتال، وأثاروا الفتنة، وسعوا إلى فساد ذات بين المؤمنين، وأذاعوا حديث الإفك في المدينة، ويعملون على التشكيك في الدعوة وفي وعد الله، ويحرضون على ترك الرباط عن المدينة.

إنهم لا يضمرون في أنفسهم للمؤمنين إلا الشر، ولا يريدون بهم إلا الهزيمة، ولا يتمنون للدعوة غلبة ولا ظهورًا، فكان من كشف هذه النفوس وعرضها عارية على المؤمنين حتى لا يخدع فيهم مسلم ولا يهلك بسببهم مؤمن[٣].

---

(١) عدنان رضا النحوي، منح المؤمن بين العلم والتطبيق، مرجع سابق، ص ١٧١.

(٢) الإمام ابن القيم، صفات المنافقين، المكتب الإسلامي، ص ٣٦.

(٣) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ، ص٢٨٤.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1].

ويمكن جمع بعض صفاتهم كما وردت في القرآن الكريم على النحو التالي:

١- هدفهم الأول الفساد.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2].

٢- تركهم الاهتداء بالوحي الإلهي:

قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾[4].

٣- اختلاف ظواهرهم عن بواطنهم، فلبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والضلال يقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[5].

٤- رأس مالهم الخديعة والمكر.

قال تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (١٢-١٣).

(٢) سورة البقرة، الآيتان (١١-١٢).

(٣) سورة المؤمنون، آية (٥٣).

(٤) سورة الأنعام، آية (١١٢).

(٥) سورة البقرة، آية (٨).

(٦) سورة البقرة، آية (٩).

٥- أنهكت أمراض الشهوات والشبهات قلوبهم فأهلكتها.

قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾(١).

٦- اعتبار أهل الاعتداء عندهم سفهاء في خلواتهم ومجالستهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

٧- لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه الملحدين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾(٣).

٨- قلوبهم لا تسمع منادي الإيمان وعيون بصائرهم عليها غشاوة العمى، وألسنتهم بها خرس عن الحق.

قال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(٤).

٩- من علاماتهم الرياء، والكسل عما أمروا به من أوامر الرحمن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا

---

(١) سورة البقرة، آية (١٠).

(٢) سورة البقرة، آية (١٣).

(٣) سورة البقرة، آية (١٤).

(٤) سورة البقرة، آية (١٨).

﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

١٠- لا يستقرون مع إحدى الفئتين، فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيهم أقوى وأعزّ.

قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[2].

١١- يتربصون بأهل الكتاب والسنة فإن كان لهم فتح من الله، قالوا: ألم نكن معكم؟ وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب، قالوا: ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا وبينكم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[3].

١٢- تلقى أحدهم بين جماعة أهل الإيمان في الصلاة، والذكر، والاجتهاد، ويأمر أتباعه بالفساد.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ

---

(١) سورة النساء، آية (١٤٢).

(٢) سورة النساء، آية (١٤٣).

(٣) سورة النساء، آية (١٤١).

وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[١].

١٣- رجالاً ونساءً، جنس بعضه يشبه بعض يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٢].

١٤- معرضين عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[٣].

١٥- كيف لهم بالفلاح والهدى، وقد أصيبوا في عقولهم وأديانهم، وأنى لهم التخلص، وقد اشتروا الكفر بالإيمان.

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾[٤].

١٦- يرجعون إلى الكفر بعد أن دخلوا في الإيمان نفاقًا.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية (٢٠٥).

(٢) سورة التوبة، آية (٦٧).

(٣) سورة النساء، آية (٦١).

(٤) سورة النساء، آية (٦٢).

(٥) سورة المنافقون، آية (٣).

١٧- أحسن الناس أجسامًا ولسانًا، وأخبثهم قلوبًا، فهم كالخشب المسندة التي لا ثمرة لها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(١).

١٨- يظهرون الالتصاق بالمؤمنين بالحلف، وليسوا منهم.

قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾(٢).

١٩- يسيئهم نصر أهل الكتاب والسنة، وإن أصيبوا بابتلاء واختبار فرحوا بذلك، وسرهم.

قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾(٣).

٢٠- كره الله سبحانه وتعالى طاعاتهم لخبث قلوبهم، وفساد نياتهم، فثبطهم عنها وأقعدهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة المنافقون، آية (٤).

(٢) سورة التوبة، آية (٥٦).

(٣) سورة التوبة، آية (٥٠).

(٤) سورة التوبة، آية (٤٦).

وذلك من لطف الله بأوليائه وإسعادهم.

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1].

٢١- كرههم ما أنزل الله.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

٢٢- أسروا النفاق فأظهره الله على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم وسيماهم.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[3].

٢٣- لا يوفون بمواعيدهم، وبضاعتهم الكذب والمخالفة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة، آية (٤٧).

(٢) سورة محمد، آية (٩).

(٣) سورة محمد، الآيتان (٢٩-٣٠).

(٤) سورة التوبة، الآيات (٧٥-٧٧).

وأوصافهم في القرآن الكريم أكثر من ما ذكر، حتى كاد أن يكون معظم آي القرآن الكريم في شأنهم[١].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام مجاهدتهم أسوة بالكفار والشدة عليهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٢].

وعلاج النفاق يكون بعزل المنافقين عن مجتمع المؤمنين، ومقاطعتهم، وعدم مجالستهم أو التودد لهم، ومجابهتهم حتى يصلح حالهم، وتستقيم أمورهم.

---

(١) انظر: أبو نعيم الأصبهاني، صفة النفاق ونعت المنافقين، ص: ٧٣ وما بعدها، تقديم وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبر، البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م، و ابن القيم، مدارج السالكين، ١/٣٤٧-٣٥٩، وابن القيم، صفات المنافقين، ص ١-٢٢، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

(٢) سورة التوبة، آية (٧٣).

مجالس الغيبة

إن الغيبة من الأمور المحرمة بالإجماع في الدين الإسلامي، وهي من القبائح الاجتماعية؛ لما فيها من قطع أواصر الأخوة وإفساد المودة، وبذر العداوة بين الناس.

فالشرع الإسلامي أحاط المسلمين بسياج منيع يحفظ عليهم ودهم وتعاطفهم وتراحمهم، ومنع كل الأعمال التي تسبب تصدعاً واضطرابًا داخل المجتمع الإسلامي ومن ذلك الغيبة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[2].

والهماز: بمعنى الاغتياب.

والمشاء بنميم: الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين[3].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**أتدرون ما الغيبة؟**" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "**ذكرك أخاك بما يكره**" قيل: وإن كان في أخي ما

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٢).

(٢) سورة القلم، آية (١١).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٤٣٠.

أقول؟ قال: "**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**"[١].

إذًا فالغيبة ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره، فلو كان حاضرًا كره هذا القول، فإذا لم توجد فيه تلك الصفة أو الخلة فإن ذلك يعد بهتانًا أي كذبًا وافتراءً وهو أشد من الغيبة.

وقد تكون الصفة المغتاب بها جسمية: كأن تقول هذا شخص أعمى، أو أعرج، أو قصير، أو طويل، أو أسود ونحوها مما يكره الإنسان أن يوصف به.

وقد تكون الصفة المغتاب بها في نسبه: كأن تقول هذا لا أصل له، أو هذه من أسرة وضيعة ونحو ذلك.

وقد تكون الصفة المغتاب بها في أمور دنياه: كقولك فراش، أو حلاق، أو طباخ، أو أي شيء يكرهه على وجه التحقير.

وفي أخلاقه وسلوكه فتصفه: بالكبر والجبن، وقلة الأدب، وكثرة الكلام، وكثرة الطعام، وكثرة النوم.

وفي هيئته: كأن تقول رث الهيئة، وسخ الملابس، ونحوه.

وقد تتعلق الغيبة بالأمور الشرعية:

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، رقم (٢٥٨٩/٧٠)، (٢٠٠١/٤).

والترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في الغيبة، رقم (١٩٣٤)، (٢٩٠/٤).

وأبو دواد في الأدب، باب: في الغيبة، رقم (٤٨٧٤)، (٢٦٩/٤).

وأحمد في المسند (٢٣٠/٢، ٤٥٨).

بأن يقال: فلان ظالم، أو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو متهاون في الصلاة، أو الزكاة، أو ليس بارًا بوالديه ونحو ذلك[1].

ومن الأسباب الباعثة على الغيبة:

١- تشفي الغيظ بذكر مساوئ الموقوع في عرضه، فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.

٢- موافقة الأقران ومجاملة الجلساء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا من الأشرار الذين يتفكهون بذكر الأعراض يصعب على من صاحبهم وزاملهم الإنكار عليهم أو قطع مجلسهم، ولو فعل ذلك استثقلوه ونفروا منه، فيجاريهم على الباطل مجاملة في الصحبة، ومحافظة على العشرة.

٣- يبادر من يقبح حاله بالهجوم يُسقط شهادته.

٤- أن ينسب إليه شيء فيذكر أن الذي فعله فلان، وبإمكانه لا يذكر الاسم.

٥- أن يكره شخصًا معينًا فيحسده، فيرميه بمساويء، ومعايب ينسبها إليه ليصرف وجوه الناس عنه، ويسقط مهابته.

٦- أن يقدح في شخص عند من يحبونه حسدًا على إكرامهم له.

٧- أن يقصد بها المزاح وإضحاك الناس والتندر.

---

(١) الشيخ عبد الله الجار الله، الغيبة ومضارها ص ٥-١١.
وانظر: الغزالي، الإحياء، ٣/١٤٣-١٤٤.

٨- السخرية والاستهزاء بالشخص استحقارًا له، ومنشؤه الكبر واستصغار الناس، ويحدث في الحضور والغيبة.

٩- التقرب لدى المسؤولين وأصحاب الأعمال، عن طريق ذم العاملين معه، ليحصل على المرتبة الأعلى.

١٠- يتعجب من فعل الغائب للمنكر وذلك بذكر اسمه فيصير مغتابًا.

١١- أن يغتم بسبب شخص معين فيذكر اسمه، كأن يقول: مسكين فلان قد غمني أمره، وما ابتلي به من المعصية، فيغتابه بصيغة الترحم والتوجع.

١٢- إظهار الغضب لله على منكر قارفه إنسان فيذكره باسمه، والواجب أن يؤنب الفاعل، ولا يطلع عليه أحد، ولا يذكر اسمه[١].

والغيبة كما هو محرم على المغتاب ذكرها فإنه محرم على السامع استماعها وإقرارها، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"[٢].

---

(١) عبد العزيز المحمد السلمان، مورد الظمآن، مرجع سابق ٣٥٩/١، وسعيد القحطاني، آفات اللسان في ضوء الكتاب والسُّنَّة، ص: ١٩-٢١، مطبعة سفير، الرياض، ط٩، ١٤٣١هـ، وحسين العوايشة، حصائد الألسن ص ٨٥-٨٧.

(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم (٤٩/٧٨) (٦٩/١).

=

والغيبة من المنكرات التي ينبغي للفرد إنكارها بإحدى الطرق الثلاثة السابقة في الحديث على التوالي، وأقلها الإنكار بالقلب، ومفارقة المجلس الذي تدار فيه الغيبة.

ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار أو أنكر فلم يقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطريق، حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله سبحانه وتعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر؛ ليشتغل عن استماعها، ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء[1].

وإذا استمرأ المجتمع الكلام في أعراض الغائبين عن المجالس دون إنصاف، أو إنكار من أحد، فإن أعراض عامة المجتمع ستنتهك؛ إذ يصبح

= والترمذي في الفتن، باب: ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب، رقم (٢١٧٢)، (٤٠٨/٤).

وأبو داود في الصلاة، باب: الخطبة يوم العيد، رقم (١١٤٠)، (٢٩٧/١). وفي الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم (٤٣٤٠)، (١٢٣/٤).

والنسائي في الإيمان وشرائعه، باب: تفاضل أهل الإيمان، (١١١-١١٢).

وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة العيدين، رقم (١٢٧٥)، (٤٠٦/١). وفي الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٤٠١٣)، (١٣٣٠/٢).

وأحمد في المسند (١٠/٣، ٢٠، ٤٩، ٥٢، ٦٢).

(١) الغزالي، الإحياء ١٤٣/٣-١٤٤.

ذلك عادة في المجالس دون نكير، وكل من غاب عن المجلس يكون عرضة لاغتيابه، ونهش عرضه لعدم وجود من ينصره ويدافع عنه وهو غائب.

ويترتب على ذلك إساءة الظن، والحقد، وعدم الثقة، لهذا كان من الواجب على المسلمين أن يحاربوا هذه الصفة الذميمة في مجالسهم فلا يأذنوا لأحد بالكلام في أعراض الغائبين ليعلموا بما رواه أبو الدرداء ﵁، عن النبي ﷺ قال: **"من ردّ عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"**[(١)].

والمسلم الذي لا يقدر على الرد عن عرض أخيه المسلم في المجالس لا يجوز له أن يغشى تلك المجالس لغير ضرورة[(٢)].

ومن مساوئ الغيبة أنها تجرد الشخص من حسناته فتُضم إلى الإنسان المغتاب، فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: **"من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال، فليستحللها منه من قبل أن يأتي يوم القيامة ليس هناك دينار ولا درهم، إنما يؤخذ من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته"**[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في الذبّ عن عرض المسلم، رقم (١٩٣١)، (٤/٢٨٨).

وأحمد في المسند (٦/٤٤٩، ٤٥٠.

(٢) عبد الله أحمد قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع ص ٣٠٢.

(٣) رواه البخاري في المظالم والغصب، باب: من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له...، رقم (٢٣١٧)، (٢/٨٦٥). وفي الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، رقم (٦١٦٩)، (٥/٢٣٩٤).

وأحمد في المسند ٢/٥٠٦.

"وروي عن الحسن البصري أن رجلاً قال: إن فلانًا اغتابك فبعث إليه طبقًا من التمر، وقال: بلغني أنك أهديت حسناتك فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام"(١).

أما إذا ترتب على أمر الغيبة مصلحة أو درء مفسدة كانت لازمة، وإذا ترتب عليها أمر جائز فجائزة وذلك على النحو التالي:

١- التظلم: كالتظلم للسلطان، والقاضي، وأولي الأمر، والدليل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: إن هند زوجة أبي سفيان جاءت إلى الرسول ﷺ فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم! قال: "**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**"(٢).

٢- الاستفتاء: كأن يقول للمفتي: ظلمني أخي، أو فلان، فما طريقي في الخلاص؟ كما في الحديث السابق.

٣- الاستعانة على تغيير منكر، أو رفع بلاء عن مسلم، لا يظن أنه له قدرة على ذلك، فله أن يذكر أن فلانًا من الناس عمل كذا.

٤- تحذير المسلمين ونصحهم من أصحاب الشر، وممن يضرّ بهم، من ذلك جرح المجروحين من الرواة والشهود للذّب عن حديث

---

(١) نصر محمد السمرقندي، تنبيه الغافلين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٢٦.

(٢) رواه البخاري في النفقات، باب: إذا لم ينفق الرجل...، رقم (٥٠٤٩)، (٥/٢٠٥٢).
وفي الأحكام، باب: القضاء على الغائب، رقم (٦٧٥٨)، (٦/٢٦٢٦).
مسلم في الأقضية، باب: قضية هند، رقم (٧/١٧١٤)، (٣/١٣٣٨).

رسول الله ﷺ، وكذلك المشاورة في أمور الزواج، أو المشاركة، أو المجاورة، ونحو ذلك.

٥-ذكر المجاهر بفسقه، أو صاحب البدعة ببدعته.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: **"ائذنوا له، بئس أخو العشيرة"**(١).

قال النووي في رياض الصالحين: "احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرّيب".

٦- التعريف إن كان الإنسان معروفًا بلقب معيّن، كالأعرج، والأصم، والأعمى، ونحو ذلك، ولا يحل إطلاقه على وجه التحقير والتنقيص، وإن أمكن تعريفه بغير ذلك أفضل وأولى، لقوله ﷺ: **"إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له "أويس" لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض**(٢)**، فدعا الله تعالى فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"**(٣).

---

(١) رواه البخاري في الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، رقم (٥٦٨٥)، (٢٢٤٤). وباب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، رقم (٥٧٠٧)، (٥/٢٢٥٠). وباب: المداراة مع الناس، رقم (٥٧٨٠)، (٥/٢٢٧١).
ومسلم في البر والآداب والصلة، باب: مداراة من يتقى فحشه، رقم (٢٥٩١/٧٣)، (٤/٢٠٠٢).

(٢) أي: برص.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني ﷺ، رقم (٢٥٤٢/٢٢٣)، (٤/١٩٦٨).

الأمور التي ينبغي مراعاتها عند الغيبة المباحة

١- الإخلاص لله تعالى في النية، فلا تقل ما أبيح لك من الغيبة تشفياً لغيظ، أو نيلاً من أخيك، أو تنقصًا منه.

٢-عدم تعيين الشخص ما أمكنك ذلك.

٣-أن تذكر أخاك بما فيه، بما يباح لك، ولا تفتح لنفسك باب الغيبة على مصراعيه، فتذكر ما تشتهي نفسك من عيوبه.

٤-التأكد من عدم وقوع مفسدة أكبر من هذه الفائدة.

أمور خفية تدخل في الغيبة:

١-قد يغتاب الرجل أخاه، وإذا أنكر عليه قال: أنا على استعداد للقول أمامه، ويرد على هذا بردود عديدة منها:

أ- أنك ذكرته من خلفه بما يكره فيه، وهذه هي الغيبة.

ب- استعدادك للحديث أمامه، أمر آخر مستقل، لم يرد فيه دليل على أنه يسوغ لك أن تذكر أخاك من خلفه بما يكره.

٢-قول القائل في جماعة من الناس عند ذكر شخص ما: "نعوذ بالله من قلة الحياة" أو "نعوذ بالله من الضلال"، أو "نعوذ بالله من الخذلان"، أو نحو هذا، فإنه يجمع بين ذم المذكور ومدح النفس.

٣-وكذلك قول المرء: "فلان مبلي بذكر"، أو "كلنا نفعل هذا".

٤-قول القائل: "فعل كذا بعض الناس"، أو بعض الفقهاء، أو نحو ذلك، إذا كان المخاطب يفهمه بعينه، لحصول التفهيم.

٥-قول الشخص: "فعل كذا عمنا" أو الأخ" ونحو ذلك، إن كان يقصد التنقص منه.

٦-قولهم: هذا صغير تجوز غيبته، وأين الدليل على تجويز الغيبة لطالما وردت النصوص مطلقة؟

٧-التساهل في غيبة العاصي غير المجاهر لقوله عليه الصلاة والسلام: "**الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**"[١] وذلك يشمل المسلم الطائع والعاصي.

٨-قولك: هذا هندي، أو مصري، أو أسود، أو عجمي، أو عربي، أو بدوي، أو قروي، أو إسكافي، أو نجار، أو حداد، إن كان قاله تحقيرًا وانتقاصًا[٢].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة رقم (٢٥٨٩/٧٠)، (٢٠٠١/٤).

(٢) انظر: حسين العوايشة، حصاد الألسن، مرجع سابق، ص ٧١-٧٥.

مجالس النميمة

من أهم أهداف الإسلام توثيق المحبة بين أفراد المجتمع، والقضاء على كل أسباب الفرقة والبغضاء بينهم.

ولذلك حرّم الإسلام الأمور التي تنفر القلوب، وتثير العداوة والبغضاء، ويأتي على رأس هذه الأمور: النميمة.

ويمكن تعريف النميمة: "أنها نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد"[١].

والنميمة تطلق في الغالب على من يوصل قول الغير إلى المقول فيه، وهي حقيقة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، سواء كان الكشف بالقول أو الكناية أو الرمز، أو الإيماء أو نحوها، وعلى ذلك ينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما يراه من أحوال الناس، ولا يتحدث بها في المجالس أو على انفراد مع شخص إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع مضرة[٢].

وقد أمر الله عز وجل عباده بالتواد والتناصر، ودعا المؤمنين للتآلف والتآزر وحذرهم الشحناء والبغضاء، ونهاهم عن الخصام والتنافر، كي لا تضيع قواهم، ولا تتبدد جهودهم، ولا تفنى أعمارهم في تنابذ، وتشاجر، وعداوات... وإن أكبر معول يهدم وحدة الجماعة هو عمل النمام...؛ ذلك لأنه النمام الذي ينقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم، وإيغار

---

(١) الإمام النووي، المنتقى المختار ص ٣٢٣.

(٢) الغزالي، الإحياء ١٥٦/٣.

الصدور، والتفريق بين الأحبة، وتمزيق أواصر الألفة، وتقطيع حبال المودة، والنمام بعمله ذاك يولد النفور، ويوقد نار العداوات... وما أقبحه من عمل.. وما أدنأ الإنسان الذي يقدم عليه... فالنميمة آفة أشد خطرًا من الأمراض، وأفتك من الوباء؛ لأنها تقلب سعادة المتحابين شقاء، وتباعد المتقاربين، وتباغض الأهل، وتثقل النفوس بالهموم، وتملأ الصدور بالسموم... إلا من رحم ربك.

لهذا كان المشاءون بالنميمة شرار الناس، يتحاشاهم العقلاء كما يتحاشون النار المحرقة، ويتقون أخطارهم، كما يلجئون إلى الوقاية من الأوبئة الفتاكة[1].

والباعث على النميمة عدة أمور:

١- إرادة السوء بالمحكي عنه.

٢- التقرب للمحكي له.

٣- رؤية الناس متعادين متباغضين؛ ليحصل للنمام من جراء ذلك نفع على حساب الضرر بالغير.

٤- الفرح والمتعة بالخوض في الفضول.

٥- إرضاء لسواد القلب.

وقد جاء في القرآن الكريم تقبيح النميمة والوعيد الشديد لأهلها.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[2].

---

(١) أحمد طاحون، مرشد الدعاة إلى الله ص ٢٠٠.

(٢) سورة الهمزة، آية (١).

قيل: هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة.

وقال تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ﴾[١].

قيل: وردت في الوليد بن المغيرة، فإنه كان طعاناً يمشي بالنميمة.

ووصف القرآن امرأة أبي لهب بأنها "حمالة الحطب" لأنها كانت نمامة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين جديدين، فقال: "**إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، فأما أحدهما، فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**"، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، وغرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ فقال: "**لعله أن يخفف عنهما، ما لم ييبسا**"[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا يدخل الجنة نمام**"[٣].

حقًّا... إن النمام من شرار الناس، فهو لصّ بارع يسترق أسرار

---

(١) سورة القلم، آية (١١).

(٢) رواه البخاري في الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم (٢١٣)، (٨٨/١). وباب: ما جاء في غسل البول رقم (٢١٥)، (٨٨/١). وانظر: الأرقام (١٢٩٥، ١٣١٢، ٥٧٠٥، ٥٧٠٨).

ورواه مسلم في الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول...، رقم (١١١/٢٩٢)، (٢٤٠/١).

(٣) رواه البخاري في الأدب، باب: ما يكره من النميمة، رقم (٥٧٠٩)، (٢٢٥٠/٥).

ومسلم في الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم النميمة، رقم (١٦٨/١٠٥)، (١٠١/١).

الناس، ويلتمس عيوبهم، وهو محتال مخادع يزين الأقوال ليضع السم في الصدور، فأنت ترى العائلة تعيش في راحة وسلام، مؤتلفًا أفرادها، مجتمعًا أبناؤها يضمهم الصفاء، ويشملهم الهناء، فإذا تسرب النمام إلى حياتهم، ومشى بينهم بسعايته، وتحايل عليهم بوقيعته، فإذا بهم ينقلب هناؤهم شقاء وصفاؤهم كرهًا وعداءً، وإذا بالأخ ينفصل عن أخيه، والولد عن أبيه، بل الرجل عن زوجته[١].

فالنمام لا يوثق بصداقته، ولا يؤمن من شره فمن نم لك نم عليك، فتراه حلو الحديث وهو خبيث القلب، يعجب السامع قوله، وهو لا يدري أنه يقدم السم القاتل في العسل، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[٢].

ولما كان النمام مصدر إفساد، يغرس الأحقاد بين العباد، ويزرع الأضغان في قلوب المتصافين، فقد نهى الله عز وجل عن سماع قوله، وتصديق كلامه حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[٣].

وحذرنا الحبيب ﷺ من النميمة، وأخطارها ومن إفساد العلاقات بين

---

(١) أحمد طاحون، مرشد الدعاة إلى الله ص ٢٠١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان (٢٠٤-٢٠٥).

(٣) سورة القلم، الآيات (١٠-١٢).

الناس، وبيّن لنا عليه السلام أن السعي بين الناس بالفساد يذهب بدين الساعي النمام، فقال ﷺ: "**إيّاكم وسوء ذات البين، فإنها الحالقة، لا أقول حالقة الشّعر، ولكن حالقة الدين**".

فنعوذ بالله من القيل والقال، وفتنة النمامين، الذين لا تطيب لهم المجالس إلا بإغراء العداوة بين المسلمين، أولئك شِرار الخلق عند الله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾(١).

وقد سمّى القرآن النمام بالفاسق؛ لأنه ينقل خبرًا للإفساد بين الناس، وذلك حذرنا الله منه وأوصانا أن نتثبت من صحة أقواله؛ لأن النمام لا يتورع عن اختلاق الكلام الفاسد، مما يؤدي إلى تسرع الفريق المنقول إليه الخبر إلى الإساءة إلى قوم أبرياء، ثم يصبحون نادمين بعد أن يتبين لهم أنهم كانوا على خطأ بسبب النميمة التي أشعلت الفتنة.

وإذا أتاك إنسان، فأخبرك أن فلاناً قد فعل بك كذا وكذا، وقال فيك كذا وكذا، فإنه يجب عليك ستة أشياء:

أولها: أن لا تصدقه؛ لأن النمام مردود الشهادة عند أهل الإسلام.

والثاني: أن تنهاه عن ذلك؛ لأن النهي عن المنكر واجب، وقد قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾(٢).

---

(١) سورة الحجرات، آية (٦).

(٢) سورة آل عمران، آية (١١٠).

والثالث: أن تبغضه في الله تعالى، فإنه عاص، وبغض العاصي واجب؛ لأن الله تعالى يبغضه.

والرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب الظن السوء، فإن إساءة الظن بالمسلم حرام، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

والخامس: أن لا تتجسس عن أمره، فإن الله تعالى نهى عن التجسس، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[2].

والسادس: ما لا ترضى من هذا النمام، فلا تفعله أنت، وهو أن لا تخبر أحدًا بما أتاك به هذا النمام، وبالله التوفيق.

وقيل: إن رجلاً ذكر لعمر بن عبدالعزيز رجلاً بشيء. فقال عمر: يا هذا، إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقًا، فأنت من أهل الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا[3].

---

(١) سورة الحجرات، آية (١٢).

(٢) نصر الدين محمد إبراهيم، تنبيه الغافلين ص ١٨٧-١٨٨.

(٣) الذهبي، الكبائر، رقم (٤٣).

مجالس المخدرات والمسكرات

تعد المخدرات والمسكرات سببًا لمعظم الجرائم المحيقة بالعالم اليوم، فانتشار هذا الوباء آخذٌ في الازدياد، لكثرة عدد الشباك المنصوبة للناس لاصطيادهم في مستنقع المخدرات والمسكرات، وهذا الاصطياد له عدة أسباب قد تكون عداوة في الدين، أو بسبب الكسب المادي، أو من أجل استنفاد طاقة الشاب مِن خلال ترك هذه السموم تنخر في شرايينهم.

أما حكم الإسلام في هذه السموم فهو التحريم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله عليه وسلم: "**كل شراب أسكر فهو حرام**"[٢].

وعلة تحريم الخمر الإسكار، والحكم مرتبط بالعلة، والمخدرات تقوم مقام الخمر في إذهاب عقل متعاطيها.

وقد تنبه علماء السلف إلى هذه الآفات منذ زمن بعيد.

---

(١) سورة المائدة، آية (٩٠).

(٢) رواه البخاري في الوضوء، باب: لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر، رقم (٢٣٩)، (٩٥/١).

ومسلم في الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر، رقم (٦٧/٢٠٠١)، (١٥٨٥/٣).

يقول شيخ الإسلام: "وأما الحشيشة الملعونة المسكرة: فهي بمنزلة غيرها من المسكرات، والمسكر منها حرام باتفاق العلماء، بل كل ما يزيل العقل فإنه يحرم أكله ولو لم يكن مسكرًا"[١].

إن تعاطي المخدرات والمسكرات مرض خطير أصبح يفتك ويفترس فئة عمرية هي (فئة الشباب) وهي أغلى الفئات، فلقد أكدت الدراسات أن ٧٠% من المتعاطين للمخدرات بكافة صورها من فئة الشباب (١٢-٢١سنة)، وتعتبر هذه الفئة من أكثر فئات المجتمعات حبًا للصداقة والصحبة والمجالسة[٢].

وقد جاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية:

أن ٨٦% من جميع جرائم القتل، و٥٠% من جميع جرائم الاغتصاب والعنف، و٥٠% من جميع حوادث المرور تمت تحت تأثير المسكرات[٣].

ولقد أحل الله سبحانه وتعالى لنا كل طيب ومنعنا من كل خبيث وفاسد، وعلى رأس تلك الخبائث وأكثرها فسادًا هي مشكلة هذا العصر "تعاطي المخدرات والمسكرات".

ولا يقف ضرر المخدرات والمسكرات عند حد من يتعاطاها، بل

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى ٣٤/٢٠٤.

(٢) با فارش والآنسي، مشكلات تربوية معاصرة ص ٣٠٨.

(٣) عدنان با حارث، دور الأب في تربية الطفل المسلم ص ٥٢٨.

يتجاوزه إلى أسرته وينعكس أثره بالتالي على المجتمع ككل، فيصيبه بأضرار بالغة وخطيرة، لذلك وجب على الجميع أفرادًا ومسئولين في حقل الدعوة أو التعليم، أو الصحة، أو الإعلام، أو غيرها التصدي لها بحزم، وقوة، وفعالية، وتسخير كافة الإمكانات لمحاربتها والتأسي برسول الله ﷺ حين قال: "**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"(١).

التدخين رديف المخدرات:

يعدّ التدخين من أكثر الظواهر السيئة انتشارًا في العالم، فلا توجد فئة أو طبقة من الناس إلا ويوجد بينها من يتعاطى شرب الدخان، رغم حرمة هذه العادة، وفتكها البين بصحة الإنسان، وجسده، وإصابته بالأمراض، وعلى رأسها السرطان.

فقد "أعلنت هيئة الصحة العالمية عام ١٩٧٥م أن التدخين أشد خطرًا على صحة الإنسان من أمراض السل، والجذام، والطاعون، والجدري مجتمعه"(٢).

وقد نهى النبي ﷺ: "عن كل مسكر ومفتر"(٣).

---

(١) رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... رقم (٤٩/٧٨)، (٦٩/١).

(٢) عدنان با حارث، مرجع سابق ص ٥٣٧ نقلاً عن عبدالله جار الله الجار الله، من أضرار المسكرات والمخدرات ص ٦٣.

(٣) رواه أبو داود في الأشربة، باب: النهي عن المسكر، رقم (٣٦٨٦)، (٣٢٩/٣). =

ولذلك صدرت فتاوى العلماء بحرمة تعاطيه[١].

وانتشار عادة التدخين السيئة لا تتم أبدًا إلا بالمجالسة والمحاكاة والتقليد، وقل أن تجد من يستخدم المخدرات، ولا يدخن فهذه مرتبطة بتلك، بل إن بداية الاستخدام تبدأ بالتدخين، فهناك ارتباط وثيق بين التدخين، والمسكرات، والمخدرات.

أسباب تعاطي المخدرات وانتشارها:

قامت مؤسسات الحضارة الغربية دورًا كبيرًا في انتشار المخدرات وإدمانها، مما أدى إلى انحدار الشباب إلى ذلك الواقع.

ففي السنوات الأخيرة انتشر استعمال المواد الإدمانية بين فئات المجتمع.

فبعد أن كانت المواد الإدمانية لا تتعدى أنواع قليلة ومعروفة، تعددت في الوقت الحاضر بحيث أصبحت مسألة يصعب حصرها حتى على المتخصصين.

وبعد أن كانت أعمار المدمنين تنحصر في فئات منتصف العمر تدنت مؤخرًا لتصل إلى سن الشباب فوق وتحت العشرين، وفي بعض الأحيان شملت أعمار الأطفال حول سن العاشرة، كما تشير إحصائيات

= وأحمد في المسند (٣٠٩/٦).

(١) الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٨ ص ٩٢.

الطب النفسي، وبعد أن كان الإدمان ينتشر بين الذكور بدأت تظهر حالات بين الإناث.

ومن هنا ظهرت الآثار السلبية لهذا الانتشار بحيث تنبهت المجتمعات إلى خطورة هذا الانتشار، وضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة لمكافحة المخدرات.

ومما سبق يمكن استعراض أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار وتعاطي المخدرات بمختلف أنواعها فيما يلي:

١- ضعف الوازع الديني:

إن ضعف الوازع الديني جعل من السهل على الفرد الوقوع فريسة للاضطرابات النفسية التي تؤدي إلى الانحرافات السلوكية، ومن ضمنها إدمان المخدرات.

وحيث إن المسلم لديه المعرفة لما هو حلال وحرام، ولا أعني بالمعرفة الناحية العقلية فقط، بل تلك التي تتفاعل مع حرية الإرادة والاختيار، فيكون هناك الإرادة البشرية التي تميز ما هو نافع، وتبتعد عما هو ضار، فغياب التربية الإسلامية القائمة على العقيدة الصافية، والفهم السليم بالإسلام من أهم الأسباب مؤدية إلى انتشار، وتعاطي المخدرات.

٢- مجاراة أصدقاء السوء والصحبة السيئة:

إن مجاراة أصدقاء السوء الذين يزينون للجليس استخدامها بمبررات كاذبة كقولهم أنها تنسي مستخدمها مشكلاته، أو أنها تعين على السهر

والإنتاج أو إيهامه بعلاقة الجنس بالمخدرات، مما يجعله فريسة سهلة للوقوع في حبالها.

يقول أحد الباحثين[١]:

"لقد أجريت بحثًا ميدانيا على ستين شابًا متعلمًا ممن تورطوا في تعاطي المخدرات، وترويجها، وتهريبها وثبت لي بصورة قاطعة أن سبب انزلاقهم في مهاوي المخدرات كان في الأساس جليس السوء".

٣- ضعف التربية الإسلامية:

تؤدي الأسرة دورًا هامًا في عملية التربية الإسلامية؛ فالوالدان هما العنصر الفعال في التأثير المباشر وغير المباشر على شخصية الفرد، لاسيما إذا كانت التربية في بيئة غير مستقرة، مثل الابتعاد عن الأم أو الأب أو كليهما معًا بالإضافة إلى وجود الخادمة واعتماد الأسرة عليها في تربية الأطفال وفقدان القيم والمثل العليا في المنزل جميعها عوامل مساعدة لانحراف الأطفال والمراهقين، ومن ثم الاتجاه إلى تعاطي المخدرات وربما إدمانها، فالأسرة هي خط الدفاع الأول لحماية أفرادها من كل ما يعترضهم من شرور في النواحي العقدية، والصحية، والعقلية، والنفسية، والحالية، والاجتماعية.

٤- تأثير الأطفال والشباب بأخلاقيات غير مألوفة "وافدة":

إن الإدراك العام عند الشباب لم يصل إلى المستوى الذي يؤهلهم

---

(١) اللواء جميل الميمان، تعاطي المخدرات: محاضرة ألقيت بالمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض، بتاريخ ١٤٠٥/٨/٢٨هـ، الثقافة الأمنية، الموسم الثقافي الثالث ص ٦٩.

للتفاعل مع المتغيرات الحديثة، فانفتاح المجتمعات على بعضها البعض أدى إلى الاحتكاك بثقافات مختلفة مما أدى إلى حدوث تغيرات في أنماط السلوك، وفي العادات والتقاليد، واللغات، ومن هنا ظهرت انعكاسات هذا التعامل على الشباب؛ لكونهم أكثر من غيرهم في تقبل كل جديد والتكيف معه.

٥- توفر المال:

إن النمو الاقتصادي الذي تعيشه مجتمعاتنا أدى إلى زيادة دخل الفرد، وإحداث تغيرات كبيرة وسريعة، مما أدى إلى وجود فجوة بين ما يملكه الفرد أو بعض الأفراد من ثروة وبين بنيته العقلية والثقافية، كما أدى إلى ضعف القدرة على التكيف بطريقة سليمة مع وضعه المادي الطارئ، على الرغم أن خطط التنمية تقوم على البناء المادي والفكري للأفراد.

٦- فقدان لغة الاتصال داخل الأسرة والمنظمات الاجتماعية:

يشعر الأطفال والشباب باغتراب نتيجة الضغوط الأسرية لمسايرة أشياء قد تكون غير واضحة في أذهانهم، مما يسبب سوء تكيف، قد يؤدي إلى الاحتكاك برفقاء سوء يصورون لهم الصور المثالية بطريقة خاطئة، قوامها التطلعات المادية والانجذاب الأعمى لأمراض الحضارة الغربية المادية، ومن ثم تعاطي وإدمان المخدرات، ولا تأتي المخدرات كاستعمال مباشر إلا من خلال طريق رفقاء السوء ومجالستهم.

٧- السفر إلى الخارج:

إن توفر المال وسهولة وسائل الاتصال والمواصلات ساعد الكثير من

المراهقين على السفر إلى الخارج مما أدى إلى حدوث نوع من الاضطرابات النفسية من خلال احتكاكهم بتلك المجتمعات ذات الديانة، والعادات، والتقاليد المختلفة تمام الاختلاف عما هو معروف لديهم وبالتالي اغترفوا من عادات تلك المجتمعات، وعادوا بها إلى أوطانهم الأصلية.

٨- العوامل الذاتية:

عدم الثقة بالنفس، والشعور بالعزلة، وعدم وجود الجليس الصالح، والفشل في الحياة طرق رئيسة تؤدي بالفرد إلى استخدام المخدرات.

٩- قدوم العمالة الأجنبية:

إن قدوم العمالة الأجنبية من جنسيات متعددة وجلبها للكثير من العادات والتقاليد والتي قد يكون من ضمنها التعود على تعاطي المخدرات وترويجها بين الشباب والتأثير عليهم بتعاطيها، سبب من أسباب انتشار المخدرات.

١٠- تفكك الروابط الأسرية والاجتماعية:

إن التطور المادي السريع الذي شهدته المجتمعات المعاصرة في السنوات الأخيرة أفرز بعض السلبيات والسلوكيات الاجتماعية الغربية. فقد نتج عن ذلك زيادة متطلبات الحياة مما شكل عبئاً مادياً، ونفسيًا كبيرًا على الشباب، ونتج عنه انشغال الأسرة باللهاث وراء المظاهر المادية وعدم الاهتمام الجاد بتربية الأبناء وإهمالهم.

وبالتالي فإن الأسرة فقدت الروابط الاجتماعية فيما بينها وبين أفرادها

وبينها وبين أفراد المجتمع، مما أدى إلى وجود فراغ كبير في العلاقات الاجتماعية. وقد ساعد ذلك كله على وقوع الأطفال والشباب فريسة الفراغ والتخبط بين متاهات التفكير السقيم.

١١- الجهل وتدني مستوى التعليم:

إن الجهل وتدني مستوى التعليم لدى الأسرة والأطفال والشباب عامل أدى إلى سهولة انقيادهم للمؤثرات الخارجية، على الرغم من الجهود الجبارة التي تبذل في التعليم ومحو الأمية.

١٢- وجود دوافع تهيء الفرد ليكون مدمنًا للمخدرات:

إن البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد، والتفاوت الطبقي، والحرمان المادي، وضعف الروابط الاجتماعية، بالإضافة إلى الأمراض المستعصية التي يشعر بها المريض، واعتقاده في عدم الشفاء، فيلجأ إلى المخدرات للنسيان، والتقليل من الشعور بالألم[١].

أضرار المخدرات والمسكرات الأخلاقية والاجتماعية:

١- إن مستخدم المخدرات والمسكرات يتجرد من الحياة، ويفقد كل صفة حميدة، ويكتسب كل الصفات الرذيلة، فقد يسيء إلى أهله ومحارمه وهو لا يدري، وقد يفعل أقبح الصنائع تحت تأثير المخدر والمسكر.

---

(١) عبد الله علي الأنسي وصالح سالم باقارش، مشكلات وقضايا تربوية معاصرة، ط٢، ١٤١٤هـ ص ٣٦٥-٣٧٠.

٢- يسعى مستخدمو المخدرات ومروجوها جاهدين إلى بث الفساد بين أفراد المجتمع، حتى وصل خطرهم إلى الأطفال، لعلمهم أن المجتمع المحصن المتماسك لا مكان لصاحب المخدرات فيه.

٣- يعلم بائع المخدرات أنه يؤدي عملاً غير شريف يترتب عليه جملة من العقوبات، ولهذا أصبح انتشارها بطريقة سرية وغير معروفة، ويشترك فيها الكثير من المعاونين والمساعدين، فهي خطر داهم لا تتعرف عليه إلا عين ساهرة، وقلوب واعية حريصة على مجتمعها، وعلى ما بين يديها من أبناء.

٤- يجني بائع المخدرات والمسكرات المال بصورة غير مشروعة، فيصبح فائضا في أيديهم لفترة قصيرة، ثم يصابون بالعوز فجأة، وتخلو أيديهم من المال، مما يؤدي إلى نشر العنف، والسطو، والسلب والنهب وكذلك الحال بالنسبة للمتعاطي فإن أعوزه المال واحتاج إلى المخدرات بسبب الإدمان أدى ذلك إلى السطو، والسرقة، والقتل ونحوها.

٥- إن نشاطًا واحدًا مخالفًا للشرع يفتح الطريق لنشاطات أخرى بنفس التوجه، فهناك صلة وثيقة بين المخدرات، والاتجار بها، واستخدامها، وبين أشكال الجريمة الأخرى مثل الرشوة، والتهريب، والاحتيال، والزنى، ونحو ذلك.

٦- الإنسان إذا تعاطى المخدر والمسكر هان عليه ارتكاب كافة

المنكرات الأخرى، وبذلك يشيع الفساد، وتكثر الخصومات، والمنازعات، ويتفكك المجتمع فيؤثر بعضه على بعض، فالفرد الذي يتورط في قضية مخدرات ونحوها، تتأثر أسرته، وأولاده، وبناته وتتحمل الدوائر المسئولة أعباء إضافية في أعمالها(١).

٧- يخسر المجتمع منذ الوهلة الأولى إنسانًا كان من الممكن أن يخدم مجتمعه، إلا أن تعاطيه للمخدرات والمسكرات يقطع صلته بالله عز وجل، ويعطل قدراته على التفكير المتزن فيصبح عضوًا فاسدًا في المجتمع لا يستفاد منه.

٨- يعتبر جليس السوء صاحب المخدرات والمسكرات جرثومة نشطة داخل تربة المجتمع، ويشتد خطره كلما وجد أرضية مهيئة من الجلساء تساعد على استنباته دون أن يجد من يجتثه.

٩- تأثير انتشار وتعاطي المخدرات يشمل جميع جوانب المجتمع بما فيها الجانب الاقتصادي، فأصحاب المخدرات والمسكرات أقل الأفراد إنتاجًا، والدولة تنفق الملايين من أجل المكافحة وحماية المجتمع، ولولا وجود تلك الآفات لصرف ذلك المال في مشاريع أخرى تعود على الوطن والمواطن بالنفع.

١٠- إن المخدرات والمسكرات تؤدي إلى فساد المجتمع عقديًا، وخلقيًا، وجسميًا، ونفسيًا؛ لما ينشأ عن مستخدميها من

---

(١) محمد شوكت محمد، المخدرات آثارها السلبية وسبل مواجهتها، ص٤٣-٤٤.

ضروب الفساد فتظهر الأمراض الجنسية، ويكثر السجناء، والمنحرفين، والعصاة.

وتزداد المستشفيات، والإصلاحيات؛ لمواجهة تلك الأوبئة.

جهود المملكة العربية السعودية في المكافحة:

لقد تصدت المملكة العربية السعودية للمخدرات، والمسكرات، وحاربتها بجميع الوسائل الممكنة للحد من خطورتها، وهي تعتبر ولله الحمد من أقل بلدان العالم سواء من حيث التعاطي، أو الانتشار، أو التهريب، وهذا يعود إلى التدابير الوقائية والعلاجية التي يشتمل عليها تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم ما تتمتع به الأسرة السعودية التي مازالت -ولله الحمد- قادرة على تحمل مسئولياتها، وهي بمنأى عن الأخطار التي حلت بالأسرة الغربية وذلك بسبب تحكيم شريعة الله في هذا البلد(١).

ورغم ذلك فقد اهتمت المملكة العربية السعودية بمعالجة انتشار المخدرات والقضاء عليها خاصة إن انتشارها يفرضه حال العالم اليوم، وظروف التطور الحضاري والتكنولوجي الذي تعيشه المجتمعات، والاتصال بالعالم الخارجي، وسهولة وسائله وكون كل بلد أصبح جزءًا من هذا العالم الصغير الذي أصبح يطلق عليه (القرية العالمية).

وتبذل الدولة جهودًا جبارة ومثمرة في هذا المجال تسهم فيها القطاعات الأمنية، ووسائل الإعلام، ووزارة الشئون الإسلامية والإفتاء

---

(١) باقارش والآنسي، مرجع سابق ص ٣١١.

والدعوة والإرشاد، والجامعات بالتعاون مع المختصين بالمستشفيات والسجون وغيرها.

وقد تشكلت اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات في المملكة العربية السعودية بأمر سامي في ١٤٠٥/٢/١٦هـ، وتعمل اللجنة على وضع برامج مدروسة مكثفة وخطط وقائية تهدف إلى بلورة وعي شامل بحقيقة المخدرات، ووضع الأسس لتوعية أفراد المجتمع بأخطار تلك الآفة(١).

وقد اتخذت المملكة العربية السعودية قرارات حاسمة للحد من هذا الوباء الفتاك على الرغم من أنها تعد من أقل دول العالم تضررًا بالمخدرات، إذا ما قورنت مضبوطاتها السنوية والمقبوض عليهم فيها بغيرها.

فقد صدرت فتوى هيئة كبار العلماء في عام ١٤٠٧هـ بإعدام مهرب المخدرات لما يسببه تهريب المخدرات، وإدخالها البلاد من خسائر عظيمة وأخطار بليغة على الأمة، كما قرر مجلس هيئة كبار العلماء بالنسبة لمروج المخدرات أن يعزر تعزيرًا بليغًا بالحبس، أو بالجلد، أو الغرامة المالية، أو بهما جميعًا في المرة الأولى، وإن تكرر منه ذلك فيعزر بما يقطع شره عن المجتمع ولو كان ذلك بالقتل؛ لأن هذا يعتبر من المفسدين في الأرض(٢).

طريق العلاج:

١- الإيمان بالله: فإنه العاصم من الشرور وارتكاب الآثام، وقد تهوى

(١) الحرب الفاضلة، إعداد طويق للخدمات الإعلامية ص ٨٣.

(٢) مرجع سابق، ص٧٩.

النفس ما يضرها، فلابد لها من إيمان، ويكون هو الحد الفاصل بين النفس وشهواتها.

٢- مطلوب من العلماء مواصلة السعي بالكلمة الواعظة في كل المجالات والمستويات؛ تذكيرًا وتحذيرًا من عواقب المخدرات والمسكرات في الدنيا والآخرة.

٣- جعل التربية الإسلامية هي الأساس مع تطبيق الشريعة الإسلامية لحماية المجتمع واستقراره.

٤- نشر الوعي الفكري والصحي عن مضار المخدرات والمسكرات، وما تنتجه على مستوى الفرد والمجتمع.

٥- استغلال أوقات الفراغ بالنشاط المثمر عن طريق الجمعيات والأندية وتمحيص سلوك العاملين بداخلها.

٦- تضطلع وسائل الإعلام بدور حيوي في إيصال المعلومة للناس فيمكن من خلالها وضع خطة جيدة تبين خطر هذه السموم.

٧- التفريق بين المهرب، والمروج والضحية (المستخدم)، فالمروج والمهرب أي عقوبة تنزل بهما مقبولة شرعًا ثم عرفًا، وأما الضحية فمع العقوبة أن يعالج صحيًا ونفسيًا[١].

(١) عبد الله علي الآنسي، وصالح باقارش، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

مجالس الاختلاط

من قبيل قَطَع دابر الغواية والفتنة بين النساء والرجال حظر الإسلام الاختلاط باعتباره الخطوة الأولى في المسيرة التي تنتهي إلى ما انتهت إليه المجتمعات الغربية من تهتك ومجون، وهذا الفصل بين الجنسين لم يمنع من قيام حضارة فاقت في عطائها الإنساني، كل الحضارات، وكان للمرأة المسلمة فيها دور رائد[1].

إن مجالس الاختلاط بين الرجال والنساء من أعظم أنواع الفتنة، فهي تؤدي إلى ارتكاب المحظورات فحب النساء من الشهوات التي ثبتت للرجال، وذلك لحكم عظيمة أرادها الله سبحانه وتعالى من استمرار النوع البشري، وقضاء الوطر بالطرق الصحيحة، والشعور بالسكن والمودة، وغير ذلك من الحكم.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[2].

وقد بدأ سبحانه وتعالى في الآية بذكر حب النساء قبل باقي المحبوبات وذلك لعظم الميل إليهن والرغبة فيهن[3].

---

(١) فتحي يكن، الإسلام والجنس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ ص ٨٧-٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية (١٤).

(٣) عدنان با حارث، مرجع سابق، ص ٤٦١.

ولما كانت فتنة الاختلاط بالنساء من غير المحارم عظيمة وضررهن على الرجال كبيرًا، حذر رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: "**ما تركت بعدي على أمتي فتنة أضر على الرجال من النساء**"(١).

والمرأة يجب أن تُصان وتُحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا أمرت بالحجاب.

قال ابن القيم رحمه الله: ولهذا حرم عليهم قصد إثارة الرجال عن طريق التبرج وإظهار الزينة، أو التكسر في المشية، أو الخضوع في القول، وأحرى بالتستر والاحتجاب، فإن ظهر من بعضهن نشوز وانحراف وتبرج، ورغبة في الاختلاط بالرجل وجب على ولي الأمر منعهن من ذلك بالوسائل المختلفة، حيث إن اختلاط النساء بالرجال هو أصل كل بلية ومدعاة إلى استنزال العقوبة من الله سبحانه وتعالى(٢).

يقول شيخ الإسلام: والواجب على النساء عدم إبداء الزينة، أو التبرج، والاستتار باللباس والبيوت؛ لأن ظهور النساء سبب الفتنة(٣).

ويقول ابن القيم -رحمه الله- بعد ذكره خطر الزنا: "ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جُعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج، فإن

---

(١) رواه البخاري في النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة، رقم (٤٨٠٨) (١٩٥٩/٥).
ومسلم في الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء...، رقم (٢٧٤٠/٩٧)، (٢٧٤١/٩٨) (٢٠٩٧/٤، ٢٠٩٨).

(٢) ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى ٢٩٧/١٥.

الحوادث مبدؤها من البصر، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر"[١].

إن الدعوة إلى الاختلاط بين النساء والرجال من الأمور الخطيرة على المجتمع مهما كانت المبررات، والأسباب سواء بسبب العمل، أو التعليم أو غيرها وفي الكتاب والسنة أدلة واضحة على تحريم الاختلاط، وجميع الوسائل المؤدية إليه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾[٢].

وقد نزلت هذه الآية في أمهات المؤمنين إلا أن "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وإذا كانت أمهات المؤمنين المقطوع بعفتهن وطهارتهن مأمورات بالحجاب، وعدم الظهور أمام الأجانب، فالنساء المسلمات بشكل عام مأمورات بالستر وعدم الظهور من باب أولى.

والمرأة المسلمة مأمورة بالستر، والحشمة، والعفّة، وعدم الاختلاط.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ: **"ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما"**[٤].

---

(١) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٧٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية (٥٣).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٥٩).

(٤) رواه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥)، (٤/٤٠٤).

والنسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب خلو الرجل بالمرأة، الأرقام: (٩٢١٩/١، =

وعنه ﷺ أنه قال: "**إياكم والدخول على النساء**"، فقال رجل: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟! قال: "**الحمو: الموت**"[١].

فهذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع وجازم، والذين يبيحون الاختلاط، ويبررونه بحجج واهية، فإنهم يفترون على الشرع، ويتجاهلون الفطرة، ويتجاهلون ما آلت إليه المجتمعات التي انخرطت في الاختلاط.

والإسلام قد أمرنا بغض البصر فما بالك بمجالس الاختلاط.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢].

والرسول ﷺ حتى في نظرة الفجأة أمرنا "بصرف البصر"[٣].

= ٣/٩٢٢١، ٤/٩٢٢٢، ٥/٩٢٢٣، ٦/٩٢٢٤، ٧/٩٢٢٥) (٥/٣٨٧-٣٨٩).

وأحمد في المسند (١/١٨، ١/٢٦).

(١) رواه البخاري في النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيّبة، رقم (٤٩٣٤)، (٥/٢٠٠٥).

ومسلم في السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، رقم (٢٠/٢١٧٢)، (٤/١٧١١).

(٢) سورة النور، آية (٣٠).

(٣) وهو حديث جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري.

رواه مسلم في الآداب، باب: نظر الفجأة، رقم (٤٥/٢١٥٩)، (٣/١٦٩٩).

ورواه أبو داود في النكاح، باب: ما يؤمر به من غض البصر، رقم (٢١٤٨)، (٢/٢٤٦). =

وقد طبق عليه الصلاة والسلام ذلك عمليًا مع الفضل بن عباس عندما جاءت المرأة الخثعمية تسأله، والفضل يُنظر إليها والرسول ﷺ يصرف وجهه نحو الشق الآخر محافظة على ابن عمه وحماية ثعلبة من النظرة الحرام[(١)].

يقول الإمام القرطبي: "البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه، وغضه واجب على جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله"[(٢)].

وهذا يدل بجلاء على حرمة النظر سواء الفجأة أو التمعن، ومجالس الاختلاط فيها من التمعن، والمشاهدة، والسماع، والحركة، ما يكون مدعاة للانحراف وشيوع فاحشة الزنا ما لا يعلمه إلا الله.

وللاختلاط والتبرج مضار دينية ودنيوية عديدة منها[(٣)]:

١- أنّه معصية لله ولرسوله ﷺ.

٢- أنه يعمل على نشر الفاحشة في المجتمع وبالتالي فساده.

= والترمذي في الأدب، باب: ما جاء في نظر المفاجأة، رقم (٢٧٧٦)، (٥/٩٣).
وأحمد في المسند (٤/٣٥٨)، (٤/٣٦١).

(١) رواه البخاري في الحج، باب: وجوب الحج وفضله، رقم (١٤٤٢)، (٢/٥٥١).
وانظر: الأرقام (١٧٥٥، ١٧٥٦، ٤١٣٨، ٥٨٧٤).
ورواه مسلم في الحج، باب: الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما أو للموت، رقم (١٣٣٤/٤٠٧)، (٢/٩٧٣).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٢٣.

(٣) عبد الله بن وكيل الشيخ، المرأة وكيد الأعداء، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٢٨.

٣- أنه تقليد لليهود ومن في حكمهم ممن يسعون في الأرض فسادًا.

٤- أنه قرين لضعف الأمة وهدمها وتأخرها وكثرة الجرائم بين أفراد مجتمعها، وجعلها وكرًا للرذيلة والأوبئة والأمراض وغيرها من العلل.

ولقد حرص الإسلام على عدم تواجد المرأة في أمكنة الرجال إلا في نواحي معينة وبشروط محددة:

١- أماكن العبادة فيحق لها أن تحضر الصلاة على أن يكون مكانها منفصلاً عن الرجال.

٢- أماكن العلم فيحق لها أن تحضر مجالس العلم أسوة بالرجال على أن يكون مجلسها منفصلاً، وتكون محتشمة بالزي الإسلامي.

٣- أماكن الجهاد فيحق لها الخروج على أن تكون منفصلة عن الرجال ولها مكانها الخاص(١).

الاختلاط بالخادمات:

في دراسة للمربيات الأجنبيات في البيت الخليجي وجد أن أعمار هؤلاء الخادمات لا يزدن على عشرين عامًا بنسبة ٦٨.٣٪ من عينة البحث، وأن نسبة ٤٢.٤٪ منهن لم يسبق لهن الزواج، وذلك خطر محدق بحيث يجلب إلى البيوت فتيات في هذا السن مع عدم وجود أي وازع من دين أو خلق لديهم(٢).

---

(١) سهيلة زين العابد بن حماد، مسيرة المرأة السعودية إلى أين ص ٢٩.

(٢) عدنان با حارث، مسؤولية الأب المسلم، مرجع سابق، ص ٥٥٨.

"إلى جانب التفلت الحاصل في آداب الاختلاط في بيوت كثير من المسلمين، وإمكانية اختلاء رب الأسرة بالخادمة، أو اختلاء الولد في مرحلة الطفولة المتأخرة (المراهقة) بخادمة من هذا النوع، أو ربما ناما في غرفة واحدة بعلم الأهل وبأمر منهم، فما الذي يمكن أن يحول دون أن تفترس تلك الخادمة الضائعة ذلك الولد الذي قد بدأ يتجه نحو البلوغ؟ وما الذي يمنعها أن تعبث به، فتطلعه على قضايا جنسية لا يعرفها؟ وما الذي يمنعها من ممارسة الجنس معه بطريقة من الطرق؟ ولعل أقل عمل تقوم به أمام الولد أن تخلع ملابسها أمامه، لتستبدل غيرها بها، وهو ينظر، فما الذي يمنعها من كل هذا؟"[١].

والقضية الأخرى التي لا تقل خطرًا قضية الحجاب للخادمة فقد يستهان به وكذلك الخلوة، فإن كثيراً من الأسر المسلمة لا تتقيد فيها الخادمات المسلمات بالحجاب الشرعي، ولا يهتم الأب إذا كان معها في خلوة، أو يترك أولاده خصوصًا الكبار يجلسون معها ويختطون بها وتتكشف عليهم، وذلك من الإثم، فعنه ﷺ قال: **"لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم"**[٢].

---

(١) عدنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم، مرجع سابق، ص ٥٥٨.

(٢) رواه البخاري في النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، رقم (٤٩٣٥)، (٢٠٠٥/٣). وفي الجهاد، باب: من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجّة، رقم (٢٨٤٤)، (١٠٩٤/٢).

ومسلم في الحج، باب: سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١/٤٢٤)، (٩٧٨/٢).

مجالس الغناء

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[١].

قال محمد بن الحنفية: "الزور هنا الغناء".

وقال ليث، عن مجاهد: "لا يحضرون مجالس الباطل".

واللغو في اللغة: كل ما يُلْغى ويطرح، والمعنى: لا يحضرون مجالس الباطل.

قال الزجاج: لا يجالسون أهل المعاصي ولا يمالئوهم عليها، ومرّوا مر الكرام الذين لا يرضون باللغو، إنهم يكرمون أنفسهم عن الدخول فيه والاختلاط بأهله[٢].

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله[٣]:

"الغناء والاستماع إليه حرام، ومنكر من أسباب مرض القلوب وقسوتها، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على تحريمه".

وذكروا الأدلة على تحريمه ومنها:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا

---

(١) سورة الفرقان، آية (٧٢).

(٢) ابن القيم: إغاثة اللهفان ١/٢٤١.

(٣) فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين: رسالة في صفة الصلاة على النبي ﷺ، يليها بعض الفتاوى الهامة، ط٣، ١٤٠٧هـ، ص ٢٤.

وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(١)].

قال الواحدي وغيره من المفسرين: إن لهو الحديث في الآية المقصودة به الغناء.

قاله ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد، وعكرمة، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: والله الذي لا إله غيره (هو الغناء).

والدليل من السنة قول الرسول ﷺ: "**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**"[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**يمسخ قوم من هذه الأمة من آخر الزمان قردة وخنازير**" قالوا: يا رسول الله! أليسوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: "**بلى ويصلون ويصومون ويحجون**"، قيل: فما بالهم؟ قال: "**اتخذوا المعازف، والدفوف، والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**"[(٣)].

والغناء والموسيقي من أوسع طرق الشيطان لإفساد القلوب وتخريب النفوس، يقول الإمام ابن القيم:

"ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قل نصيبه من العلم

---

(١) سورة لقمان، آية (٦، ٧).

(٢) رواه البخاري تعليقًا في كتاب الأشربة، باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، رقم (٥٢٦٨)، (٥/٢١٢٣).

(٣) ورد معناه في مسند الإمام أحمد ٥/٢٥٩.

وراجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٣٩ رقم (٩١).

والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المكاء والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذى يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا... كاد به الشيطان النفوس المبطلة، وحسنه لها مكراً منه وغروراً، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً..."[1].

وللغناء أسماء عديدة:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "والسماع الشيطانى المضادّ للسماع الرحمانى، له في الشرع بضعة عشر اسماً منها:

اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمود.

أسْمَاؤُهُ دَلّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ   تَبّاً لِذى الأَسْمَاءِ والأَوْصَافِ"[2]

وقد أوصى -رحمه الله- أن يجنب الناشيء الصغير المجالس التي تسودها المنكرات، وتتفشى فيها الضلالات؛ لأن الإنسان يولد صافي الفطرة نقي السريرة **فيقول: "يجب أن يجنب الصَّبي إذا عقل مجالس اللَّهْو، والباطل، والغناء، وسَمَاع الفُحْش، والبدع، ومنطق السوء"**[3].

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/٢٢٤.

(٢) المرجع السابق ١/٢٣٧.

(٣) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ط١، ١٣٩١هـ، =

معللاً رحمه الله إن ما علق بسمعه في أثناء الصغر لا يمكن تخليصه منه عندما يكبر، ولو أراد ذلك مربيه أو ولي أمره فيقول: "فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليه استنقاذه منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور يحتاج صاحبها إلى استجداد طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبيعة عسر جدًّا"[(١)].

وقال ابن مسعود ﷺ: "الغناء ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء الزرع، والذكر ينبت الإيمان في القلب، كما ينبت الماء الزرع"[(٢)].

خواص الغناء:

وللغناء خواص لها تأثير في صبغ القلوب بالنفاق، ونباته كنبات الزرع بالماء، فمن خواصه: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا، لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح[(٣)].

= دار البيان، دمشق، ص ٢٤٠.

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٢) عبد العزيز المحمد السلمان، موارد الظمآن ٣/٥٣٠.

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/٢٤٨-٢٤٩.

وجميع المذاهب تحرم الغناء:

فروي عن الإمام أحمد -رحمه الله- قوله: "الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني".

وروي عنه أنه سئل عن استماع القصائد[١]، فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون[٢].

وروي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه سئل عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء، فقال: إنما يفعله الفساق[٣].

وكان الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- "يجعل سماع الغناء من الذنوب"[٤].

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: "خلفت بالعراق شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه "التغبير"[٥] يشغلون به الناس عن القرآن"[٦].

ولقد فرق الإمام ابن القيم بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وعدّ الذين يستمعون إلى الغناء من أولياء الشيطان، فهو يقول: "فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم، المحكمون لرسوله في الحرم والحل، الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها، فلا يبتدعون، ولا يدعون إلى بدعة، ولا

---

(١) بعض القصائد المغناة في الغزل والوجد ونحوه.

(٢) ابن الجوزي، تلبيس إبليس ص ٢٥٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٥) التغبير: الغناء.

(٦) ابن الجوزي، المرجع السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.

يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه، ولا يتخذون دينهم لهوًا ولعبًا، ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن، ولا يؤثرون صحبة الأفتان على مرضاة الرحمن، ولا المعازف والمثاني على السبع المثاني:

برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض مورد للضنا

وكم قلت يا قوم انتم على ... شفا جرف من سماع الغنا

فلما استهانوا بتنبيهنا ... تركنا غويا وما قد جنا

وهل يستجيب لداعي الهدى ... غوي أصار الغنا ديدنا

فعشنا على ملة المصطفى ... وماتوا على تأتنا تنتنا"

ويقول -رحمه الله-: "فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني، ومؤذن الشيطان، وإخوان الشياطين من الشرك، والبدع، والفجور، علمت أنه من أولياءه"[1].

والطائفة التي لا ترى في الغناء بأسًا، مخالفة لجماعة المسلمين؛ لأنهم جعلوا الغناء دينًا وطاعة، ورأوا إعلانه في المساجد، والجوامع، وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، وليس في الأمة من رأى هذا الرأي[2].

ويقول رحمه الله: "ومن أعظم المنكرات: تمكينهم من إقامة هذا الشعار الملعون هو وأهله في المسجد الأقصى، عشية عرفة".

ثم يضيف: "ويقيمونه أيضاً في مسجد الخيف أيام منى، وقد

---

(١) ابن القيم، الروح، ص٢٦٥.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/ ٢٣٠.

أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً، ورأيتهم يقيمون بالمسجد الحرام نفسه والناس في الطواف، فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم، ورأيتهم يقيمون بعرفات، والناس في الدعاء، والتضرع، والابتهال والضجيج إلى الله، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء، فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسق يقدح في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني"[١].

---

(١) ابن القيم، المرجع السابق ١/٢٣١.

الفصل الخامس: إمكانية التغيير من الجليس السوء إلى الجليس الصالح

- تغيير الإسلام للمجتمع الجاهلي.
- آيات التغيير في القرآن الكريم.
- عبر التغيير في القرآن الكريم.
- التغيير في بنية المجتمع.
- التغيير بمغادرة المكان.
- التوبة أصدق مظاهر التغيير.

تمهيد:

إن الحياة الإنسانية لا تدوم على حال من الأحوال، ولا تستقر على وضع من الأوضاع، بل هي في تغيير مستمر، وتحول دائم، فقد انطلقت من أوضاع بسيطة إلى أخرى معقدة، ومن أنماط حياتية رتيبة، إلى أخرى أشد حركة، وأكثر نماء وأدق تشابكًا، حتى إن الإيمان في قلوب المؤمنين يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالتغيير لا يطرأ بصورة عشوائية وبدون أسباب موضوعية، وإنما مرتبط بما تعقد عليه النيات، وما يؤدي من أعمال، فإذا كان الناس في حالة من القوة والنجاح كان ذلك بسبب ما يكونون عليه من استقامة في السلوك، والعلاقات والمعاملات مع خالقهم أولاً، ثم مع إخوانهم من بني البشر ثانيًا، ولا تتبدل حالهم من الملائم إلى غير الملائم إذا حادوا عن الطريق الذي يسيرون عليه، وعدلوا عن أسباب عزتهم، وإذا كانوا ضعافًا يعانون الذل والهوان والتمزق، كان ذلك بسبب ما أحدثوا في الدين من انحراف وإهمال ولا يمكن أن تتبدل حالهم من الضراء إلى السراء إلا إذا عدلوا عما هم فيه، وانتهجوا طريق الإصلاح(١).

تغيير الإسلام للمجتمع الجاهلي:

إن رسالة النبي الأمين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قد جاءت لتغيير حياة الناس بشكل سريع لم تعرفه المجتمعات البشرية من قبل، فلقد انتقل المجتمع الجاهلي من عادات وتقاليد وقيم ومعايير، لا أساس لها إلا الكفر، والشرك، والإلحاد إلى قيم، وعادات، ومعايير

---

(١) د. محمد التوني، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ص ٣٦٦.

وتقاليد، أساسها وحدانية الله سبحانه وتعالى وعبادته، واتباع ما جاء به النبي ﷺ، فأصبح المجتمع طاهرًا نقيًا، لم تعرف له البشرية مثيلاً من قبل.

مجتمع بشري جديد تمامًا، يتعامل أفراده على أساس جديد، يختلف عن كل ما سبقه، ولم يحدث عبر سني التاريخ أن لحقه مجتمع آخر في قيمه وعاداته، ومعاييره وتقاليده.

مجتمع يحب الفرد فيه لأخيه ما يحبه لنفسه، بل ويؤثره عليها، مجتمع يتآخي فيه المسلمون من مهاجرين وأنصار، حتى لينزل الرجل منهم لأخيه عن أخص خصوصياته.

مجتمع يحرص كل فرد فيه على تنفيذ تعاليم الإسلام بحذافيرها، وعلى حب رسولهم... أكثر من أنفسهم، ولا يبيت فرد منهم وفي نفسه من أخيه شيء.

مجتمع تقي يخطئ بعض الرجال فيه فيعترفون بأخطائهم للرسول الكريم، فيطلب من أصحابه مقاطعتهم، فيطيعونه... وتضيق الأرض على المخطئين.. بل تضيق عليهم أنفسهم، من شدة المقاطعة، وعذاب العزلة الاجتماعية، ويعفو عنهم القوي القاهر من فوق سبع سموات.

مجتمع تقي تخطئ فيه المرأة، فتذهب لسيد الخلق أجمعين، تعترف بذنبها، فيراجعها رسول الرحمة عساها لم تمض في الشوط إلى نهايته، فتصر على الصدق... والصدق كاملاً، ويراجعها النبي ثانية...، وثالثة...؛ عساها تتزحزح، ولكن الإيمان ذا الجذور العميقة والقوية يمنعها من الكذب.. فلتفكر عن خطئها.. ولو بحياتها.. ويتم التنفيذ بأيدي المؤمنين.

أية تربية هذه؟ وأي إيمان أديا إلى انصهار الفرد العربي في بوتقة هذا الإسلام العظيم؟ أي تغيير هذا الذي أصاب ذاك الإنسان لينقلب في سنوات قليلة إلى بشر من نوع جديد، يأتي الثناء عليه من رب العباد... من فوق سبع سموات ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

وكان حتمًا أن يتغير العالم.. من حولهم... بعد أن تغيروا في داخلهم.

وتحولت شبه الجزيرة العربية إلى بيئة مصدّرة للخير في كل اتجاه.

وكان هذا التغيير إيذانًا بدخول العرب، ومن أسلم بعدهم من الشعوب من حولهم إلى التاريخ البشري، صناعًا لحضارة جديدة، وروادًا لآفاقها، بفضل تطبيق هذا الدين الذي دفعهم إلى العلم والعمل وبذل الجهد، حتى دانت لهم إمبراطوريات كبرى كانت عزيزة على مر الزمان[٢].

آيات التغيير في القرآن الكريم:

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي اتخذت من واقع الناس موضوعًا، وغاية، وأحدثت فيه بنقدها وتوجيهها، وإلزامها تغيرًا هائلاً لم يعرف التاريخ سبقًا له، حيث شملت كل ما يحتاج إليه المجتمع من قواعد عامة نافعة لأفراده، وظواهره، ونظمه؛ ولذلك كان لها موقف معيّن يتمثل في

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٠).

(٢) د. محمد عبدالعليم مرسي، التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص ٣٣-٣٥.

جملة من القواعد والمبادئ في هذا التغيّر الذي يحدث –دومًا– في الحياة الاجتماعية.

ومن أبرز ما أورده في القرآن –في هذا الشأن– قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[2].

إن الآيتين تضمنتا تقريرًا لسنة ثابتة، إذ أنهما أبانتا ما يعتري حياة الناس الخاصة والعامة وما ينتابها من ظروف ملائمة، أو غير ملائمة لا يطرأ عشوائيًا، وبدون أسباب موضوعية، وإنما هو مرتبط بما يحدث الناس داخل أنفسهم من عزم إرادي، ومنوط بما يسلكون من أعمال هي في مقدورهم، ومتعلق بالتزامات هي في متناولهم، فإذا كانوا في حالة من القوة والنجاح، كان ذلك بسبب ما يكونون عليه من استقامة في العقيدة والشريعة، والسلوك، والمجالسة، والعلاقات، فلا تتبدل حالهم من الملائم إلى غير الملائم إلا إذا حادوا عن الطريق الذي يسيرون فيه، وعدلوا بصفة نظرية، وعملية عن أسباب عزتهم، وإذا كانوا ضعافًا يقاسون الويل، والذل، والفقر، ويعانون الفوضى والانحلال، والتمزق، كان ذلك بسبب ما أحدثوا من انحراف وإهمال ومجالس سوء فلا تتبدل حالهم من السلب إلى الإيجاب، ومن الضرّاء إلى السراء إلا إذا عدلوا

---

(١) سورة الأنفال، آية (٥٣).

(٢) سورة الرعد، آية (١١).

عما هم فيه، وانتهجوا طريق الإصلاح، ومجالس الصلاح، وعزموا بكل جد على أن يستبدلوا الرديء بالجيد، والفساد بالصلاح[١].

ثم إذا استعرضنا أحوال النشأة الإسلامية، ونظرنا إلى المراحل التطورية التي قطعتها، لاحظنا أنها تحولت من ضعف، وذلة في مكة إلى قوة وعزة في المدينة، وأنها انتقلت فيما بعد إلى قوة تقتحم الأرض، وتفتح البلدان، وتنشر الحق، والأمن، والسلام. فهل كانت مجالس أولئك القوم مجالس صلاح، أو مجالس سوء؟ وللقارئ الإجابة.

فالتغير في أحوال الناس تحقق للأمة الإسلامية في عصرها الأول، فتحرروا من الآفاق الضيقة والروابط الواهية، إلى حوزة الإسلام الواسعة، فحيث جمعهم في دولة واحدة، وأصبحوا عبادًا لله إخوانا متحابين، متضامنين صفًا واحدًا، وجسمًا واحدًا، يكمل بعضهم بعضًا حتى كانوا بحقٍّ خير أمة أخرجت للناس.

إن هذا التغيير قد نوّه القرآن الكريم به، وعدّه تحوّلاً عظيمًا من السلب إلى الإيجاب، ومن الذلة إلى العزة وعدّه بأن يكون مدعاة للشكر والاعتراف، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

إن تغيير ما بالنفس، الذي بدأ بمكة وانتهى بالمدينة، حوّل العربي من

---

(١) محمد التومي، مرجع سابق (ص٣٧٦).

(٢) سورة الأنفال، آية (٢٦).

وحل الوثنية إلى صفاء التوحيد، ومن القوة إلى الشرع، ومن الخوف إلى الأمان، ومن الثأر إلى القصاص، ومن القبلية إلى الأمة، ومن الإباحية إلى الطهر، ومن مجالس الخمر إلى مجالس الذكر والقرآن. ومن هنا كانت طلبة هؤلاء غير طلبة أولئك.

إن حضارة الإسلام المعتدّ بها هي صورة التغيير التي تولدت من حرارة إيمان المسلمين في الأجيال الأولى فمكّنتهم من أن يخرجوا من المحيط الإقليمي إلى المحيط العالمي وأن يبدعوا في كافة العلوم بداعٍ من إيمانهم وعظمته، فطلبوا المعارف، ونالوها، وجمعوا بين أطرافها، وهضموها، وصنفوها، وتحكموا فيها، فتطورت على أيديهم، وتواصلت، وتأصل ما بينها وبين دينهم، فانطبعت بشخصيتهم، وتأثرت بها أوضاعهم ومجالسهم ومجتمعاتهم وبالتالي المجتمعات الأخرى من حولهم(١).

عبر التغيير في القرآن الكريم:

لقد بين القرآن الكريم أن بعض الأقوام قد حلّ بهم ما حلّ من عذاب؛ لأنهم رفضوا أن يغيروا من الشر الذي هم فيه إلى الخير الذي تعرضه عليهم دعوات أنبيائهم التي كانت تستهدف القضاء على الفساد والعبث، فأصروا على الانحراف وأبوا التزحزح عما هم عليه من عقيدة ضالة، ومجالس اجتماعية منحرفة غير مؤهلة للبقاء والاستمرار، وامتنعوا عن النظر والتدبر، واستخدام ما وهبهم الله من ملكات وحواس، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ

(١) محمد التومي، مرجع سابق. ص (٣٩٦).

إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾[1].

ولم يكتف القرآن بذكر من أبوا التغيير من الشر إلى الخير بل حدثنا عمن غيروا ما بأنفسهم، وتحولوا من الذي هو أدنى إلى الذي هو خير؛ إذ تعرضت قصة موسى إلى موقف السحرة الذين أقدموا يوم الزينة، ولا هم لهم سوى التغلب على موسى، بقصد الحصول على الأموال، واكتساب الجاه لدى فرعون، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[2]، ولكن ما إن رأوا الحق وعرفوه حتى انقلب أصحاب الصنف مؤمنين غير عابئين بما قد جاؤوا لأجله، ولم يزدهم تهديد فرعون إلا تمسكًا بموقفهم الجديد: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[3]، ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[4].[5].

---

(١) سورة الأحقاف، آية (٢٦).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان (١١٣-١١٤).

(٣) سورة الأعراف، الآيتان (١٢٥-١٢٦).

(٤) سورة طه، الآيتان (٧٢-٧٣).

(٥) محمد التومي، مرجع سابق (ص٣٧١-٣٧٢).

التغيير في بنية المجتمع:

من الحقائق الثابتة أن الظواهر الاجتماعية التي تسود المجتمعات تنقسم إلى نوعين رئيسين:

النوع الأول: الظواهر التي يغلب عليها طابع الثبات والاستقرار، ولو انحرفت عنها طائفة أبقت عليها طائفة أخرى كأمور العقيدة والعادات والتقاليد.

النوع الثاني: الظواهر التي يغلب عليها طابع التغيير، والتبدل، والحركة، وتلك تمثل تيارات داخل المجتمع نفسه، أعضاؤها أفراده تحاول أن تغير من أوضاعه الراهنة إلى نواحي الخير والصلاح فتهذبها، وتوجهها الوجهة السليمة، أو تكون تلك التيارات بدافع دعم الشر والفساد وإبرازه، ولكل تيار أنصار وأتباع يستخدمون كافة الوسائل؛ لنشر ما يطمحون إليه كل بحسبه مستخدمين في ذلك الإعلام، والمدارس، والجامعات، والجمعيات، والأندية الرياضية إلى آخر القائمة.

وعندما نقسم الجلساء إلى جليس صالح وآخر سوء فإن كل واحد منهما يدعو إلى شاكلته، ومن خلال مجالسة كل واحد منهما يكون التأثير وانتشار الأتباع.

والتغيير لا يكون إلا بأثر والأثر عندما يكون من وسيلة اتصال فردي كالحديث والمجالسة يكون أكثر قبولاً، مع عدم إغفال أثر وسائل الإعلام، وغيرها من وسائل الاتصال الجماهيري في التأثير.

وقد شمل الدين الإسلامي كافة احتياجات الإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية وحث على اكتساب الجليس الصالح، والسلوك المحمود، وكبح نوازع الشرّ، وتغييرها إلى نواحي الصلاح.

والناس في إمكانية تغيير سلوكهم على أربع مراتب:

الأولى: الإنسان الذي لا يعرف الحق من الباطل، ولا الجميل من القبيح، وهو أقل الأقسام للعلاج، فلا يحتاج إلا إلى مرشد يرشده، وباعث يحمله على الاتباع.

الثانية: أن يكون قد عرف القبيح، ولكنه لم يتعود العمل الصالح، بل زين له جليسه السيئ الانقياد إلى الشهوات، فأعرض عن مجالس الصلاح، وأمره أصعب من الأول؛ إذ تضاعفت علته، فليزم قلع ما رسخ فيه من تعود الفساد أولا، وصرف الناس إلى ضده ثانيًا.

الثالثة: أن يعتقد أن القبيح حق وجميل، وهذا لا يرجى صلاحه إلا أن يشاء الله؛ إذ تضاعفت عليه أسباب الضلال.

الرابعة: أن ينشأ على اعتقاد فاسد، وقد تربى على العمل به، ومجالسة أهله، ويرى فضله في كثرة الشر، ويتباهى بفساده، ويراه مما يرفع قدره، وإصلاحه أصعب من تهذيب طبع الذئب.

ويقال للأول جاهل، وللثاني جاهل وضال، وللثالث جاهل وضال وفاسق، وللرابع جاهل وضال وفاسق وشرير[1].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين ٣/٥٧.

ومادام انحراف الأفراد ممكنًا، وصلاحهم ممكنًا، فالمسؤولية التي على عاتق المربين عظيمة، وبتقصيرهم ينحرف الجيل، وينهار المجتمع، وعندما يتحملون مسئولياتهم تضمن الأمة كل أسباب الفلاح، والنهوض والتقدم، والسلام والبقاء[١].

التغيير بمغادرة المكان:

ومن أسباب الإقلاع والابتعاد عن مجالس السوء مغادرة المدينة، أو البلدة التي فيها مجالس السوء، والضرب في الأرض، وطلب مواقع الصلاح، فقد ورد في الحديث الشريف.

"كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال له: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقال ملائكة الرحمة: "جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله"، وقالت

---

(١) أبو حامد الغزالي، كتاب آداب المعاشرة مع أضعاف الخلق، دراسة وتحقيق، د. محمد سعود المعيني، مطبعة العاني، بغداد ص٨٢-٨٣.

ملائكة العذاب: "إنه لم يعمل خيرًا قط". فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم. فقال: "قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهم أدنى فهو له". فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"[١].

التوبة أصدق مظاهر التغيير:

إن الذنوب حجاب عن الله والانصراف عن كل ما يبعد عن الله واجب، ولما كانت التوبة تتمثل في الندم على ما فات والعزم على الكف، والرغبة في الإصلاح، والإنابة، وتلافي ما يمكن أن يكون قد سببه التائب من أضرار مادية ومعنوية مما يتعلق بحقوق الناس أفرادًا وجماعات، كانت وجها من أوجه التغيير من الشر إلى الخير، فإن كانت المعصية بين العبد وبين ربه تعالى لا تتعلق بحق آدميين فلها ثلاث شروط:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- الندم على فعلها.

٣- العزم على أن لا يعود إلى المعصية أبدًا.

فإن فقد أحد الشروط الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة، الثلاثة الشروط المذكورة، والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالاً أو نحوه، رده إليه وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم (٣٢٨٣) (٣/١٢٨٠).
مسلم في التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم (٤٦/٢٧٦٦) (٤/٢١١٨).

منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها(١).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتوبة وبين ما للتائبين من الكرامة والأجر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

وأخبر سبحانه أنه يحب التوابين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾(٥).

وقال النبي ﷺ: "يا أيها الناس توبوا إلى الله، واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة"(٦).

---

(١) عبد العزيز السلمان، المناهل الحسان، مرجع سابق ص ١٠-١١.

(٢) سورة التحريم، آية (٨).

(٣) سورة آل عمران، آية (١٣٥-١٣٦).

(٤) سورة النور، آية (٣١).

(٥) سورة البقرة، آية (٢٢٢).

(٦) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٠٢/٤٢) (٢٠٧٥/٤).

أحمد في المسند (٢١١/٤، ٢٦٠).

وقال ﷺ: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"[١].

وقال ﷺ: "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح"[٢].

وقال ﷺ: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[٣].

والأحاديث في هذا كثيرة جدًا، والإجماع منعقد على وجوب التوبة لأمر الله ورسوله بها؛ ولأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله، فيجب الهرب منها، ومن أهلها، وعدم مجالستهم إلا لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن منكرهم.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم (٥٩٤٨)، (٢٣٢٤/٥).

الترمذي في تفسير القرآن، باب (٤٨)، ومن سورة محمد ﷺ، رقم (٣٢٥٩)، (٣٥٧/٥).

ابن ماجه في الأدب، باب الاستغفار، رقم (٣٨١٦) (١٢٥٤/٢).

أحمد في المسند (٢٨٢/٢).

(٢) رواه مسلم في التوبة، باب: الحض على التوبة والفرح بها، رقم (٢٧٤٧/٧).

(٣) رواه مسلم في التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب...، رقم (٢٧٥٩/٣١)، (٢١١٣/٥).

أحمد في المسند (٣٩٥/٤، ٤٠٤).

ومن المعوقات الضارة التسويف بالتوبة، فلا يترك بعض المجالس مع أنه في نفسه شيء منها فمن أين يعلم الإنسان أنه يبقى إلى أن يتوب؟ فتارك المبادرة بالتوبة بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير طبعًا له، وثانيهما أن يعاجله المرض، فلا يجد مهلة للاشتغال بمحو ما وقع من الظلمة في القلب فيأتي ربه بقلب غير سليم، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم.

ويجب على الإنسان أن لا يمتنع من التوبة خشية الوقوع في ذنب مرة أخرى، فإن هذا ظن يدخله الشيطان في قلبه؛ ليؤخر التوبة، ولربما يقول في نفسه سأستمر في مجالسة أهل المعاصي ومجاراتهم أيام شبابي وصحتي، ثم أتوب بعد ذلك، وهكذا يسوف ويؤخر، وإذا بالموت أو المرض يفاجأه، فلا يجد متسعًا للتوبة والرجوع إلى الله، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وقد قال العلماء ما مثال المسوف بالتوبة إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازدادت قوة لرسوخها، وكلما طال عمره ازداد ضعفه، فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذا عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف، وهو في نفسه وقوي الضعيف[١].

---

(١) عبد العزيز المحمد السلمان، المناهل الحسان في دروس رمضان، ط٢، ١٣٨٩هـ، ص ١٠، ١١، ١٣.

الخاتمة

لا شكّ أنّه لا يصلح للصحبة أي أنسان، فلا بد أن يمتاز الصديق، أو الجليس بصفات حسنة ترغب في صحبته، وتحث على مجالسته فصاحب الخصال الحميدة والسلوك المستقيم محمود العمل في الدنيا والآخرة.

والله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، فقد خلق الجنة وأخلصها للطيبين وحرمها على غيرهم وجمع فيها كل طيب، وخلق النار وأخلصها للخبثاء ولا يدخلها غيرهم وجمع فيها كل خبيث، وجعل أهل هذين الدارين أولاً معاً في الدار الدنيا، فوقع الكثير من الابتلاء والامتحان؛ بسبب هذا الاجتماع والاختلاط.

وقد جعل سبحانه وتعالى الدار الدنيا دار تكليف فبعث إلى الناس الرسل؛ لبيان ما كلفوا به من الأعمال والأقوال، واجتناب ما يضاد ذلك، وأمرهم بجهاد الأعداء الذين ارتضوا طريق الضلال، فقامت الحروب بينهم وبين الرسل، وكذا بين أتباعهم وورثتهم في هذه الدار، فإذا كان اليوم الموعود ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في جنات النعيم لا يخالطهم غيرهم، والخبيث في نار جنهم، فينعم أهل الجنة بطيبهم، ويتعذب أهل السوء بخبثهم.

وإذا تلاقت الوجوه في الحياة الدنيا ائتلفت، واختلفت بحسب ما هي عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار، والأشرار إلى الأشرار.

وقد كان في أثناء هذا البحث صفات لمجالس الأخيار وثمارها،

وصفات لمجالس الأشرار وثمارها.

ولم يغفل البحث في فصله الثاني أول أبواب التعارف في الحياة الدنيا حيث يولد الإنسان على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجّسانه، ثم يلتقي بأقرانه، وجيرانه، وأترابه، ثم لا يلبث أن يتأثر بالمؤسسات الاجتماعية المحيطة به من مدارس، وجمعيات، ووسائل إعلام مما له أثر مباشر في تكوين نموذج الصديق في ذهنه، ولم أكتف بإيراد نموذجي مجالس الصلاح والسوء، بل تطرق البحث إلى إمكانية التغيير على ضوء الإسلام.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١- **القرآن الكريم.**

٢- **ابن القيم:**

تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، ط١، ١٣٩١هـ، دار البيان، دمشق.

٣- **ابن القيم:**

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تصحيح وتعليق، محمد عبد الوهاب، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ١٩٧٧م.

٤- **ابن القيم:**

مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- **ابن القيم:**

زاد المعاد، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، دون تاريخ.

٦- **ابن القيم:**

مفتاح السعادة ومصباح الريادة، ط٢، دار الكتب الدينية، مصر، دون تاريخ.

٧- **ابن القيم:**

الروح، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- **ابن القيم:**

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨١هـ.

٩- **ابن القيم:**

الطب النبوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠- **ابن القيم:**

الفوائد، تخريج وحواشي/ أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١١- **ابن القيم:**

صفات المنافقين، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٢- **ابن القيم:**

الوابل الصيب من الكلم الطيب، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع.

١٣- **ابن القيم:**

طب القلوب، جمع وترتيب د. عجيل النشمي، دار الدعوة، الكويت، ١٤١٠هـ.

١٤- **ابن القيم:**

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٥- **الشيخ أبو بكر الجزائري:**

إلى التصوف يا عباد الله، دار البخاري، ١٤٠٤هـ.

١٦- **د. إبراهيم عامر الرحيلي:**

موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

١٧- **أبو الحسين البغوي:**

شرح السنة، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.

١٨- **ابن بطة:**

الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (الإبانة الكبرى)، تحقيق/ رضا نعسان، دار الراية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٩- **أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري:**

أدب النفوس، تحقيق/ أبي موسى عبدالعزيز بن محمد المكي، ط١، ١٤١٢هـ، مكتبة لينة، مصر.

٢٠- **ابن تيمية:**

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مطابع المجد، الرياض، ١٣٩٥هـ.

٢١- **ابن تيمية:**

درء تعارض العقل والنقل، تحقيق/ محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٢- **ابن تيمية:**

الفتاوى، جمع وترتيب/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بإشراف/ الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

٢٣- **ابن تيمية:**

الحسنة والسيئة، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٢٤- **ابن تيمية:**

خمس رسائل ضمن كتاب الجامع الفريد.

٢٥- **ابن تيمية:**

إشادة لطيفة، جمعها وقدم لها/ محمد العبدة، دون تاريخ.

٢٦- **ابن تيمية:**

العبودية، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧- **ابن تيمية:**

منهاج السنة النبوية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٦هـ.

٢٨- **ابن الجوزي البغدادي:**

تلبيس إبليس، دار المدني للطباعة والنشر، مطبعة دار المدني.

٢٩- **ابن الجوزي:**

صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٠- **أبو حامد الغزالي:**

إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

٣١- **أبو حامد الغزالي:**

كتاب آداب المعاشرة مع أصناف الخلق، دراسة وتحقيق د محمد سعود المعيني، مطبعة المدني، بغداد.

٣٢- **أبو حامد الغزالي:**

بداية النهاية ملحق بكتاب منهاج العابدين، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مصر، ١٩٧٢م.

٣٣- **الخطيب البغدادي:**

الفقيه والمتفقه، دار الكتب العلمية.

٣٤- **ابن رجب الحنبلي:**

ذيل طبقات الحنابلة، تصحيح ومراجعة/ طه يوسف، دار الزهراء، مصر.

٣٥- **أبو سليمان الخطابي:**

معالم السنن، تصحيح محمد راغب، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ.

٣٦- **أبو طالب المكي:**

قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م.

٣٧- **الشاطبي**:

الموافقات في أصول الأحكام، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

٣٨- **اللالكائي**:

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق/ أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، الرياض.

٣٩- **الماوردي**:

أدب الدنيا والدين، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠-**ابن عبد البر**:

أدب المجالسة، تحقيق: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤١- **ابن عبد البر**:

جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب الإسلامية، توفيق عفيفي عامر، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

٤٢- **أبو عبد الرحمن السلمي**:

آداب الصحبة، حققه وعلق عليه/ مجدي فتحي السيد، دار الصحافة للتراث بطنطا، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٣- **ابن كثير**:

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

٤٤- **ابن كثير**:

تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٤٥- **أبو عبدالله القرطبي**:

الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

٤٦- **أبو نعيم الأصبهاني**:

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٧- **أبو نعيم الأصبهاني**:

صفة النفاق ونعت المنافقين، تقديم وتحقيق: الدكتور عامر حسن صبر، البشائر الإسلامية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٨- **ابن منظور**:

لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٩- **البغوي**:

تفسير البغوي (معالم التنزيل) تحقيق/ خالد عبدالرحمن العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ،

٥٠- **الجرجاني**:

التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٥١- **السعدي:**

تفسير الكريم الرحمن، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٥٢- **صحيح البخاري:**

للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم د. مصطفى ديب البغا، نشر و توزيع دار ابن كثير، دمشق، بيروت، اليمامة، دمشق بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٥٣- **صحيح مسلم:**

للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترقيم وتصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٥٤- **سنن ابن أبي داود:**

للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق/ محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

٥٥- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح):**

للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح/ أحمد شاكر، دار الفكر، بدون تاريخ.

٥٦- **سنن النسائي:**

للإمام أحمد بن شعيب النسائي، ومعه شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار الريان للتراث،

مصر، بدون تاريخ.

٥٧- **السنن الكبرى:**

للإمام أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق/ د . عبدالغفار سليمان البغدادي، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩١م.

٥٨- **سنن ابن ماجه:**

للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم وتعليق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٥٩- **مسند الإمام أحمد:**

للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠- **سنن الدارمي:**

للإمام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق/ فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٦١- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث:**

للإمام الحافظ علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق ودراسة د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة

والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٦٢- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس:**

للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تصحيح وتعليق أحمد القلاش، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي، حلب، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٣- **الإمام النووي:**

المنتقى المختار من كتاب الأذكار، ترتيب محمد علي الصابوني، دار القلم، سوريا، ط١، ١٤٠٩هـ.

٦٤- **الشيخ عبدالعزيز بن باز:**

العقيدة الصحيحة وما يضادها، مكتبة ابن باز، القاهرة.

٦٥- **الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد صالح العثيمين:**

رسالة في صفة الصلاة على النبي يليها بعض الفتاوى الهامة، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦٦- **محمد سليمان التميمي:**

أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربعة، الجامعة الإسلامية، مركز شؤون الدعوة.

٦٧- **الشيخ محمد صالح العثيمين:**

شرح لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤،

١٤٠٩هـ.

٦٨- **محمد فؤاد عبدالباقي:**

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، مصر، ١٤٠٧هـ.

٦٩- **محمد بن علي الشوكاني:**

فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٠- **محمد السفاريني الحنبلي:**

غذاء الألباب، مطبعة الحكومة، مكة، ١٣٩٣هـ.

٧١- **محمد بن حبان البستي:**

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق وتصحيح/ محمد محي الدين عبدالحميد، ١٣٦٨هـ، مطبعة السنة المحمدية.

٧٢- **نصر السمرقندي:**

تنبيه الغافلين، تحقيق/ عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الشروق، جدة، بدون تاريخ.

٧٣- **أبو الحسن علي الندوي:**

الأركان الأربعة، دار القلم، الكويت.

٧٤- **أبو الحسن علي الندوي:**

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط١٠، مطابع مصر، ١٣٩٤هـ.

ثانياً: المراجع:

٧٥- د. أحمد محمد يحيى المقري:

تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٩هـ.

٧٦- د. أحمد شلبي:

تاريخ التربية، دار المعرفة ١٩٧٨م.

٧٧- أحمد طاحون:

مرشد الدعاة إلى الله، "دراسة وتطبيق" بدون تاريخ.

٧٨- أحمد فريد:

تزكية النفس، دار البخاري، بريدة، ١٤١٤هـ.

٧٩- البهي الخولي:

آدم عليه السلام، ط٣، مكتبة وهبة، مصر ١٩٧٤م.

٨٠- الحرب الفاضلة:

إعداد طويق للخدمات الإعلامية، الرياض.

٨١- إلياس ديب:

عالم الولد، دار الفكر اللبناني، ط١٩٨٦م.

٨٢- جاسم بن محمد المطوع:

الوقت عمار أم دمار، دار الدعوة، الكويت.

٨٣- جميل الميمان:

تعاطي المخدرات، محاضرة ألقيت بالمركز العربي للدراسات

الأمنية بالرياض، بتاريخ ٢٨/٨/١٤١٧هـ، "الثقافة الأمنية"، الموسم الثقافي الثالث.

٨٤- **د. حامد عبدالسلام زهران:**

علم النفس الاجتماعي، ط٤، ١٩٧٧م.

٨٥- **حسين بن عودة العوايشة:**

التواضع ومنزلته في الدين، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

٨٦- **حسين العوايشة:**

حصاد الألسن، دار عمار، الأردن، بدون تاريخ.

٨٧- **حمدي عبيد:**

من عيون الأخبار، بيروت، لبنان، ط١٣٧٦هـ.

٨٨- **د. رفعت فوزي:**

العبادات، ط١، ١٩٧٩م، مكتبة الخانجي، مصر.

٨٩- **سعيد القحطاني:**

آفات اللسان في ضوء الكتاب والسُّنَّة، مطبعة سفير، الرياض، ط٩، ١٤٣١هـ.

٩٠- **صالح آل فوزان:**

الخطب المنبرية، مؤسسة الرسالة، الكويت، بيروت، ط٢.

٩١- **صالح بن علي أبو عواد الشهري:**

الآداب النبوية التربوية، مكتبة أبها الحديثة.

٩٢- **عبد الله الجار الله:**

الغيبة ومضارها، دار الصحوة للنشر، ط١،١٤١٣هـ.

٩٣- **عبد الله بن جار الله:**

الجليس الصالح، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢هـ.

٩٤- **د. عبد الله بن وكيل الشيخ:**

المرأة وكيد الأعداء، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٩٥- **د. عبد الله عبدالرحيم العبادي:**

من الآداب والأخلاق الإسلامية، المكتبة العصرية، بيروت.

٩٦- **د. عبد الله أحمد قادري:**

أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩هـ.

٩٧- **عبد الحميد الصيد الزنتاني:**

أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٩٨٤م.

٩٨- **د. عبد الحميد الهاشمي:**

لمحات نفسية في القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق، ١٤٠٢هـ، العدد١١.

٩٩- **عبد الرحمن الدوسري:**

تربية الإسلام وادعاءات التحرر، دون تاريخ.

١٠٠- **عبد الرحمن بن محمد المعتاز:**

الإنسان ذلك المخلوق العجيب، الناشر مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠١- **عبد العزيز بن عبدالله الراجحي:**

أربع رسائل، مطبعة سفير، الرياض.

١٠٢- **د. عبد العزيز الخياط:**

المجتمع المتكامل في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٠٦هـ.

١٠٣- **عبد العزيز المحمد السلمان:**

موارد الظمآن، ط١٨، ١٤٠٨هـ، الرياض.

١٠٤- **عبد العزيز المحمد السلمان:**

المناهل الحسان في دروس رمضان، ط٢، ١٣٨٩هـ.

١٠٥- **عبد العزيز المحمد السلمان:**

مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ط١، ١٤١٣هـ.

١٠٦- **د. عبد المجيد سيد أحمد منصور:**

الإسلام وتكامل وتوازن أبعاد الشخصية، بحيث غير منشور مقدم للقاء السنوي الخامس للجمعية السعودية للعلوم النفسية لعام ١٤١٣هـ.

١٠٧- **د. عبد الفتاح عاشور:**

منهج القرآن في تربية المجتمع، ط١، ١٣٩٩هـ، مكتبة

الخانجي، مصر.

١٠٨- **د. عبدالكريم زيدان:**

أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٩هـ.

١٠٩- **د. عبد الحميد الهاشمي:**

الرسول العربي المربي، ط٢، ١٤٠٥هـ دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.

١١٠- **د. علي بن محمد ناصر الفقيهي:**

البدعة وأثرها السيء في الأمة، مركز شؤون الدعوة، الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤١٥هـ.

١١١- **علاء الدين الدمشقي:**

الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الفكر، دمشق.

١١٢- **د. علي خليل مصطفى أبو العينين:**

قراءة تربوية في فكر الماوردي، دار المجتمع، جدة، ط١، ١٤١١هـ.

١١٣- **علي بن عبدالله السمهودي:**

جواهر العقدين في فضل الشرفين، تحقيق/ موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٥هـ.

١١٤- **د. عدنان علي رضا النحوي:**

منهج المؤمن بين العلم والتطبيق، دار النحوي للنشر والتوزيع،

ط١، ١٤٠٧هـ، الرياض.

١١٥- **عدنان باحارث:**

دور الأب في تربية الطفل المسلم، دار المجتمع للنشر والتوزيع.

١١٦- **د. عمر سليمان الأشقر:**

معالم الشخصية الإسلامية، ط٥، ١٤١١هـ، دار النفائس، عمان، الأردن.

١١٧- **عفيف عبدالفتاح طبارة:**

الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، ١٩٧٩م.

١١٨- **د. عمر سليمان الأشقر:**

مقاصد المكلفين، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠١هـ.

١١٩- **فتحي يكن:**

الإسلام والجنس، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١١، ١٤٠٥هـ.

١٢٠- **فوزية رضا أمين خياط:**

الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام، مكتبة المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ، عن شيخ الإسلام.

١٢١- **د. فؤاد البهي السيد:**

الأسس النفسية للنحو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي.

١٢٢- **محمد التومي:**

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار العربية للكتاب.

١٢٣- **محمد الغزالي:**

خلق المسلم، ط ٦، ١٩٦٤م، دار الكتب الحديثة، مصر.

١٢٤- **محمد جمال الدين محفوظ:**

التربية الإسلامية للطفل والمراهق، دار الاعتصام، بدون تاريخ.

١٢٥- **د. محمد عثمان نجاتي:**

الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٦- **د. محمد عبد العليم مرسي:**

التربية ومشكلات المجتمع في دول الخليج العربي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

١٢٧- **محمد شديد:**

منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.

١٢٨- **محمد علي الصابوني:**

النبوة والأنبياء، ط٤، دار القلم، دمشق.

١٢٩- **محمد الرابع الحسني الندوي:**

التربية والمجتمع، ط ١، ١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق.

١٣٠- **محمد أحمد جادالمولى بك:**

الخلق الكامل، ط٢، ١٣٨٥هـ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة.

١٣١- **د. مصطفى السباعي:**

أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي.

١٣٢- **د. نبيل السمالوطي:**

التنظيم المدرسي والتحديث التربوي، دار الشروق، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٣٣- **نجيب خالد العامر:**

من أساليب الرسول في التربية، مكتبة البشرى الإسلامية، الكويت.

١٣٤- **يوسف القاضي، ومقداد بلجني:**

علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ.